

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر - بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية



أثر الوظيفة التواصلية في البنية الصرفية العربية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية
تخصص: علوم اللسان العربي

إشراف الدكتور:
صلاح الدين ملاوي

إعداد الطالب:
الطاهر شارف

السنة الجامعية :

1434/1433 هـ - 2013/2012 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر - بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية



أثر الوظيفة التواصلية في البنية الصرفية العربية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية
تخصص: علوم اللسان العربي

إشراف الدكتور:
صلاح الدين ملاوي

إعداد الطالب:
الطاهر شارف

لجنة المناقشة:

الصفة	الجامعة الأصلية	الأستاذ
رئيسا	جامعة بسكرة	1- د/ سناني سناني
مشرفا ومقررا	جامعة بسكرة	2- د/ صلاح الدين ملاوي
عضوا	جامعة مسيلة	3- د/ محمد بن صالح
عضوا	جامعة بسكرة	4- د/ صالح لحلوحي

السنة الجامعية : 1433/1434هـ - 2013/2012م

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه. وبعد:

إنّ الوظيفة التواصلية موضوع اهتمت به الدراسات اللسانية الحديثة، وتناولها علماء اللغة العربية في مواضع متفرقة من كتبهم منذ القديم ولا يزالون؛ وقد وقع في يدي كثير من هذه الدراسات التي تتناولها من حيث هي الوظيفة الأساسية للغة، وعلى أساس منها تقام البنية اللغوية ويتألف الكلام... ومما لفت انتباهي في كثير منها ما أقرّته من أنّ الظروف والحاجات "المقام" تملي على متكلم معين إصدار خطاب معين ليوجه لمخاطب معين بمبنى معين. كل هذا ينبغي أن يتوفّر لتوصيل مقصده وغرضه من هذا الخطاب؛ سواء أكان تبليغ مفاهيم، أم تقديم حجج بغية الإقناع؛ أم إفصاحا عن شعور. والغالب في هذا الخطاب أن يكون موافقا لما هو متعارف عليه بين الجماعة تركيبيا ودلالة، ولا يخرج عن المعتاد المقرر من الكلام عند اللغويين والنحويين المعتبر نمطا مثاليا عاديا موافقا لقوانين اللغة الطبيعية الشائعة، وقد يخرج بناء هذا الخطاب عن هذه النمطية أو المثالية إلى شكل آخر بالاختيار المقصود لذاته مما توفّر من عناصر اللغة وتعدّد، أو بمخالفة الأصل أو القياس أو المطرد باستعمال لغوي يوصف بالفني غير العادي، يصدر غالبا عن الفرد المبدع ويكثر في اللغة الأدبية. والذي نريد أن ننظر في دراستنا هذه هو أسباب قصديّة مستعمل اللغة العربية الاختيار والبناء المخالف (العدول) ومبرراتهما، وعلاقتهما بالوظيفة التواصلية، انطلاقا مما حاولنا أن نرصده من أشكال لهذين الإجراءين مقتصرين على البنية الصرفية، وتمثّلت هذه الأشكال في اختيار صيغة صرفية بعينها رغم سعة حقلها الدلالي وكثرة مرادفاتها، أو العدول في استعمال الصيغة الصرفية عن مقررات علماء الصرف، وجمعا لهاتين الظاهرتين أردنا أن يكون عنوان بحثنا:

أثر الوظيفة التواصلية في البنية الصرفية العربية

تناولت في بحثي هذا أحد مظاهر تفاعل البنية الصرفية العربية مع الغرض التواصلية، وقصدت توضيح مدى مرونة العربية وشجاعتها في اختيار اللفظ المعبر عن غرض المتكلم أو العدول به عن المقرر أصلاً كان أو قياساً، وحاولت أن أبين ما المتسبب في هذين الاستعمالين اللذين شاعا بشكل لافت للانتباه، هل هو الوظيفة التواصلية أم غير ذلك؟ ولم هذا الخروج عن ضوابط اللغويين في تحديد دلالات الألفاظ، وعن مقولات النحويين وقواعدهم في ضبط البنى الصرفية؟ ولم هذه المخالفة-أحياناً- لما تواتر في كلام العرب وعرف بين المتكلمين باللسان العربي بنمطيته ومثاليته في عصور الاحتجاج وفيما تلاها؟ وهل لهذا الاختيار وهذه المخالفة ما يبررهما؟ وما الموجّه لهذه البنى الفنية غير العادية؟ وهل من علاقة بين بنية الكلام والغرض منه (وظيفته)؟ وهل الوظيفة التواصلية هي المتسبب في الاختيار أو العدول أم هل هو شيء آخر؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات سطرّت خطة اتخذت فيها الهيكل التنظيمي الآتي:

مقدمة:

الفصل الأول: البنية والوظيفة في المدارس اللسانية المعاصرة وفي التراث العربي:

يتناول هذا الفصل المحاور الآتية:

أولاً: البنية والوظيفة في اللسانيات المعاصرة: بينت في هذا المحور مفهوم البنية والوظيفة، وعرفت فيه بالنظريات اللسانية الشكلية، والنظريات اللسانية الوظيفية، وبخاصة الوظيفية التداولية (نظرية النحو الوظيفي).

ثانياً: البنية والوظيفة في التراث العربي: حاولت في هذا المحور أن أحدد مفهوم البنية والوظيفة في النحو العربي، وأفرق بين البنية والصيغة كما عرضت ملامح

تحقيق المبادئ الوظيفية في التراث العربي، وشيئاً من السمات الوظيفية التداولية في الصيغ الصرفية العربية.

ثالثاً: مفهوم الصيغ الصرفية العربية ووظائفها: عرّفت موجزاً في هذا المحور بالصيغ الصرفية (الأسماء والأفعال والصفات) وحددت بعض وظائفها التواصلية.

الفصل الثاني: اختيار الصيغ الصرفية (انتقاء صيغ صرفية بعينها):

تطرقت في هذا الفصل للمحاور الآتية:

أولاً: مفهوم الاختيار وأساسه: حاولت في هذا المحور أن أضبط معنى الاختيار وأبينّ أسسه وأسبابه وأنواعه.

ثانياً: أثر الوظيفة التواصلية في اختيار صيغ بعينها: تحدثت هنا عن صفتي التداول والدقة في اختيار الصيغ الصرفية، وعن ظاهرة التوسع في المعنى باختيار الصيغة المتعددة الوظيفة أو بنقلها.

ثالثاً: نماذج من اختيار الصيغ الصرفية: عرضت في هذا الجزء من البحث نماذج من الصيغ المختارة (أسماء وأفعال وصفات) على أساس وظائفها التواصلية، مبيناً عدم عشوائية المتكلم العربي في كلامه.

الفصل الثالث: العدول إلى الصيغ الصرفية (مخالفة المقرر أثناء استعمال الصيغ الصرفية):

يعالج هذا الفصل المحاور الآتية:

أولاً: مفهوم العدول وأساسه: حدّدت في هذا المحور المقصود بظاهرة العدول، وبيّنت علاقة العدول بالأسلوب وبالأصل وبالقياس، كما تطرقت لما بدا لي من ضوابط له ومُسوِّغات.

ثانياً: أثر الوظيفة التواصلية في العدول إلى صيغ بعينها: ذكرت في هذا المحور بعض ما يدفع إلى العدول في استعمال الصيغ الصرفية من وظائف تواصلية، وبيّنت أنّ العدول عن النمط المعتاد مطلب فني.

ثالثاً: نماذج من العدول إلى صيغ صرفية معينة: عرضت في هذا الجزء من البحث نماذج من الصيغ الصرفية المعدول إليها. موضّحاً السّر في هذا العدول.

وختمت عملي بنتائج عامة وأخرى خاصة وصلت إليها بعد جهد المقل.

هذا وقد استفدت من أعمال ودراسات كثيرة متفاوتة الجدية والأهمية، منها القديم، ومنها الحديث. ومن الأعمال والدراسات السابقة التي استفدت منها بشكل بارز:

- الكثير من كتب الدكتور أحمد المتوكل، وبخاصة مقدماتها.
- الكثير من كتب الدكتور فاضل صالح السامرائي.
- كتاب الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم للدكتور عبد الحميد هنداوي.
- الكثير من كتب التفسير، وبخاصة تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور.

سلكت في إنجاز هذا البحث طريقاً جمعت فيه بين منهجين:

المنهج الاستقرائي: بتتبع ورود ظاهرتي الاختيار والعدول فيما تيسر استنباطه من آيات القرآن الكريم، وباستقراء كلام العرب فيما توفّر لديّ من مصادر اللغة نشرها وشعرها استخرجت الشواهد التي أثبت بها ما أذهب إليه، وأوضحت بها سرّ الظواهر المدروسة.

المنهج الوصفي: بالوصف تعرضت للمباني التي جمعت نصوصها، وحالات تغيرها وأسباب هذا التغير.

الفصل الأول

البنية والوظيفة

في اللسانيات المعاصرة

وفي التراث العربي

أولاً: البنية والوظيفة في اللسانيات المعاصرة.

ثانياً: البنية والوظيفة في التراث العربي.

ثالثاً: الصيغ الصرفية العربية ووظائفها.

أولاً: البنية والوظيفة في اللسانيات المعاصرة:

أ- اللسانيات البنوية:

1- مفهوم البنية:

يتعدد مفهوم كلمة بنية تعدّد اتّساع معنى ولا تتناقض فيه، ويجتمع أكثرها حول جوهر الشيء وشكله. و« البنية مفهوم عربي دقيق متقدّم على ما هو موجود الآن في اللسانيات البنوية.»⁽¹⁾ ومن ذلك دلالتها على الهيئة كما ورد في لسان العرب: «يقال بنية وهي مثل رشوة ورشاً، كأنّ البنية الهيئة التي بُني عليها مثل المشية والركبة... يقال: بنية وبُنِيَ وبِنِيّة وبِنِيّ.»⁽²⁾ وتعني بنية الشيء ما هو أصيل وثابت فيه لا يتبدل بتبدل الأوضاع والحالات⁽³⁾. والبنية أنواع؛ بنية كلمة وبنية جملة وبنية نص.

وبنية الكلمة عند نحائنا العرب هي صيغتها أو وزنها أو هيئتها المتمثلة في عدد حروفها المرتبة أصلية وزائدة وحركاتها المعينة وسكونها⁽⁴⁾.

والبنية نظام يقوم على قوانين داخلية تتحكم فيه، وعلاقات تربط المكونات بعضها ببعض، «دون الرجوع إلى عناصر خارجية، وهي تتميز بما يلي: بالشمولية والتحويل، والتنظيم الذاتي.»⁽⁵⁾ مما يخرج بها لتقارب مفهوم النظام أو النسق، ويؤكد هذا المعنى هلمسليف (1899-1965)^(*) حيث يعرف البنية بقوله:

(1) عبد الرحمن الحاج صالح: مقارنة بين التحليل البنوي الأوروبي، و التحليل البنوي الأمريكي، مقياس: المدارس اللسانية، محاضرة على طلبة الماجستير، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، بوزريعة، الجزائر، 2004/2003.

(2) ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، (د ت). (بنى) 365/1.

(3) ينظر: عمر مهيبيل: البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص 16.

(4) ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم المعاصر، ضمن: تقدّم اللسانيات في الأقطار العربية، وقائع ندوة جهوية، أفريل، 1987، الرباط، هامش ص 373.

(5) محمد الحناش: البنيوية في اللسانيات، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1980، ص 101، 102.

(*) هلمسليف هو أحد أتباع المدرسة الألمانية "مدرسة النحاة الجدد" وكان يطمح في بناء نظرية جديدة تغني عن "دروس سوسير ومنوال تروباتسكوي (1890-1939) وأعمال بلومفيلد" ينظر: عز الدين مجدوب: المنوال النحوي العربي، قراءة لسانية جديدة، كلية الآداب، سوسة، دار محمد علي الحامي، تونس، ط1، 1998، ص 51.

الفصل الأول = البنية والوظيفة

« إنَّ البنية كيان مستقل من العلائق بينها تبعية وخضوع داخليان، تماماً كهذه البنية التي تعتبر كلاً لا يتجزأ، فهي تشكل وحدة مستقلة بين عناصرها المكونة تساند داخلي ولها قوانينها الخاصة ولا يمكن إطلاقاً وجود عنصر من البنية قبل وجود الكل سواء على المستوى السيكلولوجي أو الفيزيقي.»⁽¹⁾

2- مفهوم البنية (الشكلانية):

كلمة بنية Structuralisme منسوبة إلى كلمة بنية Structure المشتقة من الفعل اللاتيني Struere.

والبنوية توجه فلسفي أساسه الشكل المجرد والصورة الظاهرة، والبنوية هي نظرية المعرفة، أي أنها موجودة في كل المعارف في اللغة وعلوم الطبيعة والفيزياء، وغيرها⁽²⁾ ومع اللسانيات الحديثة برز هذا التوجه ليغطي العديد من المدارس والنظريات، ابتداء من الأفكار التي جاء بها دي سوسير حول موضوع دراسة الألسن ومنهج الدراسة ومحاولة تحاشي عيوب القديم، « وتشمل النظريات اللغوية التي تعتبر أنَّ اللغات الطبيعية أنساق مجردة يمكن دراسة بنياتها بمعزل عن وظيفتها في التواصل داخل المجتمعات.»⁽³⁾، ومن هذه النظريات النظرية البنوية الأوروبية، والنظرية البنوية الأمريكية.

2-1 البنوية الأوروبية:

ظهرت البنوية الأوروبية مع فردينان دي سوسير (F.de saussure 1857-1913) ويعد أول منشئ لها لتكون مدرسة مستقلة ووضع لها أسساً قائمة بذاتها حيث حدد موضوع علم اللغة ومصطلحاته ومنهج دراسته رافضاً مبادئ الدراسة التاريخية والمنهج المقارن.

(1) L.Hjelmslev. Sémantique structurale. Essais 1951, P100. نقلاً عن: (محمد الحناش: البنوية في اللسانيات، ص103).

(2) ينظر: الطاهر شارف: المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور "سورة البقرة نموذجاً"، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005/2006، ص2.

(3) أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (د ت)، ص26.

يرى دي سوسير أنّ موضوع اللسانيات الوحيد هو اللغة في ذاتها ولذاتها، واللغة عنده هي شكل تنتظم وفقه الأصوات والمتصورات⁽¹⁾ و تدرس بنية في وضع أني لحظة الاستعمال.

والشكلانية هي ما يحدثه الجمع بين الأصوات والمعاني وتشكلهما معاً، والفعل اللغوي ينتج عن الجمع بينهما لا بالفصل بينهما، وهذا الجمع يحدث شكلاً أو بنية هي جوهر اللغة وهذا التوجه شاع وصار له أتباع وأنصار وسمي فيما بعد بالمنحى الشكلاني وطبع جلّ الدراسات البنوية التي تحفل بشكل اللغات في واقعها الملموس⁽²⁾، وكان أساساً لكل المدارس الحديثة ومحل تأثير بشكل أو بآخر، في أوروبا وفي كثير من بلدان العالم خاصة في النصف الأول من القرن العشرين بعد ظهور كتاب "دروس في اللسانيات العامة" لفردينان دي سوسير⁽³⁾، غير أنّ هذا المنحى ما إنْ أرسى قواعده وانتشر ظهرت عيوبه وكان محل انتقاد من قبل كثير من الدارسين وعدّوه خطراً على اللغة، وهذه الرؤى والانتقادات أصبحت حافزاً على ظهور مدارس وتيارات مستقلة⁽⁴⁾، ترى في نفسها القدرة على الإغناء عن البنوية وشكلانيتها وتعسفها في التحليل^(*)، وقد زادت حدة هذه الانتقادات إلى أن صار « بعض اللغويين البنيويين لا يقبل أن يطلق عليه بنيوي أو على الأقل يتردد في ذلك، فهو يقبل أن ينعت بوظيفي بدل بنيوي.»⁽⁵⁾

(1) ينظر: فردينان دي سوسير: علم اللغة العام، ترجمة: يوثيل يوسف عزيز، مراجعة: مالك يوسف المطليبي، دار آفاق عربية، بغداد، 1985، ص30.

(2) ينظر: محمد الشاوش: سوسير والألسنية، ضمن: أهم المدارس اللسانية، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط2، 1990، ص14.

(3) ينظر: سعدي الزبير: العلاقات التركيبية في القرآن الكريم، دراسة وظيفية (مخطوط رسالة دكتوراه)، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 1989، ص20.

(4) ينظر: محمد الشاوش: سوسير والألسنية، ص17.

(*) مثلاً عند تقطيع أي كلمة تدل على جمع التكسير يتعسف البنيوي في إيجاد القطعة التي تدل على الجمع. ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم المعاصر، ص373.

(5) محمد الحناش: البنيوية في اللسانيات، ص102.

2-2 البنية الأمريكية:

نشأت البنية الأمريكية في استقلال تام عن البنية الأوروبية والتفكير السوسيري وجاءت لتحل مشاكل متعلقة بعلم لغات الأجناس وتواصلهم ويتمثل هدفها « في إيجاد منهج لدراسة لغات القبائل الهندية الأمريكية الرائجة في أمريكا الشمالية»⁽¹⁾، ويعتبر إدوارد سابير "E.Sapir" (1884-1939) أحد أبرز روادها وهو ممن يعطون أهمية كبرى لمفهوم الصورة أو الشكل⁽²⁾؛ فهو يرى أن اللغة مجموعة وحدات أو بنيات أو رموز. غير أنه لا يهمل الجانب الوظيفي -مثل البنويين الأوربيين الذين سبقوه- في اللغة برغم احتفائه بالبنية أكثر من الوظيفة، فنجد أنه يصرح دون اهتمام خاص متمثل في التنظير أو النقد بأن الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية هي التواصل، يقول: «إن اللغة وسيلة لا غريزية خاصة بالإنسان، يستعملها لإيصال الأفكار والمشاعر والرغبات عبر رموز يؤديها بصورة اختيارية وقصدية»⁽³⁾.

ومن النظريات البنوية الأمريكية التي ذاع صيتها النظرية التوليدية التحويلية، وهي من النظريات التي ترى إمكانية دراسة اللغة باعتبارها بنية مجردة دون النظر إلى وظيفتها بل بمعزل عنها⁽⁴⁾؛ فقد جعلت النحو عملية ميكانيكية لها قواعدها التي تحقق العناصر اللغوية بشكل آلي، كما أنها لم تهتم بوظائف البنيات اللغوية عند حدوث عملية التحويل في مراحل توليد الجمل. ثم هي لم تراعي الواقع النفسي للمتكلم ولا سياق الحديث، «واعتبرت اللغة مجرد نشاط عقلي»⁽⁵⁾ وهذا

(1) عبد القادر المهيري: اللسانيات الوظيفية، ضمن: أهم المدارس اللسانية، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط2، 1990، ص39.

(2) ينظر: طيب دبة: مبادئ اللسانيات البنوية، دار القصة، الجزائر، 2001، ص 140، 141.

(3) ميشال زكريا: الألسنية، قراءات تمهيدية، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، ط2، 1985، ص67.

(4) ينظر: أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية، ص 26.

(5) يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر "الألسنية"، تصدرها وزارة الإعلام، الكويت، المجلد 20، العدد 3، 1989، ص70.

هو الذي جعلنا نعتبرها نظرية بنوية غير وظيفية برغم مناهضتها لكثير من الأفكار البنوية السوسيرية؛ فهي تعيب عليها وقوفها عند وصف الصورة (الشكل) وعدم تجاوزها إلى التفسير، كتوضيح أشكال التحويل من البنية العميقة إلى البنية السطحية. وما خالفت فيه البنوية وكان في نظر مريديها إنجازا علميا جديدا هو التحويل من البنية العميقة إلى البنية السطحية وهو الذي أحدث ثورة لسانية وفي الوقت ذاته كان منطلقا لانتقاد هذه النظرية، وجعل الكثير يعزف عنها؛ فهي تبين وصفاً حالات التحويل في البنى التركيبية دون التعرض لأسبابه وعلاقته بوظيفة التواصل أو ملابسات الخطاب ومقامه، وهي بهذا تركّز على الخطاب أكثر مما تركّز على المخاطب والمخاطب والواقع النفسي والاجتماعي لهما، وظروف الخطاب وما دعا إليه، وهذا كله هو الانشغال الذي حمله التيار الوظيفي التداولي الذي تجاوز التجريد والبعد عن الواقع اللغوي، ورفض فكرة التحويل وجعل لكل عبارة أو كلام وظيفته الخاصة به وحاله ومقامه مهما تشابهت هذه العبارات، وكل تغيير فيها سواء أكان حذفاً أم زيادة أم تقديماً أم تأخيراً له استقلالته ووظيفته وما يبرّره⁽¹⁾.

والاتجاه الوظيفي يخالف هذه البنوية في التركيز على ما يكتنف هذه البنيات من تبعية لوظائفها التواصلية فلا تنتج أو تتولد إلا على هدي منها كما أنه يصف القدرة أو الملكة اللغوية للمتكلم/ المستمع، باعتبار هذه القدرة مجموعة قواعد بنوية وظيفية تمكنه أي هذا المتكلم/المستمع المحدد من استعمال عبارات محددة في موقف تواصل محدد لأداء غرض محدد⁽²⁾.

والبنوية الأمريكية بقدر ما اعتبرها كثير من الباحثين لا تمتّ بصلّة لأفكار دي سوسير⁽³⁾ يقرّ آخرون بأنها ترتبط بسبب أو بآخر بالفكر السوسيري ذلك لأنّ دي سوسير المؤسس الحقيقي للبنوية الحديثة⁽⁴⁾.

(1) ينظر: الطاهر شارف: المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور "سورة البقرة نموذجاً"، ص4.

(2) ينظر: أحمد المتوكل: الوظيفة والبنية، منشورات عكاظ، الرباط، 1993، ص10.

(3) ينظر: عبد القادر المهيري: اللسانيات الوظيفية، ص39.

(4) ينظر: عمر مهيبيل: البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ص20.

وإليه « يرجع ما أطلق عليه اسم الألسنية البنيوية عامة. »⁽¹⁾

ويكاد يتفق الباحثون على أن الرأي الأخير هو الصائب؛ فدي سوسير يعد من المؤسسين الأوائل للسانيات الحديثة عامة وللسانيات البنيوية بشكل خاص.

ب- اللسانيات الوظيفية:

1- مفهوم الوظيفة:

تعني الوظيفة المهمة والفائدة والتحقيق والواجب المطلوب والدور، يقول ابن منظور: « وظف: الوظيفة من كل شيء: ما يقدر له في كل يوم من رزق، أو طعام، أو علف، أو شراب وجمعها الوظائف والوظف. ووظف الشيء على نفسه ووظفه توظيفاً. ألزمها إياه، وقد وظفت له توظيفاً على الصبي كل يوم حفظ آيات من كتاب الله عزّ وجلّ. »⁽²⁾

فالوظيفة عموماً هي الدور، وكلمة "وظيفة" في الدراسة اللغوية لها معنيان يهمن أولهما، وهذان المعنيان هما⁽³⁾ :

- الوظيفة بمعنى الدور الذي تؤديه اللغة كظاهرة اجتماعية وهو التواصل.
- الوظيفة بمعنى العلاقة التي تقوم بين عناصر الجملة كعلاقة الإسناد في الدراسة الوظيفية للجملة، وكالعلاقات المقترحة في إطار الجهاز الوظيفي المعقد⁽⁴⁾ عند سيمون ديك وتعني :
- الوظائف الثلاث:

- الوظائف الدلالية (وظيفة المنفذ ووظيفة المتقبل ووظيفة المستقبل ووظيفة المستفيد).

- الوظائف التركيبية (وظيفة الفاعل ووظيفة المفعول).

(1) محمد الشاوش: سوسير والألسنية، ص5.

(2) لسان العرب (وظف) 6/ 4869.

(3) ينظر: الطاهر شارف: المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، "سورة البقرة نموذجاً" ص6.

(4) ينظر: أحمد المتوكل: الوظيفة والبنية، ص15-23؛ دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص10-22.

- الوظائف التداولية (وظيفة المبتدأ، وظيفة المحور، وظيفة البؤرة، وظيفة المنادى، وظيفة الذيل).

2- مفهوم الوظيفة:

الوظيفية مصدر صناعي من وظف، ويقصد بها عند أصحاب الاتجاه الوظيفي التداولي ارتباط بنية اللغة بوظيفة التواصل والتبليغ والبيان ارتباطا يجعل البنية انعكاسا للوظيفة وتابعة لها، وتقوم الوظيفية على أن لا اعتبار للوحدات اللسانية إلا من خلال الدور الذي تلعبه في التواصل⁽¹⁾.

ونجد عبد الرحمن الحاج صالح يفسر الوظيفة بالعمل أو الدور المؤدى (التبليغ)، والوظيفية عنده نسبة إلى هذا، حيث يقول عن مدرسة براغ: «أخص شيء تمتاز به هذه المدرسة عن غيرها هو اعتمادها الأساسي على العمل (أو الدور) الذي تؤديه العناصر اللغوية في عملية التبليغ ولهذا سميت النزعات المتفرعة عنها (ومنها مدرسة مارتيني الفرنسية) بالوظيفية.»⁽²⁾ وإلى هذا المصطلح تنسب مدارس واتجاهات لغوية بدأت تبرز مع ظهور مدرسة براغ وتحاول أن تفسر ظواهر اللغة من كل جوانبها. ومن هذه الاتجاهات الاتجاه الوظيفي الذي أشرنا إليه الذي يعتبره بعضهم نقيضا للاتجاه التحويلي⁽³⁾، وذا موقف نقدي من التيار البنوي الذي انبثق عنه وعدّ مندرجا فيه⁽⁴⁾.

3- تطور اللسانيات بعد دي سوسير:

لاشك في أن البحث اللساني في تطور مستمر ولم يبق حبيس أفكار سوسير بل تجاوزها -مع الاستفادة منها والارتباط بها في شيء، وبسبب أو بآخر- على

(1) ينظر: محمد الحناش: البنيوية في اللسانيات، ص 96.

(2) الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث (3)، مجلة اللسانيات، الجزائر، المجلد الثاني، العدد 1، 1972، ص 54.

(3) ينظر: يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص 70.

(4) ينظر: عبد القادر المهيري: اللسانيات الوظيفية، ص 39.

أيدي كثير من الباحثين منهم العلماء الروس مثل: جاكبسون وتروبتسكوي وكارشنسكي، والعالم الفرنسي إميل بنفست، والعلماء الأمريكيان مثل: بلومفيلد وتشومسكي وسابير، والدانماركي هلمسلاف وغير هؤلاء كثير وقد كانت أعمالهم متفاوتة القيمة العلمية ويمكن تلخيصها إجمالاً فيما يأتي⁽¹⁾:

أ- ظهور مفهوم النسق وعدم عزل الحدود ودراستها مترابطة.

ب- التفريق بين التعاقب والتزامن، وتقديم التزامن على التعاقب خاصة عند المدارس الألسنية اللاحقة بعد سو سير.

ج- «الانتقال من المستوى القصدي للأفراد الناطقين إلى المستوى القصدي الذي تهيمن عليه قوانين النسق، فعقلانية النسق الألسني هي عقلانية غير قصدية».

د- أسبقية التحليل التزامني (في اللسانيات البنوية) على تحليل التأثيرات الخارجية التي يمكن أن تمرّ بها الظواهر اللغوية.

ولا ننسى هنا أنّ النحو التوليدي التحويلي لتشومسكي أدرج فيما بعد المستوى التداولي إضافة إلى المستويات (الصوتية والصرفية والتركيبية)؛ فهو يحدّد هذه المستويات ويكون سبباً في وجودها وهي خدم له، وهذا من أهم مبادئ الدراسة الوظيفية. فتشومسكي يقر في أواخر السبعينيات بأنّ للمتكلم قدرتين: قدرة نحوية، وقدرة تداولية⁽²⁾.

وهذا الاعتراف قد يكون من تداعيات ظهور الاتجاه الوظيفي الذي بدت معالم وجوده مع مدرسة براغ 1926، وراح يتطور إلى أن اكتسب صبغة التداولية مع سيمون ديك في 1978.

4- المدارس الوظيفية البنوية:

يعدّ الاتجاه البنيوي اللغات الطبيعية بنيات مجردة، يمكن دراستها وصفاً

(1) ينظر: عمر مهيبل: البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ص 21، 22.

(2) ينظر: المتوكل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، منشورات عكاظ، 1989، ص 30.

بمعزل عن منتجها وعن مستقبلها ومن دون النظر إلى مقاماتها التواصلية وظروف إنجازها، ويقابل هذا التيارَ التيارَ الوظيفي (Functionalism) الذي يرى أنّ اللغة وسيلة الإنسان في التواصل والتبليغ، وترتبط بمقوماته الاجتماعية والثقافية والحضارية، يقول المسدي: «محدد اللغة وظيفيا أنها أداة الإنسان إلى إنجاز العملية الإبلاغية في صلب المجتمع مما يطوِّع تحويل التعايش الجماعي إلى مؤسسة إنسانية تتحلّى بكل المقومات الثقافية والحضارية.»⁽¹⁾

ومن أهمّ مبادئ الوظيفية « اللغات الطبيعية بنيات تحدد خصائصها (جزئيا على الأقل) ظروف استعمالها في إطار وظيفتها الأساسية وظيفة التواصل.»⁽²⁾ ويدخل ضمنه: النظريات التي تأخذ بعين الاعتبار البعد التداولي في وصف اللغة ومنها ما كان يدعى "الدلالة التوليدية" (Generative semantics)، والنظرية الوظيفية المقترحة في إطار مدرسة هارفارد الأمريكية، والمدارس الوظيفية الأوربية التي منها المدرسة النسقية (Systemics) ومدرسة براغ (Functional sentence perspective) وأخيراً النحو الوظيفي (Functional Grammar) لسيمون ديك (1978 Simon Dik)⁽³⁾.

ونظرية النحو الوظيفي من أهمّ النظريات اللسانية الوظيفية التي كان لها وقع كبير في ميدان الدراسات اللغوية الحديثة، ممّا دفع ببعض أصحاب النظريات اللسانية الأسبق، مثل النظرية التوليدية التحويلية، إلى النظر مجدداً في أسس نظريتهم، أو التحول عنها إلى التيارات الوظيفية والوظيفية المعجمية⁽⁴⁾.

(1) عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1986، ص31.

(2) أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985، ص8.

(3) ينظر: نفسه، ص8؛ المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص26.

(4) ينظر: ر.هـ روبنز: موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ترجمة أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1997، ص328، 329؛ وينظر: مسعود صحراوي: "المنحى الوظيفي" في التراث اللغوي العربي، مجلة الدراسات اللغوية، يصدرها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، المجلد الخامس، العدد الأول، أبريل/يونيه، 2003، ص13.

ومن الاهتمام بها أن اضطرَّ بعض الباحثين واللغويين إلى إعادة دراسة قواعد لغاتهم « فقد أصدر معهد اللغة الروسية التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية عام 1970 كتاباً جديداً لقواعد اللغة الروسية المعاصرة انطلاقاً من النظرية البنيوية الوظيفية. كما درس الكثير من لغات العالم من مواقع تلك النظرية كالإنكليزية والتشيكية واليابانية... وعُقدت مؤتمرات دولية لبحث المسائل المتعلقة بالتقسيم الوظيفي للجملة»⁽¹⁾ ، وبهذا نال المنهج الوظيفي شهرة واسعة بين الدراسات اللغوية المعاصرة وأصبح محل استقطاب كثير من نوابغ الباحثين والدارسين وهذا بعد أن أثبتت الدراسة الوظيفية موضوعيتها العلمية وواقعيتها اللغوية في كثير من مبادئها المنهجية، مما أدى بالتيارات الأخرى إلى فقد الكثير من مصداقيتها وضعف قدرتها على الجذب، ومردّد هذا كله ليس هو طريقة تحليلها التراكيب (الجهاز الوظيفي)، ولا مثالية مفاهيمها الإجرائية، ولأما اعتمده من رموز رياضية وتشكيل معقد للصيغ⁽²⁾. ولكن السبب هو أنها لم تهمل أساسيات يفرضها الواقع اللغوي وأهملتها النظريات السابقة، ومنها ظروف إنجاز الخطاب والحال النفسي والاجتماعي لكل من المخاطب والمخاطب، وملابسات الخطاب والغرض منه، والأنحاء الوظيفية تنظر إلى اللغات الطبيعية على أنها إضافة إلى كونها بنية أو نسقا شكليا (صوتيا، صرفيا، تركيبيا، معجميا) تعد أداة لوظيفة أساسية هي التواصل؛ فاللسانيات الوظيفية-حسب "كونو"- هي «مقاربة لتحليل البنية اللغوية تعطي الأهمية للوظيفة التواصلية لعناصر هذه البنية بالإضافة إلى علاقتها البنيوية»⁽³⁾ ، كما يمكن أن تؤدّي اللغة وظائف أخرى قد تكون أشكالا مختلفة لوظيفة التواصل منها الوظيفة الجمالية التي هي تحويل لوظيفة التواصل

(1) جعفر دك الباب: الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني، مطبعة الجليل، دمشق، سوريا، ط1، 1980، ص116.

(2) ينظر: مسعود صحراوي: "المنحى الوظيفي" في التراث اللغوي العربي، ص 13.

(3) أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص104.

عن عرضها⁽¹⁾، ومنها الوظائف الست المشهورة عند جاكبسون (1896-1982) التي اقترحها في 1963، والوظائف الثلاث (الوظيفة التمثيلية والوظيفة العلاقية والوظيفة النصية) الواردة عند هاليداي 1970⁽²⁾ التي حاول على غرارها أن « يقيم نظاما نحويا على أسس دلالية وظيفية.»⁽³⁾

فالاتجاه الوظيفي ينظر إلى اللغة على أنها ظاهرة اجتماعية تربط البنية اللغوية بوظيفة الاتصال⁽⁴⁾، وتعدّها أصواتا ومعنى يربطهما الحافز التواصلّي بين أفراد المجتمع اللغوي⁽⁵⁾.

وضعت الأسس الأولى للنظرية الوظيفية مع دراسات ماثيسوس ابتداء من 1911⁽⁶⁾. وهذه الأسس أشتات لا تكاد تذكر أو يتحدّد لها اتجاه، ويؤرّخ أكثر الدارسين للمدرسة الوظيفية بظهور مدرسة براغ (1926).

4-1 مدرسة براغ:

اهتمت مدرسة براغ بالمعنى خلافا للمدارس البنوية التي أهملته متأثرة بالفلسفة السلوكية وأفكار واطسن؛ فمدرسة بلومفيلد وغيره من اللغويين الأمريكيّان ربطوا المعنى بالمثير والاستجابة؛ حيث انصرف التوزيعيون عن دراسة المعنى لما تنثّره من مشاكل لا حلّ لها - حسب ما يراه الوظيفيون - إلا في اعتماد مفهوم الوظيفة⁽⁷⁾ التي هي العلاقة التي تنشأ بين عناصر الجملة أو الملفوظ وبها يمكن

(1) ينظر: عبد القادر المهيري: اللسانيات الوظيفية، ص 42.

(2) ينظر: أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، البنية التمثيلية، أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمان، 1995، الرّباط، ص 14.

(3) يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص 93.

(4) ينظر: جعفر دك الباب: النظرية اللغوية العربية الحديثة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط 1، 1996، ص 61.

(5) ينظر: أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 137.

(6) ينظر: جيفري سامبسون: المدارس اللغوية، التطور والصراع، ترجمة أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط 1، 1993، ص 106؛ وينظر: سعدي الزبير: العلاقات التركيبية في القرآن الكريم، ص 20.

(7) ينظر: الطاهر شارف: المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتتوير لابن عاشور "سورة البقرة نموذجا"، ص 10.

ضبط المعنى، فعلى أساس الوظيفة هذه (وظيفة التواصل) تُختار عناصر الجملة أو الملفوظ ولا يُلتفت لما لا يؤدي وظيفة أو شحنة إخبارية أو تبليغية⁽¹⁾، فلم تُعر قضية المعنى الاهتمام الكافي في الاتجاهات البنوية مثل ما نالته في المدارس الوظيفية⁽²⁾ كمدرسة براغ.

4-1-1 المبادئ الوظيفية عند رومان جاكبسون (1896-1982)

أ- العلاقة بين الشكل والوظيفة:

لا ينظر جاكبسون إلى الأشكال في حدّ ذاتها معزولة بل ينظر إلى العلاقات القائمة بينها⁽³⁾. ويركّز في دراسته الشعر على أهمية العلاقة بين الدال والمدلول أو بين الإشارة والمعنى، ويرى أننا لا نستطيع أن نحلل اللغة دون الرجوع إلى دلالة الأشكال، كما لا نستطيع الفصل بين مستويات الدراسة اللغوية (الشكل والدلالة). ويهتم النحو عنده بعلاقات البنية الخطية أو العلاقات بين عناصر التركيب؛ أي يهتم بمحور التتابع (التسلسل المنطقي) وتعتمد الدلالة على إبراز الفوارق بين التراكيب؛ أي يهتم بمحور الاستبدالات⁽⁴⁾.

ب- ثنائية التفكير الألسني:

يرى جاكبسون أنّ العلاقة الثنائية تسيطر على مختلف المستويات اللغوية، فكما نجدها في الأصوات نجدها في الدلالة وفي غيرها⁽⁵⁾.

ومن العلاقات الثنائية التي أقرّها :

- التزامن والتعاقب.

- المحور الاستبدالي والمحور النظمي.

(1) ينظر: عبد القادر المهيري: اللسانيات الوظيفية، ص51.

(2) ينظر: يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص74.

Roman Jakobson: *Essais de linguistique générale*, Paris, minuit, 1973, P 133.

(3) ينظر:

(4) فاطمة الطبال بركة: النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان،

ط1، 1993، ص62.

(5) ينظر: نفسه، ص33.

- الانتقاء والتنسيق (انتقاء الكلمات والتنسيق بينها في الجملة).
- اللغة الهدف/ وما وراء اللغة؛ فالهدف من اللغة هو التواصل، وما وراء اللغة هو شرح المبهم من الكلمات.
- الخطاب الخارجي والخطاب الداخلي بين مرسل ومستقبل، أو أن يمثل أحدهما الدورين.
- ثنائية السمات التمايزية⁽¹⁾.

وهو بكل هذا يركز على البنيات الظاهرة، مما دفع بنا إلى اعتبار وظيفته وظيفية ضعيفة؛ ذلك أن النحو الوظيفي لا يحصر دراسة النحو في البنية الظاهرة فقط بل يراعي ملابسات الخطاب وحال المخاطبين ومقاصد الكلام وأغراضه.

ج- نظرية التواصل والوظائف اللغوية

هناك فرق واضح بين حلقة الكلام عند سو سير ومخطط التواصل الكلامي عند جاكبسون، فبينما نلاحظ تجاهل سو سير البعد التبليغي نجد جاكبسون قد اهتم به اهتماما كبيرا في نظرية التواصل عنده⁽²⁾.

فهو يعتبر التبليغ والتواصل من أهم وظائف اللغة التي تتعدد بتعدد الأغراض المستعملة لتحقيقها، فاللغة تُدرس -حسب جاكبسون- في إطار وظائفها وتستلزم تحليل العوامل الستة المؤلفة لكل تواصل كلامي، هذه العوامل هي: الرسالة، والمرسل، والمرسل إليه، والاتصال بينهما، والمرسلة (نص الرسالة)، والمدونة التي تنتج فك الرموز.

4-1-2 المبادئ الوظيفية عند مارتيني "A.Martinet" (1908-1999):

عرّف أندري مارتيني اللسان في إطاره الوظيفي مؤكداً وظيفته التواصلية ولا ينكر الوظائف الأخرى التي تؤديها اللغة.. فهو يرى أن الوظيفة الأساسية للسان

(1) ينظر: السابق، ص 41.

(2) ينظر: الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 15؛ وينظر: فاطمة الطبال، ص 63.

الفصل الأول = البنية والوظيفة

البشري هي ما يسمح لأيّ إنسان أن يبلغ تجربته الشخصية ويتواصل مع غيره من الناس⁽¹⁾. ويصنّف مارتيني الوحدات اللغوية انطلاقاً من وظائفها إلى مونيمات هي:

1- المونيم المكثفي M.autonome : هو وحدة دالة تتضمّن في بنيتها دليل وظيفتها مثل: اليوم/غدا. ويمكن أن ينتقل المونيم من موقع إلى آخر وذلك لاكتفائه بذاته⁽²⁾، كما في قولنا:

غدا أسافر، أو أسافر غدا. فكلّمة غدا هنا مستقلة بنفسها وتغيّر موقعها لا يؤثر في المعنى.

2- المونيم الوظيفي M.fonctionnel: هو الذي يساعد على تحديد وظيفة عناصر أخرى مشاركة له في الوظيفة العامة للتركيب ولا يمكن لها أن تستقل بنفسها في السياق الذي ترد فيه. كوظيفة حروف الجر ووظيفة حروف العطف في العربية.

3- المونيم التابع M.dépendant: هو مونيم تتحدّد وظيفته بتعلّقه بغيره ولا يستقلّ بنفسه.

4- التركيب المكثفي Le Syntagme autonome: هو يتركب من مونيمين فأكثر، وتتحدّد وظيفته بدلالته الكلية كتركيب، ففي قولنا: في البيت رجل؛ عبارة في البيت تعد تركيباً مكثفياً.

5- التركيب الإسنادي Le Syntagme prédiatif: التركيب الإسنادي هو النواة التي يبنّي عليها الملفوظ، ويتكون من عنصرين أساسيين لا يمكن حذف أحدهما، وهما: المسند إليه، والمسند.

6- الإلحاق Expansion: هو كل ما يضاف إلى النواة الإسنادية من عناصر

Martinet: *La linguistique synchronique*, P.U.F, Paris, 1970 , P9.

(1) ينظر:

Martinet: *Eléments de linguistique générale*, Armand Colin, 1970, P111.

(2) ينظر:

تركيبية. والإلحاق عند مارتيني ضربان: إلحاق بالعطف (Coordination)، وإلحاق بالتبعية (Subordination). ويشمل الإلحاق: النعت، والمضاف إليه، والمفعول، والمعطوف الخ⁽¹⁾

7- المزج Amalgame: هو الربط بين دالين ليصبا دالا واحدا، مثال ذلك في اللغة الفرنسية: مزج ã و le لتصبح au؛ فـ au دال ترابط فيه دالان، وهو غير قابل للتحليل ويكون في تراكيب خاصة⁽²⁾.

نخلص من هذا التصنيف إلى أنّ النحو عند مارتيني هو تحديد وظيفة كلّ عنصر وعلاقته بباقي العناصر في الكلام. وقد رأى مارتيني أنه توجد وسائل ثلاث لو رسم العلاقات في النحو تقوم على مبدأي العلاقة والرتبة، وهذه الوسائل هي: الاكتفاء، والرتبة، واللجوء إلى وحدات مختصة لا وظيفة لها معينة في ذاتها⁽³⁾.

ويرى كثير من اللسانيين علماء وباحثين أنّ مارتيني حقق بما كتبه مكانة علمية معتبرة وبخاصة فيما تعلق بعلم الأصوات الوظيفي وبالدراسة التركيبية ووظائف عناصر التركيب، فقد رأوا أنها بلغت مرحلة متميزة من مراحل تطورها لدى مارتيني. إلا أننا نجد محل انتقاد من قبل بعض أساتذتنا وذلك في كون ما كتبه أمورا سطحية يتشبث فيها برأيه وبأفكاره بخلاف علماء اللغة المعاصرين الآخرين من أمثال جاكسون وتشومسكي فقد أقر بأنهما كتباً أمورا عميقة تشهد بعبقريتهما⁽⁴⁾.

(1) ينظر: أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص117.

(2) ينظر: الطيب دبة: مبادئ اللسانيات البنوية، ص113.

(3) ينظر: سعدي الزبير: العلاقات التركيبية في القرآن الكريم، ص 25.

(4) ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: مقارنة بين التحليل البنوي الأوروبي، و التحليل البنوي الأمريكي، مقياس: المدارس اللسانية، محاضرة على طلبة الماجستير، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، بوزريعة، الجزائر، 2004/2003.

4-2 مدرسة لندن :

يتعامل المنحى الوظيفي عند مدرسة لندن مع المستويات أو الأنظمة الأربعة في التحليل اللغوي (الأصوات، المفردات، النحو، الدلالة)، وبرز فيه توجهان؛ أحدهما يتزعمه فيرث والآخر يتزعمه هاليداي⁽¹⁾.

4-3 الوظيفية عند "هايمز Hymes":

يبدو أن النمط الوظيفي الذي اقترحه هايمز جاء رد فعل على التيار العقلاني الذي نشر أفكاره تشومسكي وأتباعه، وأهم ما نراه فرقا بين التيارين هو أن تشومسكي قد حصر معرفة الفرد بلغته في شيئين: الملكة الذهنية لقواعد هذه اللغة، التي سماها "القدرة" Competence، والاستعمال الفعلي للغة الذي سماه "الأداء" Performance.

بينما هايمز يرى أن القدرة اللغوية هي أوسع من أن تكون ملكة ذهنية لقواعد اللغة بل تتمثل في القدرة على الاتصال الذي هو الوظيفة الأساسية للغات عامة، وهذا هو الذي يناسب الطبيعة الإنسانية والاجتماعية للغة⁽²⁾.

4-4 الوظيفية عند "تمام حسان":

4-4-1 مبدأ التعليق (تضافر القرائن):

ذهب تمام حسان إلى أن الإعراب لا يكفي ليفسر المعنى النحوي، ولكن يفسر عن طريق فكرة التعليق التي جاء بها الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز". والتعليق عند الجرجاني-كما فهمه "تمام"- هو « إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية»⁽³⁾ فلا يمكن تأدية المعاني الوظيفية لعناصر اللغة في غياب القرائن الثلاث: اللفظية والمعنوية والحالية متضافرة.

(1) ينظر: الطاهر شارف: المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، "سورة البقرة نموذجاً" ص11، 12.
(2) ينظر: يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص94.
(3) تمام حسان: البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1993، ص188.

وفيما يلي نعرض هذه القرائن بإيجاز:

أ- القرائن المعنوية⁽¹⁾:

وهي معاني النحو أو العلاقات السياقية (Syntagmatic relations)، وتتمثل في: قرينة الإسناد، وقرينة التخصيص، وقرينة النسبة، وقرينة التبعية، وقرينة المخالفة.

ب- القرائن اللفظية⁽²⁾: وهي ما يقدمه علما الأصوات والصرف للنحو من قرائن صوتية أو صرفية، وهي: العلامة الإعرابية والرتبة والصيغة والمطابقة والربط والتضام والأداة والتنغيم.

ج- قرينة الحال (السياق)، أو المقام (الواقع الاجتماعي والثقافي والحضاري).

4-4-2 ملخص الأفكار الأساسية لنموذج تمام حسان :

لقد لخص تمام حسان نفسه الأفكار الأساسية التي قام عليها نموذجها، التي يبدو من خلالها اهتمامه بالوظيفة التواصلية (المعنى) أساسا لوجود النحو وتراكيبه، والصرف ومبانيه، ومن أهم هذه الأفكار⁽³⁾:

- 1- تقسيم سباعي للكلمات.
- 2- إمكان نقل لفظ من أقسام الكلم إلى استعمال آخر.
- 3- المعنى إما وظيفي أو معجمي أو دلالي.
- 4- قد يتعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد.
- 5- تنقسم الجملة إلى اسمية وفعلية ووصفية، كما تنقسم من حيث المعنى انقساماً آخر: خبرية وشرطية وطلبية وإفصاحية.
- 6- إذا تحقق المعنى الوظيفي أمكن التحليل، ولو لم يتحقق المعنى المعجمي.
- 7- النحو نظام من القرائن التي تعبر عنها معان مأخوذة من الصرف والأصوات.

(1) ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1998، ص191.

(2) ينظر: نفسه، ص205.

(3) ينظر: تمام حسان: تعليم النحو بين النظرية والتطبيق، مجلة المناهل المغربية، العدد7، 1976. نقلا عن: (محمود

نحلة: نظام الجملة في شعر المعلقات، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1991، ص83).

- 8- القرائن إما معنوية وإما لفظية والقرائن المعنوية هي العلاقات السياقية.
 - 9- القرائن لا تعمل إلا متضافرة فلا يمكن لواحدة منها أن تستقل بأداء.
 - 10- التضام إحدى القرائن اللفظية وهو ينقسم إلى التلازم والتنافي والتوارد.
 - 11- قد يتضح المعنى بدون إحدى القرائن فيمكن الترخص فيها بحذفها.
 - 12- القول بتضافر القرائن يغني عن القول بالعامل.
 - 13- هناك فرق بين الزمن النحوي والزمن الصرفي؛ فالنحوي هو الزمن في السياق، والصرفي هو الزمن في الأفراد.
 - 14- لا يمكن فهم الزمن النحوي بدون فكرة الجهة التي تعدّ نوعاً من تخصيص الدلالة في الفعل ونحوه.
 - 15- الجهات المخصصة لمعنى الحدث في الفعل هي المنصوبات، والمخصصة لمعنى الزمن فيه هي النواسخ والأدوات والظروف.
 - 16- علم المعاني قمة النحو العربي.
 - 17- لا يمكن الاكتفاء بمعنى المقال عن المقام.
- نالت أفكار "تمام" قبولا واسعا بين الدارسين واللغويين ونوّه بها وشهّر لها، كما انتقدها العديد من الباحثين^(*).

(*) ذكر هو نفسه بعض الكتب والحواليات والمجلات التي تطرقت لأفكاره في تقديمه لكتابه: اللغة العربية معناها ومبناها، ص5، 6. كما انتقده عز الدين المجذوب في كتابه "المنوال النحوي العربي" مرجع سابق. تناول أفكاره بالنقد بتوسع في المواضيع التالية: مقارنة التراث النحوي في ص37، أقسام الكلام في ص192، الوظائف النحوية في ص265، حركات الإعراب في ص280. ومن الذين انتقدوا أفكاره محمد صلاح الدين الشريف في مقال عنوانه: النظام اللغوي بين الشكل والمعنى من خلال كتاب تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، مجلة حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 17، 1979. (نقلا عن: محمود نحلة: نظام الجملة في شعر المعلقات، ص84)؛ وينظر: الطاهر شارف: المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتوير لابن عاشور، "سورة البقرة نموذجا" ص33، 34.

5- النظرية الوظيفية التداولية (سيمون ديك - أحمد المتوكل):

كان فضل السبق في دراسة اللغات في جانبها التداولي لفلاسفة اللغة العادية، فقد أبرزوا بعض الظواهر المتعلقة بالواقع الاستعمالي للغة في المقامات المختلفة للوصول إلى أهداف، وللإفصاح عن رغبات من ذلك ما وضعوه من تحليلات لظواهر مرتبطة بالإحالة والاقتضاء وأفعال الكلام، وتمّ اقتراض هذه المفاهيم لتستعمل في الدراسات اللغوية⁽¹⁾. والتعاون بين الفلاسفة واللغويين مثمر وفعال يعكس ما بين المعارف الإنسانية التي ترتبط باللغة بسبب أو بآخر من تكامل وانسجام وما تقدمه هذه المعارف من معطيات يستفاد منها في تحليل تراكيب اللغة وتفسير ظواهرها، لاسيما فيما يخصّ « أمهات القضايا من حيث تحليل اللغة، وأعني بها: كيفية تفاعل البنية والوظيفة »⁽²⁾، لكن سرعان ما تجاوز الدرس الوظيفي التداولي التفكير الفلسفي في اللغة وعمل على صقل أدوات تحليله⁽³⁾، وهو يتناول الكيفية والشروط الخارجية لاستخدام دوال اللغة أثناء الخطاب، كما يتناول طريقة تفسيرها انطلاقاً من المقام وسياق الحال أثناء التعبير عن الأغراض التواصلية لا قبله ولا بعده، فنظرية النحو الوظيفي ترى أنّ الأهداف التواصلية هي التي تحدد خصائص بنيات اللغات التي تستعمل لتحقيقها⁽⁴⁾، وتختلف جذريا عن النظرية البنوية التي تدرس اللغة باعتبارها نظاما معزولا عن الواقع الذي أنتج فيه، وتكتفي بالمدونة اللغوية المعدة سلفا، وتجعل العناصر الفاعلة في الكلام من مثل ظروف الخطاب وملابساته وحال المتخاطبين عناصر خارجة عن اللغة⁽⁵⁾.

رغم تباعد زمن وجود المدارس الوظيفية الثلاث (براغ، النحو النسقي، النحو الوظيفي) واختلاف بيئاتها الثقافية وجدناها تشترك في مجموعها في نظرتها

(1) ينظر: المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص15.

(2) الجبالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص52.

(3) ينظر: نفسه، ص51.

(4) ينظر: أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص10.

(5) ينظر: الطاهر شارف: المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتتوير لابن عاشور "سورة البقرة نموذجا"، ص13.

لطبيعة اللغة؛ فهي تتفق على أنّ وظيفة اللغة التواصل بين أفراد المجتمع للإخبار أو الإقناع أو الترغيب أو التعبير عن شعور.

تعدّ نظرية النحو الوظيفي The theory of functional grammar التي اقترحها اللساني سيمون ديك (Simon Dick سنة 1978) (*) إحدى أهم النظريات اللسانية الوظيفية كما أنها جزء من نظرية تداولية شاملة يشكل التواصل اللغوي موضوعا لها⁽¹⁾، كما تعدّ - حسب "المتوكل" - « النظرية الوظيفية التداولية الأكثر استجابة لشروط التنظير من جهة، ولمقتضيات النمذجة للظواهر اللغوية من جهة أخرى، كما يمتاز النحو الوظيفي على غيره من النظريات التداولية بنوعية مصادره. فهو محاولة لصهر بعض من مقترحات نظريات لغوية:

- النحو العلاقي (Relational grammar)

- نحو الأحوال (Case grammar) الوظيفية (Functionalism)

- ونظريات فلسفية: نظرية الأفعال اللغوية (Speech theory acts). «⁽²⁾

أقبل كثير من الباحثين على أفكار هذه النظرية وتجاوبوا مع الجديد فيها، ومنهم من دعا إلى إعادة النظر في أسس نظرياتهم ومبادئها أو تركها والتحول عنها - رغم سبقها وقيمتها العلمية - إلى التيارات الوظيفية، كأصحاب النظرية التوليدية التحويلية⁽³⁾، ويعود السبب في ذلك - حسب المبادئ المسطرة في نظرية النحو الوظيفي - إلى أنها « اهتمت بتغطية جوانب أساسية في الظاهرة اللغوية، وسدّ ثغرات خلفتها النظريات غير التداولية في محاور حيوية، كـ (الكلام، وسياق الحال، وملابسات الخطاب...) وإدراج ذلك كله ضمن وصف الظواهر اللغوية وتفسيرها. »⁽⁴⁾، وهي بهذا تحاول أن تحقق مقياس الفصاحة ومقومات صحة

(*) من خلال كتابه: Dik (Simon): Functional grammar, North Holland, Amsterdam, 1978.

(1) ينظر: محمود سليمان ياقوت: فقه اللغة وعلم اللغة، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995، ص 225.

(2) الوظائف التداولية، ص 9.

(3) ينظر: روبنز: موجز تاريخ علم اللغة، ترجمة: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1997، ص 361، 362.

(4) مسعود صحراوي: "المنحى الوظيفي" في التراث اللغوي العربي، ص 13.

التركييب كما يراها بعض علماء اللغة التي من أهمّها مطابقتها لمتطلبات المناسبات، ومقتضيات الأحوال⁽¹⁾، أو ما يسمّى بالخلفية الوظيفية أو خلفية وظيفة التبليغ والتواصل التي تحقق صحتها النحوية الوظيفية⁽²⁾ .

مرّت نظرية النحو الوظيفي بمرحلتين هما:

نموذج الجملة (1978):

ظهر مع كتاب سمون ديك "النحو الوظيفي" (Functional grammar)، وتلته أبحاث ومؤلفات أخرى، تعالج موضوع نحو الجملة .

نموذج النص (1989):

ظهر مع كتاب ديك "نظرية النحو الوظيفي" (The theory of functional grammar) هذا النموذج يتميز عن النموذج الأول بأفكار جديدة تجاوزت نحو الجملة إلى نحو النص، وقد أُتبع هذا الكتاب بدراسات وأبحاث أجراها المؤلف مع عدد من الباحثين (منهم أحمد المتوكل) وأعمالهم مستمرة إلى اليوم تقوم بضبط أفكار هذا النموذج ومفاهيمه وتدقيقها وتوسيعها⁽³⁾.

المبادئ الوظيفية في نظرية النحو الوظيفي:

على أساس معيار "الوظيفة" الذي هو أهم ما يميز نظرية النحو الوظيفي حدّد منظرو هذا الاتجاه منطلقات منهجية وأساساً تقوم عليها نظريتهم سمّيت المبادئ الوظيفية، نلخص أهمّها فيما يلي⁽⁴⁾ :

(1) ينظر: مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1986/1406، ص226.

(2) ينظر: عبد الجبار توأمة: المنهج الوظيفي العربي الجديد لتجديد النحو العربي، أعمال ندوة تيسير النحو المنعقدة في 23، 24 أبريل 2001، بالمكتبة الوطنية، الجزائر، 2001، ص282.

(3) ينظر: يحيى بعبيطيش: النحو العربي بين التعصير والتيسير، (مقال)، المجلس الأعلى للغة العربية، أعمال ندوة تيسير النحو، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، 2001، ص122.

(4) ينظر: Simon Dik في: المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص78؛ الوظائف التداولية، ص10؛ دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص9؛ قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص13؛ وينظر: محمود سليمان ياقوت: فقه اللغة وعلم اللغة، ص225.

1- الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية هي وظيفة التواصل:

النحو الوظيفي نظرية لسانية تسعى إلى أن توصف اللغات الطبيعية وظيفيا وذلك باعتبار الخصائص البنوية للغات محدّدة (جزئيا على الأقل) بما تسعى هذه اللغات إلى تحقيقه من أهداف تواصلية⁽¹⁾. فاللغويون الوظيفيون يجمعون على أن اللغة ظاهرة إنسانية اجتماعية تختلف بنياتها من مجتمع لآخر، وتتشترك عند كل المجتمعات في وظيفة واحدة، فهي تستعمل أساسا لإقامة التواصل بين البشر وهو وظيفتها الأساسية، وهذا لا ينفي أنها تقوم بوظائف ثانوية أخرى كالوظائف الست التي أقرها جاكبسون والوظائف الثلاث لهاليداي.

2- تبعية البنية للوظيفة :

اللسان الطبيعي بنية (تراكيب أو عبارات) تؤدي وظيفة أساسية هي التواصل، بحيث تتحدد الخصائص البنوية لعبارات هذا اللسان (صرف، تركيب، تنغيم) انطلاقا من الأغراض التواصلية التي تستعمل هذه العبارات وسائل لتحقيقها، فبين البنية والوظيفة علاقة تبعية⁽²⁾؛ فبنية العبارات اللغوية تعكس إلى حد بعيد وظيفتها التواصلية في واقع لغوي محدد، وفي ظل معطيات إنجازية خاصّة، وهذا مبدأ منهجي عامّ معتمد في اللسانيات الوظيفية⁽³⁾، واستجابة لهذا المبدأ المنهجي تدرس ظواهر اللغة بوصفها كلاما محددا مستعملا من قبل مخاطب محدد في ظروف محدّدة موجهة إلى مخاطب محدد لأداء وظيفة تواصلية محدّدة. وهذا أهم مبدأ يقوم عليه الدرس الوظيفي المعاصر، « فالبنية التركيبية والصرفية تعكس إلى حد بعيد الخصائص المرتبطة بوظيفة التواصل، بحيث يمكن اعتبار بعض مقومات هذه البنية وسائل للتعبير عن الأغراض التواصلية التي يسعى المتكلم إلى تحقيقها في طبقات مقامية معينة. »⁽⁴⁾

(1) ينظر: المتوكل : الوظائف التداولية، ص11.

(2) ينظر: المتوكل: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، كلية الآداب، الرباط، المغرب، ط1، 1993، ص21.

(3) ينظر: المتوكل: الوظيفة والبنية، ص35.

(4) المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص65.

3- موضوع الدرس اللساني هو وصف "القدرة التواصلية" (المتكلم/المخاطب).

موضوع الدرس اللغوي عند الوظيفيين التداوليين هو وصف القدرة التواصلية للمتكلم/المستمع، التي تجمع بين النحو والتداول، مخالفين بنظرتهم هذه ما ذهب إليه تشومسكي (1977، 1988) الذي يرى أن القدرة قدرتان: قدرة نحوية صرف، وقدرة تداولية، ورغم هذا الاختلاف نجد كل النظريات اللسانية تكاد تجمع على أن موضوع الدرس اللساني والوصف اللغوي هو وصف القدرة التواصلية للمتكلم/المخاطب وتختلف في تحديد هذه القدرة⁽¹⁾. والقدرة التواصلية في نظرية النحو الوظيفي يحددها سيمون ديك (1989) بكونها: «ما يمكن (مستعملي اللغة الطبيعية) من التواصل فيما بينهم بواسطة العبارات اللغوية، أي ما يمكنهم من التفاهم والتأثير في مدخرهم المعلوماتي (بما في ذلك من معارف، وعقائد وأفكار مسبقة وإحساسات) والتأثير حتى في سلوكهم الفعلي عن طريق اللغة.»⁽²⁾

4- يجب أن يسعى النحو الطامح إلى الكفاية إلى تحقيق ثلاثة أنواع من الكفايات تنفرد نظرية النحو الوظيفي لسيمون ديك بمبدأ آخر إضافة إلى مبدأ تبعية البنية للوظيفة هو وجوب أن يسعى النحو الطامح إلى الكفاية إلى تحقيق ثلاثة أنواع من الكفايات⁽³⁾

أ- الكفاية التداولية (Pragmatic adequacy):

الكفاية التداولية هي ما يربط بين خصائص العبارات اللغوية وكيفية استعمالها في سياق ومقام خاصين، وتتحقق هذه الكفاية في نحو ما إذا كان قادرا على كشف التفاعل القائم بين بنية اللغات الطبيعية ووظيفتها التواصلية. ويكتب ديك

(1) ينظر: المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص16.

(2) ديك في: المرجع نفسه، ص 16.

(3) ينظر: Simon Dik في: المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص78؛ الوظائف التداولية، ص10؛ دراسات في نحو اللغة

العربية الوظيفي، ص9؛ قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص13.

(1989) في معرض تعريفه للكفاية التداولية: « نريد من النحو الوظيفي أن يكشف لنا عن خصائص العبارات اللغوية التي لها علاقة بالكيفية التي تستعمل بها هذه العبارات، وأن يفعل ذلك بالطريقة التي تمكن من ربط هذه الخصائص بالقواعد والمبادئ التي تحكم التفاعل اللغوي.»⁽¹⁾ فلا تحقق للكفاية التداولية من دون تفاعل بين البنية والوظيفة في سياق حديث خاص ومقام محدد.

ب- الكفاية النفسية (Psychological adequacy):

يسعى النحو الوظيفي إلى تحقيق الكفاية النفسية، في وصفه البنيات اللغوية من حيث إنتاجها وفهمها وتحليلها ولا يتأتى ذلك إلا بعدم مخالفة ما وصلت إليه علوم النفس بصفة عامة وعلم اللغة النفسي بصفة خاصة من نتائج وحقائق، يقول المتوكل: « يكون النحو كافيا نفسيا إذا لم يتعارض مع الفرضيات النفسية حول إنتاج اللغة وفهمها.»⁽²⁾ ويتم ذلك بالاستفادة من نتائج أبحاث علم النفس، وعلم اللغة النفسي Psycholinguistique ، ومتابعة تطورات النماذج النفسية (Psychological models) ومطابقتها سواء منها "نماذج الإنتاج"؛ أي إنتاج المتكلم العبارة اللغوية وصياغتها أو "نماذج الفهم"؛ أي تحديد الطريقة التي يحل بها المخاطب العبارة اللغوية ويؤولها التأويل الملائم⁽³⁾ . وبذلك تطابق قواعد هذا النحو العمليات القائمة في ذهن المتكلم/المستمع أثناء إنتاج الخطاب وفهمه، فالنحو الوظيفي يلغي من نمودجه القواعد التي شكك في واقعيتها النفسية كالقواعد التحويلية⁽⁴⁾.

ج- الكفاية النمطية (Typological adequacy):

تتمثل الكفاية النمطية في محاولة وضع نموذج شبه جامع لوصف أكبر قدر

(1) ديك، في: المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 19.

(2) المنهج الوظيفي، ص 21. (نقلا عن: محمود سليمان ياقوت: فقه اللغة وعلم اللغة، ص 225).

(3) ينظر: المتوكل: الوظائف التداولية ص 11، دروس في اللسانيات الوظيفية، ص 10. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 20.

(4) ينظر: المتوكل: الوظائف التداولية ص 11.

ممکن من اللغات، ويحقق النحو الكفاية النمطية إذا استطاع أن يضع نحواً للغات طبيعية متباينة نمطياً، وأن يصف ما يؤلف وما يخالف بين هذه اللغات المختلفة (ديك 1978)⁽¹⁾، وتقتضي الكفاية النمطية في لغة ما أن تظل قواعد وصف ظواهرها لاصقة بخصائصها، وأن تتميز بدرجة عالية من التجريد لتستطيع وصف الظاهرة نفسها في أكبر عدد ممكن من اللغات الطبيعية⁽²⁾.

ويصعب تحقق هذا النوع من الكفاية بل قد يستحيل ومردّ هذا أن كل لغة تتميز بخصائص إستمولوجية ومقومات فكرية وانتماء حضاري. يشير المتوكّل إلى هذه الصعوبة بقوله: «فإن اقتربت كثيراً من الوقائع اللغوية للغات معينة كان من العسير انطباقها على لغات أخرى وإذا كانت موعلة في التجريد أصبحت عاجزة عن رصد الوقائع اللغوية كما تحقق في لغات معينة. وهكذا، يتعين على النظرية الرامية إلى الحصول على درجة معقولة من الكفاية النمطية أن تصوغ مبادئها وقواعدها وتمثيلات متوخية توسطاً بين التجريد واللموسية يؤهلها لوصف أكبر عدد ممكن من اللغات الطبيعية.»⁽³⁾

يعدّ المبدأ الثاني (تبعية البنية للوظيفة) المبدأ الوظيفي الأهم والأكثر واقعية وإجرائية، لذا ركزنا عليه وكان أساساً نظرياً لدراستنا. ويُعدّ المبدأ الأول (الوظيفة الأساسية للغات هي وظيفة التواصل) منطلقاً أساسياً تقرّ به جلّ النظريات اللغوية. ويُعدّ المبدأ الثالث (موضوع الدرس اللساني هو وصف القدرة التواصلية للمتكلّم/المخاطب) «مجرد سمة تمييزية، به تتمايز النظريات الوظيفية من النظريات غير الوظيفية، وليست له امتدادات تطبيقية.»⁽⁴⁾ والمبدأ الرابع (السعي إلى تحقيق الكفايات الثلاث) عبارة عن غايات قد لا تتحقق، ولم تتحقق تحقّقاً كاملاً

(1) ينظر: المتوكّل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية، ص 26. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 21.

(2) ينظر: المتوكّل: الوظيفة والبنية، ص 5.

(3) قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 21.

(4) مسعود صحراوي: "المنحى الوظيفي" في التراث اللغوي العربي، ص 17.

حتى في نظرية النحو الوظيفي ذاتها⁽¹⁾، وبخاصة ما تعلق بالكفاية النمطية.

هذا ولم نسلم بكل ما جاء في هذه النظرية وتبقى عملاً علمياً متميزاً مع ما يشوبها من نقص وما يعترئها من غموض في كثير من القضايا والمفاهيم الإجرائية ومما يؤخذ عليها الصياغة الصورية المعقدة والرموز الرياضية المجردة، والابتعاد عن الواقعية والبساطة في كثير من أفكارها⁽²⁾، وهي تسعى دوماً إلى التطوير والتعديل، ولا يزال منظروها في بحث مستمر، وتحوير وتجديد.

ثانياً: البنية والوظيفة في التراث العربي:

أ- البنية في التراث العربي:

1- بين البنية والصيغة :

البنية من البناء، وبناء الشيء يكون « بضمّ بعضه إلى بعض. »⁽³⁾ والصيغة هي البنية بهيئتها (حروفها وحركاتها) لها معنى معجمي وآخر صيغي كما لها وزن يمكن من وضعها في قالب من قوالب الأبنية المقررة في اللغة، فإذا لم يمكن ذلك اعتبرت الكلمة بنية وليست صيغة؛ فالصيغة منحصرة في الأسماء والأفعال والصفات، أما البنية فهي عامة شاملة لباقي مباني التقسيم: الضمير وأكثر الخوالب والظرف والأداة؛ فهذه الأخيرة (البنية) وإن دلت على معنى وظيفي فهو إنما تدل عليه بمادتها ولفظها ولا تدل عليه بقالبتها أو صيغتها، ومن ثم فإن كل صيغة بنية، وليس كل بنية صيغة⁽⁴⁾.

2- البنية في النحو العربي:

يرى علماء اللغة أنّ النحو العربي نشأ أول مرة لإصلاح اللحن الذي وقع في

(1) ينظر: السابق، ص17.

(2) ينظر: نفسه، ص13.

(3) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979، 302/1.

(4) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص133؛ وينظر: عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2002، ص25، 26.

قراءة القرآن، وفي ضبط أواخر كلماته، وبدأ ينتشر في البيئة العربية بسبب دخول الأعاجم والموالي في الإسلام؛ فبدأ العلماء بوضع «قواعد تركّز على العلامة الإعرابية»⁽¹⁾، ومبنى الكلمات دون الانتباه كثيرا إلى المعنى وهذا التوجّه قد فرضته ظروف تعليم اللغة لغير الناطقين بها (الأعاجم والموالي)، وفي هذا المضمار يقول حسان تمام: «ولكن الظروف التي دعت إلى نشأة الدراسات اللغوية العربية كانت العامل الرئيسي في تحديد مسار هذه الدراسات وفلسفة منهجها. فلقد نشأت دراسة العربية الفصحى علّاجا لظاهرة كان يخشى منها على اللغة وعلى القرآن، وهي التي سموها (ذيوخ اللحن)... من هنا اتّسمت الدراسات اللغوية العربية بسمّة الاتجاه إلى المبنى أساسا، ولم يكن قصدها إلى المعنى إلا تبعاً لذلك، وعلى استحياء.»⁽²⁾ واستمر هذا التركيز على المبنى أو الشكل زمنا طويلا، إلى أن صار عيبا انتقده بعض علماء اللغة، ومنهم الشيخ عبد القاهر الذي نجده يردّ على الذين قصرُوا النحو على الشكل وتحقيق العلامة الإعرابية قائلاً: «وأما النحو فظننته ضربا من التكلف، وبابا من التعسّف، وشيئا لا يستند إلى أصل، ولا يعتمد فيه على عقل، وأنّ ما زاد منه على معرفة الرفع والنصب وما يتصل بذلك مما تجده في المبادئ، فهو فضل لا يجدي نفعا ولا تحصل منه على فائدة، وضربوا له المثل بالملح كما عرفت.»⁽³⁾ شبّه النحو بالملح في الطعام قاصدا أهميته، ولكن يؤخذ منه على قدر الكفاية، ولا يعني أنّه يزهد في النحو، ويقلّل من شأنه بل بالعكس يحذر من ذلك، حيث يقول: «وأما زهدهم في النحو واحتقارهم له وإصغارهم أمره وتهاونهم به فصنيعهم في ذلك أشنع من صنيعهم في الذي تقدّم^(*).

(1) محمود أحمد نحلة: لغة القرآن الكريم في جزء عمّ، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 453، 454.

(2) اللغة العربية معناها ومبناها، ص 11، 12.

(3) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، شكله وشرح غامضه وخرج شواهد ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط 1، 2000، ص 67، 68.

(*) يقصد بالذي تقدم: ذم الشعر وتهجينه، والمنع من حفظه وروايته، والعلم بما فيه من بلاغة وما يختص به من أدب وحكمة. ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 86.

وأشبهه بأن يكون صدًا عن كتاب الله وعن معرفة معانيه. ⁽¹⁾

وعن إبعاد النحاة القدامى مجال النحو عن علم المعاني، وضرر ذلك يقول إبراهيم مصطفى: «فالنحاة حين قصروا النحو على أواخر الكلمات وعلى تعرف أحكامها قد ضيقوا من حدوده الواسعة، وسلكوا به طريقاً منحرفاً، إلى غاية قاصرة، وضيّعوا كثيراً من أحكام نظم الكلام وأسرار تأليف العبارة. فطرق الإثبات، والنفي، والتأكيد، والتوقيت، والتقديم، والتأخير، وغيرها من صور الكلام قد مروا بها من غير درس، إلا ما كان منها مأساً بالإعراب، أو متصلاً بأحكامه، وفاتهم لذلك كثير من فقه العربية، وتقدير أساليبها.» ⁽²⁾ وكلامه هذا لا نظنه يقصد به مرحلة نشأة النحو إذا ما نظرنا إلى ظروف هذه المرحلة، فما يريد أن يتجسد من الطبيعي أن يأتي في مراحل متطورة يطلب فيها الإبداع في الدراسة اللغوية، وذلك حينما يكون المتلقون لهذه اللغة أناساً فهموا على الأقل بعض أسرارها ولطائفها، أما أن تقدم هذه النماذج والأساليب لغير العربي فهذا غير ممكن. وقد كان هذا الاهتمام بالشكل أكثر من المعنى في بدايات نشأة النحو لغرض التعليم، أما فيما بعد فقد ظهر عند كثير من حذّاق النحاة والبلاغيين والأصوليين والمفسرين الاهتمام بالمعنى أو بوظيفة الكلمات بجانب شكلها، وعالجوا ظواهر لغوية تماثل تلك التي عولجت في النحو الوظيفي المعاصر، ومما تصدّوا له ظاهرة الترابط بين البنية الشكلية للغة وخصائصها الوظيفية التداولية ⁽³⁾، ومن هؤلاء العلماء سيويه (ت180هـ)، ابن جني (ت392هـ)، الجرجاني (ت471هـ)، السكاكي (ت626هـ). ففيما تركوه لنا وقفات منثورة تظهر حقاً عدم إهمالهم لمعاني البنيات والتراكيب ووظائفها، ومن ثم معرفتهم بالوظيفة الأساسية للغة وعلاقة البنية بالوظيفة كل ذلك في إطار التواصل، فقد عرف

(1) السابق، ص 86، 87.

(2) إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003، ص 2، 3.

(3) ينظر: أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص 41.

"ابن جني" اللغة على هذا الأساس قائلا: «أما حدّها فإنّها أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم.»⁽¹⁾ ؛ فاللغة ليست صوتاً فقط ولا مجموعة تراكيب معزولة، ولا لفظاً مجرداً من معنى، بل هي أداة تطلبتها أحوال البشر للتعبير بها عن أغراضهم من خلال خطابات معيّنة تجري في مقامات معينة، يقول عبد الرحمن الحاج صالح: «إنّ تعلّم اللغة لابدّ أن يستجيب لما يحتاج إليه المتعلم للتعبير عن كل ما يختلج في نفسه وما يبدو في ذهنه وما يكره من غرض، فاللغة وضعت للتبليغ والاتصال قبل كل شيء، فإذا لم يفهم ذلك المعلم وقصد تعليم الأساليب التي يجدها في النصوص في ذاتها ولنفسها، أي كنماذج الأساليب الجميلة، ودون مراعاة الاحتياجات التعبيرية الحقيقية التي يشعر بها المتكلم عند استعماله الفعلي للغة في مختلف الأحوال الخطابية التي تثيرها الحياة اليومية فإنه يكون بذلك أخطأ الغرض والأساس بل جمد بذلك استعمال اللغة العربية وقصره على الجانب الأدبي الجمالي ليس غيره.»⁽²⁾

ب- الوظيفة في التراث العربي:

1- ملامح المنحى الوظيفي التداولي عند العرب:

يرى المتوكل أنّ المبادئ المنهجية التي اعتمدها اللغويون القدامى تشابه من قريب أو من بعيد المبادئ المنهجية التي تحكم الدرس اللغوي الوظيفي المعاصر⁽³⁾.

وفيما يأتي نقدم شيئاً مما هو مطبّق ومطلوب من مبادئ وظيفية في الفكر اللغوي العربي:

(1) ابن جني: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، 2000، 33/1.

(2) الحاج صالح: الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي، المجلة العربية للتربية، تصدرها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، العدد 2، 1985، ص 22.

(3) ينظر: اللسانيات الوظيفية، ص 84.

1-1 الوظيفة الأساسية للغة هي وظيفة التواصل:

يشير ابن جني في تعريفه السابق للغة إلى أنها وسيلة التعبير عن الأغراض. ومكوناتها أصوات يختار منها الإنسان ما يلائم مقاصده وما يفصح به عما يختلج في صدره من شعور وما يجول في خاطره من فكر؛ فاللغة معتبرة بأحوال استعمالها بين أفراد المجتمع، ولهذا كان تعليم اللغة يهدف إلى إكساب المتعلم القدرة على تبليغ أغراضه بعبارات سليمة في أحوال الخطابات المختلفة، يقول عبد الرحمن الحاج صالح: «الغاية القريبة والبعيدة التي يرمي إليها كل تعليم للغات الحية هو تحصيل المتعلم على القدرة العملية على تبليغ أغراضه بتلك اللغة وفي نفس الوقت على تأدية هذه الأغراض بعبارات سليمة، أي من تلك التي تنتمي إلى ما تعارفه الناطقون بها أوضاعاً ومقاييس.»⁽¹⁾ ومن قبلُ نبه ابن هشام على ضرورة مراعاة الوظيفة التواصلية عند الإعراب وحذر النحويّ من التقصير في ذلك تركيزاً على جانب الصناعة النحوية على حساب المعنى قائلاً: «أن يراعي ما يقتضيه ظاهر الصناعة ولا يراعي المعنى، وكثيراً ما نزل الأقدام بسبب ذلك.»⁽²⁾

1-2 تبعية البنية للوظيفة:

تحدث سيبويه في كثير من أبواب كتابه على المعنى الوظيفي وبين أن المبنى يأتي لخدمته، يقول الراجحي: «والمنهج الذي نرتضيه هو الذي يقع في الناحية الأخرى، وهو الذي أصله سيبويه وظل يوجه الفكر النحوي في تاريخه الطويل، المعنى هو الأصل في اللغة، وليس للنحوي غاية إلا الوصول إلى المعنى، وكل فصيلة من فصائل النحو، وكل تركيب من تراكيبه ليس مجرد أشكال ومبان، وإنما هي معان تتقمص مباني، ومن ثم فإن التحليل يرد المبنى إلى أصله، ويربطه بمعناه، أو يجعله تالياً له، فالمبتدأ والخبر ليسا اسمين مرفوعين في بنية

(1) الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي، ص19.

(2) ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: صلاح عبد العزيز علي السيد، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 2004، 675/2.

شكلية، وإنما هما تركيب مخصوص يصدر عن معنى معين...»⁽¹⁾، وبهذا تكون العلامات الإعرابية والتقسيمات المبنوية والظواهر النحوية سمات تمييزية لخدمة المعنى وهو الموجه لها وسبب وجودها. يقول السيرافي (ت368هـ): «إعلم أنّ المعرفة تشارك النكرة في موضعين، وإنما يكون التعريف والتتكير فيهما على قصد المتكلم...»⁽²⁾ فالأغراض هي الأساس فيما يطرأ على البنيات.

ويقر الزمخشري (ت538هـ) أنّ الوظيفة التواصلية أو المعنى هو المحدّد للفظ وأساس وجوده و«اللفظ تابع للمعنى»⁽³⁾ وكل تغيير يطرأ على المباني من حذف أو زيادة أو إدغام أو فك لا بد أن يكون أساسه ما أريد بهذه المباني من معان، يقول ابن جني: «فإذا كانت الألفاظ أدلة المعاني ثم زيد فيها شيء أوجبت القسمة له زيادة المعنى به، وكذلك إن انحرف به عن سمته (وهديته)، كان ذلك دليلاً على حادث متجدّد له»⁽⁴⁾ فالبنية بألفاظها وتراكيبها تأتي لخدمة وظيفة التواصل وأداء المعاني، «فكان العرب إنما تحلي ألفاظها وتدبجها وتشبّثها وتزخرفها عناية بالمعاني التي وراءها وتوصلاً بها إلى إدراك مطالبها»⁽⁵⁾؛ فالعرب تأتي بكلامها على أساس من هدف تأليفه. قال ابن جني في حديثه عن الوظيفة التواصلية للالتفات إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 5) بعد ما كان بصيغة الغيبة في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة: 2) «فليس ترك الغيبة إلى الخطاب اتساعاً

(1) عبده الراجحي: النظريات اللغوية المعاصرة وموقفها من العربية، ضمن: تمام حسان رائدا لغويا، كتاب تذكاري، إعداد وإشراف: عبد الرحمن حسن العارف، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1423/2002، ص250.

(2) إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، ص176.

(3) الزمخشري: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998، 82/5.

(4) الخصائص 268/3.

(5) نفسه 220/1.

وتصرفا بل هو لأمر أعلى ومهم من الغرض أعنى. وذلك أن الحمد معنى دون العبادة، ألا تراك قد تحمد نظيرك ولا تعبد؛ لأنَّ العبادة غاية الطاعة والتقرب بها هو النهاية والغاية؟ فلما كان كذلك استعمل لفظ (الحمد) لتوسطه مع الغيبة، فقال: "الحمد لله"، ولم يقل لك، ولما صار إلى العبادة التي هي أقصى أمد الطاعة قال: "إياك نعبد"، فخطب بالعبادة إصرًا بها، وتقربًا منه (عزَّ اسمه) بالانتهاء إلى محدوده منها.⁽¹⁾

هذا وقد ذهب كثير من اللغويين العرب إلى أنه إضافة إلى تبعية الألفاظ لمعانيها وذلك باختيار لفظ دون آخر أو العدول عنه إلى غيره تتبَّع الألفاظ وظائفها في بناء صيغها وأوزانها وربما في تحديد نوع حروفها ومخارجها وترتيبها وهي قاعدة عربية، يقول ابن القيم (ت751هـ) - في حديثه عن وزن كلمة "وسواس" - : « ولما كانت الوسوسة كلامًا يكرره الموسوس، ويؤكدده عند من يلقيه إليه كرروا لفظها بإزاء تكرير معناها. فقالوا: وسوس وسوسة. فراعوا تكرير اللفظ ليفهم منه تكرير مسماه... فتأمل أنه مطابق للقاعدة العربية في الحذو بالألفاظ حذو المعاني.⁽²⁾ ومثله ما جاء في قول ابن جني: « كررت الألفاظ لتكرير المعاني كالزلزلة والصَّلصلة والصَّرصرة. »⁽³⁾ ففي هذه الألفاظ تتاسب ملحوظ بين البناء والمعنى إلى حد كبير وفي هذا الشأن يقول أيضا: « فلما كانت الأفعال دليلاً للمعاني كرروا أقواها، وجعلوه دليلاً على قوة المعنى المحدث به، وهو تكرير الفعل، كما جعلوا تقطيعه في نحو صرصر وحقق دليلاً على تقطيعه. ولم يكونوا ليضعفوا الفاء ولا اللام لكرهية التضعيف في أول الكلمة والإشفاق على الحرف المضعف أن يجيء في آخرها، وهو مكان الحذف وموضع الإعلال،

(1) ابن جني: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرين، وزارة الأوقاف، القاهرة، 1994، 1/146.

(2) ابن القيم: التفسير القيم، جمع: محمد أويس الندوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ت)، ص 600، 601.

(3) الخصائص 2/201.

وهم قد أرادوا تحصين الحرف الدال على قوة الفعل، فهذا أيضاً من مساوقة الصيغة للمعاني.⁽¹⁾ والعرب تجعل الأصوات على سمت الأحداث المعبر بها عنها « من ذلك قولهم: خضم وقضم. فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب. والقضم للصلب اليابس، نحو قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك.»⁽²⁾؛ فالخاء الرخوة للرطب والقاف الصلبة للصلب، ومثل هذا كثير⁽³⁾.

ومنهم من قال بترك التجنيس والعدول عنه مراعاة للمعنى وذلك فيما نقله الزركشي (ت794هـ) عن الشيخ كمال الدين بن الزمكاني رأيته في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (يوسف: 17) «قال: معناه: وما أنت مصدق لنا، فيقال: ما الحكمة في العدول عن الجناس، وهلا قيل: (وما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين)، فإنه يؤدي معنى الأول مع زيادة رعاية التجنيس اللفظي؟ والجواب أن (في مؤمن لنا) من المعنى ما ليس في (مصدق) وذلك أنك إذا قلت (مصدق لي) فمعناه: قال لي: صدقت، وأما (مؤمن) فمعناه مع التصديق إعطاء الأمن ومقصودهم التصديق وزيادة وهو طلب الأمن، فهذا عدل إليه.»⁽⁴⁾ وبناء على ما أوردنا من شواهد نخلص إلى أن العرب كانوا يراعون في كلامهم الوظيفة التواصلية ويجعلون المقاصد أساس كل حديث يجرى بينهم وأساس كل تعبير عن الفكر أو عن الشعور، ويؤكد هذا علماء اللغة بفكرهم العميق وبنظرهم الثاقب في دراساتهم في كل مسائل اللغة وفي كل مستوياتها.

(1) السابق 155/2.

(2) نفسه 157/2؛ وينظر: السيوطي: المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، شرح محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2004، 51/1.

(3) ينظر: ابن جني: الخصائص 158/2-162.

(4) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2005، 278/3.

1-3 ملامح تحقيق الكفايات في التراث العربي:

1-3-1 الكفاية التداولية:

لا يمكن أن نقول إن الكفاية التداولية قد تحققت في عبارة أو لفظ ما إلا بحصول التفاعل بين بنيتها ووظيفتها في سياق كلام خاص، وفي مقام أحوال خاص كذلك (*).

والسياق من أهم القرائن الدالة على المعنى. قال الزركشي - في حديثه عن الأمور التي تعين على معرفة المعنى عند الإشكال -: « دلالة السياق، فإنها ترشد إلى تبين المجل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ

الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ (الدخان: 49) كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير. »⁽¹⁾

وهناك عوامل متعددة تتفاعل في إنتاج الكلام وفهمه، منها المتكلم والمستمع والمقام وظروف الاتصال، ولكن تبقى بنيته دائماً رهينة وظيفته التواصلية⁽²⁾. هذه الوظيفة لا تعرف حقيقتها إلا من خلال السياق الذي وردت فيه، وهو من أهم عوامل تحديد وظيفته التواصلية؛ فلا يفهم الكلام ولا جدوى من تحليله إلا في إطاره، وإلى هذا ذهب سيبويه في حديثه عن مجيء الحال بعد الضمائر المسند إليها في مقام الفخر أو الوعيد أو التصغير للنفس: « وقد تقول: هو عبد الله، وأنا

(*) السياق يختلف عن المقام لكنهما قد يتداخلان « فالسياق هو مجرى الكلام وتسلسله واتصال بعضه ببعض. وأما المقام فهو الحالة التي يقال فيها الكلام وذلك كأن يكون المقام مقام حزن وبكاء أو مقام فرح وسرور أو مقام تكريم أو مقام ذم أو غير ذلك. » فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص63.

(1) البرهان في علوم القرآن 127/2.

(2) ينظر: عبد القادر المهيري: مساهمة في التعريف بأراء عبد القاهر الجرجاني في اللغة والبلاغة، حوايات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية العدد 11، 1974، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ص107.

عبد الله، فافخرا أو موعدا، أي اعرفني بما كنت تعرف وبما كان بلغك عني، ثم يفسر الحال التي كان يعلمه عليها أو تبليغه فيقول: أنا عبد الله كريما جوادا: وهو عبد الله شجاعا بطلا. وتقول: إني عبد الله، مصغرا نفسه لربه، ثم تفسر حال العبيد فتقول: آكلا كما تأكل العبيد...»⁽¹⁾، ونجده في موضع آخر يبين أهمية خلفيات الكلام من مقام المخاطبين وحالهم في توجيه معنى العبارات والتراكيب، ويحذر من التهاون بذلك، فيقول: «وإنما ذكر الخليل رحمه الله هذا لتعرف ما يحال منه وما يحسن، فإنّ النحويين مما يتهاونون بالخلف إذا عرفوا الإعراب. وذلك أنّ رجلا من إخوانك ومعرفتكَ لو أراد أن يخبرك عن نفسه أو عن غيره بأمر فقال: أنا عبد الله منطلقا، وهو زيد منطلقا، كان محالا، لأنه إنما أراد أن يخبرك بالانطلاق، ولم يقل هو ولا أنا حتى استغنيت أنت عن التسمية، لأنّ هو وأنا علامتان للمضمر، وإنما يضمر إذا علم أنك قد عرفت من يعني. إلا أنّ رجلا لو كان خلف حائط، أوفي موضع تجهله فيه فقلت من أنت؟ فقال: أنا عبد الله منطلقا في حاجتك، كان حسنا.»⁽²⁾ وأظنه يقصد هنا بالخلف ما خلف الكلام من محددات معنوية لوجهة الكلام كالمقام وسياق الكلام، وهذا ما قامت على أساسه نظريات لغوية وصفت بالجدية والحادثة. ففي تحليله للخطاب يركز على فهم المخاطب والسياق الخارجي للكلام، وهما عنده في كثير من الأحيان أهمّ من التراكيب والألفاظ ذاتها فقد يُستغنى عن هذه البنيات ويُستعاض عنها بالسياق والموقف الاستعمالي للكلام؛ فبحسب المقام نُفصل في الكلام أو نوجز فيه وبحسبه نذكر أو نحذف، وبسبب من هذا يفرق السكاكي بين مقامات الكلام في قوله: «لا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام التهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل. وكذلك مقام الكلام ابتداء

(1) سيبويه: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الغانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1988، 80/2.

(2) نفسه 80/2، 81.

يغايير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغايير مقام البناء على الإنكار؛ جميع ذلك معلوم لكلّ لبّيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغايير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر.⁽¹⁾

ولا يمكن الفصل بين البنية والوظيفة في زمن الإنتاج وفي مقامه وسياقه بل تصدر متفاعلة جملة واحدة، يقول الجرجاني: «فإذا وجب لمعنى أن يكون أولاً في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولاً في النطق؛ فأما أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب، وأن يكون الفكر في النظم الذي يتوآصفه البلغاء فكراً في نظم الألفاظ، أو أن تحتاج بعد ترتيب المعاني إلى فكر تستأنفه لأنّ تجيء بالألفاظ على نسقها فباطل من الظنّ ووهم يتخيل إلى من لا يوفي النظر حقه، وكيف تكون مفكراً في نظم الألفاظ وأنت لا تعقل لها أوصافاً وأحوالاً إذا عرفت عرفت أن حقها أن تنظم على وجه كذا؟»⁽²⁾ فالغايات هي الموجه الأساس للبنية اللغوية. ومن أجل ذلك دعا الجرجاني إلى دراسة التركيب اللغوي دراسة توضّح المعاني الوظيفية وأوجه الدلالة في العبارة، وذلك في إطار ما يتصل بالنظم من بناء وترتيب وتعليق⁽³⁾، والعلم بالوجوه والفروق لذاتها لا فائدة منه، بل المزية أن تدرك مواضعها، فتصنع كلامك على الوجه الذي تقتضيه هذه المواضع، يقول الجرجاني: «واعلم أنا لم نوجب المزية من أجل العلم بأنفس الفروق والوجوه. فنستند إلى اللغة، ولكنّا أوجبناها للعلم بمواضعها وما ينبغي أن يصنع فيها، فليس الفضل للعلم بأنّ (الواو) للجمع و(الفاء) للتعقيب بغير تراخ، و(ثم) له بشرط التراخي، وإنّ لكذا وإذا لكذا؛ ولكن لأنّ يتأتّى لك إذا نظمت وألفت رسالة أن تحسن التخير وأن تعرف لكل من ذلك موضعه.»⁽⁴⁾

(1) السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ص256؛ وينظر: ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار الجيل، بيروت، (د ت)، ص609.

(2) دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص104.

(3) ينظر: فاضل مصطفى الساقى: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الغانجي، القاهرة، 1977، ص95.

(4) دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص261.

من كل ما رأينا ندرك أنّ الوظيفة التداولية تفرض على المتكلم أن يختار للتعبير عن مقصده البنية المناسبة له.

1-3-2 الكفاية النفسية:

تتحقق الكفاية النفسية في البنيات اللغوية ما لم تخالف نتائج علم النفس وأبحاثه سواء في إنتاجها أو فهمها أو تحليلها ووصفها، والعربية قادرة على تحقيقها لما تتصف به من ثراء وغنى يتيح للمتكلم اختيار الألفاظ والعبارات أو العدول عنها بصورة ميسورة، وللعرب في ذلك طرق وتفننات، والنماذج كثيرة.

نقل السيوطي عن الفارابي في كتاب (الألفاظ والحروف): « كانت قريش أجود العرب انتقاداً [انتقاء] للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعاً وأبينها إبانة عما في النفس. »⁽¹⁾ قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ

الرَّشِيدُ ﴾ (هود: 87)، قال الإمام القرطبي: « يَعْنُونَ: عند نفسك بزعمك؛ ومثله

في صفة أبي جهل: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ (الدخان: 49) أي عند

نفسك بزعمك. وقيل قالوه على وجه الاستهزاء والسخرية، قاله قتادة، ومنه قولهم للحبشي: أبو البيضاء وللأبيض: أبو الجون. وقال سفيان بن عيينة: العرب تصف الشيء بضده للتطير والتفاؤل، كما قيل: للديع سليم، وللفلاة (مفازة). وقيل هو تعريض أرادوا به السب... »⁽²⁾

(1) السيوطي: المزهري في علوم اللغة وأنواعها 172/1. ومما نقله السيوطي عن الفارابي في كتاب (الألفاظ والحروف): « والذين عنهم نقلت العربية، وبهم اقتدي، و عنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم أُتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم. » السيوطي: المزهري في علوم اللغة وأنواعها 172/1، 173.

غير أن أستاذنا عبد الرحمن الحاج صالح يخالف هذا الرأي قائلاً: « إن جميع ما وصل إلينا من الشعر من الفترة الأولى هو بالعربية التي نزل بها القرآن... فقد أخذ اللغويون من جميع القبائل وبذلك يسقط ما ادعاه الفارابي من عدم أخذهم من هؤلاء -[أشار إلى جذام وتتوخ ولخم وغسان وبلي وخولان وغيرها]- ومن بكر وتغلب وثقيف وغيرها. » السماع اللغوي العلمي

عند العرب ومفهوم الفصاحة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص131.

(2) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط 1، 2004، 1587/2.

قال سيدنا إبراهيم عليه السلام لأبيه وهو في مقام تخويفه عذاب الله تعالى له:

﴿يَتَأْتِيَنِي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ

وَلِيًّا﴾ (مريم:45) « حيث عبّر بـ(يَمَسُّكَ) بدلا من (يصيبك)، و بـ (الرحمن)

بدلا من (الجبار) كأنه يخوِّفه العذاب الأدنى لو عامله الله برحمته فكيف لو عامله بشدته وجبروته.⁽¹⁾ وفي هذا دقة اختيار اللفظ المؤدي للمعنى، وبراعة تصوير للحال والمآل، ومراعاة بيّنة للجانب النفسي.

ونأتي هنا بنموذج عرضه ابن جني يتعلّق بتغير بنية الجملة وذلك بتغير رتبة المفعول به والتأكيد على وظيفته وأهميته - رغم أنهم يعتبرونه فضلة- والدلالات الوظيفية والنفسية التي يتوخاها العرب من كل هذا، فيقول: «ينبغي أن يعلم هنا وذلك أن أصل وضع المفعول أن يكون فضلة، وبعد الفاعل، كضرب زيد عمرا، فإذا عناهم ذكر المفعول قدّموه على الفاعل فقالوا: ضرب عمرا زيد. فإن ازدادت عنايتهم به قدّموه على الفعل الناصبه فقالوا: عمرا ضرب زيد. فإن تظاهرت العناية به عقّده على أنه رب الجملة. وتجاوزوا به حد كونه فضلة فقالوا: عمرو ضربه زيد. فجاءوا به مجيئا ينافي كونه فضلة، ثم زادوه على هذه الرتبة فقالوا: عمرو ضرب زيد، فحذفوا ضميره ونووه ولم ينصبوه على ظاهر أمره؛ رغبة به عن صورة الفضلة وتحاميا لنصبه الدال على كون غيره صاحب الجملة. ثم إنهم لم يرضوا له بهذه المنزلة حتى صاغوا الفعل له وبنوه على أنه مخصص به، وألغوا ذكر الفاعل مظهرا أو مضمرا فقالوا: ضُرب عمرو، فاطّرح ذكر الفاعل ألّبتة. نعم، وأسندوا بعض الأفعال إلى المفعول دون الفاعل ألّبتة، وهو قولهم: أولعت بالشيء. ولا يقولون: أولعني به كذا. وقالوا: تُلج فؤاد الرجل، ولم يقولوا تُلجه كذا، وامتّع لونه، ولم يقولوا: امتّعه كذا، ولهذا نظائر.

(1) عبد الحميد هندوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص179.

فرفض الفاعل هنا ألبتة، واعتماد المفعول به ألبتة دليل على ما قلناه فاعرفه...»⁽¹⁾ هذا القول دليل واضح على اهتمام العرب بالكفاية النفسية وضرورة تحققها في كلامهم قبل أن يكون بنيات مسموعة أو مكتوبة، فهي قرينة المعاني في النفس قبل النظم، تخرج بحسب الوظيفة التواصلية الخاصة في سياق أو مقام خاص ليقصد بها مخاطباً خاصاً تميزه حالة نفسية خاصة، فلا اعتبارية في كل هذا، يقول الجرجاني: «وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس.»⁽²⁾ ونجده يصور لنا متى يكون التمثيل [التشبيه] محققاً للكفاية النفسية قائلاً: «واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها واستثار لها من أقاصي الأفئدة صباغة وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا. فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأهز للعطف، وأسرع للإلف، وأجلب للفرح، وأغلب على الممتدح، وأوجب شفاعا للمادح، وأقصى له بغرّ المواهب والمناجح وأسير على الألسن وأذكر، وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر. وإن كان ذما كان مسه أوجع، وميسمه أذع، ووقعه أشد، وحده أهد. وإن كان حجاجا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر. وإن كان افتخارا كان شأوه أبعد، وشرفه أجد، ولسانه ألد. وإن كان اعتذارا كان إلى القبول أقرب، وللقلوب أخلب، وللسخائم أسل، ولغرْب الغضب أقل، وفي عَقْد العقود أنفث، وعلى حسن الرجوع أبعث. وإن كان وعظا كان أشفى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر، وأجدر بأن يجلي الغيابة ويبصر

(1) المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها 65/1.

(2) دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 102.

الغاية، ويبرئ العليل، ويشفي الغليل.»⁽¹⁾ نقلنا النص كاملاً رغم طوله لتمامه وإبرازه بمجموعه سعة العربية واستيعاب الكلام العربي لكل فنون القول، وتأكيده على مقدرة المتكلم العربي على تحقيق الكفاية النفسية في إنتاجه للكلام وفي تلقيه وفهمه، في كل المواقف وعلى كل الأحوال ما دعت وظيفة التواصل إلى ذلك، فالجرجاني في إلحاحه على تحقيق الكفاية النفسية في الكلام لا يطلب مستحيلاً. وأشار في مواضع كثيرة - إلى أنه لا فائدة من كلام لا تتحقق فيه، وقد كان للجرجاني دور متميز في إبراز العلاقة بين صياغة الكلام وما يصحبها من عوامل نفسية توجهها؛ « فلا نكاد نجد في تراثنا العربي من يُعنى بجانب الصياغة إلا عبد القاهر الجرجاني الذي اقترح للصياغة أربع مراحل هي: النظم والبناء والترتيب والتعليق، وإذا كان عبد القاهر قد استمد هذا الإطار الفكري من مذهب الأشاعرة في مسألة الكلام النفسي فلقد كان سابقاً بعدة قرون للدراسات اللغوية النفسية الحديثة التي تتناول إنتاج النص اللغوي »⁽²⁾

2- سمات وظيفية تداولية في الصيغ الصرفية العربية:

2-1 سمة المرونة في الصيغ:

لا شك أن الكلام حين تتنوع أساليبه ويتغير أدائه يرفع كثيراً من الملل والسأم الذي يمكن أن يصيب المخاطب ويقلل فعالية الكلام في أداء وظيفته التواصلية كما يجب أن يكون، والتراكيب التي تتسم بالمرونة في الأداء تراكيب تتسم بالثراء والغناء اللغوي أيضاً كما أن في بعض مظاهر سمة المرونة حلاً لمشكلات تعبيرية وضع لها النحاة مبررات عدم مخالفة القاعدة النحوية العامة؛ فالحمل على المعنى الذي هو من أهم سمات العربية -مثلاً- يرد حلاً لبعض التغيرات والقضايا

(1) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 2003، ص 88، 89.

(2) تمام حسان: مقدمة كتاب: روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998، ص 5.

والتصرفات التي لا تصلح لأن تفسّر إلا في ضوءه؛ فالإشارة إلى المؤنث باسم الإشارة المذكر، والإشارة إلى المذكر باسم الإشارة المؤنث ليس له حلّ إلا في القول بسمة الحمل على المعنى، ومثله تفسير سمة التضمين لتعدي الأفعال اللازمة... ولكن لا تعني هذه السمة -سمة المرونة- في البنيات العربية أنها غير محكومة بأصول ومقاييس أو أنها فوضوية لا تسير وفق قواعد منظمة، « وإنما تعني أنها تراكيب متنوعة في أدائها، متجددة في سلوكها، بما يسمح للغة أن تفي بحاجات كل عصر، ولا تقف بما لها من عطاء عند حدود عصر معين، مما يضمن لهذه اللغة الخلود والبقاء دائما.»⁽¹⁾ ومن المظاهر التي تدل على مرونة الصيغ الصرفية العربية^(*):

2-1-1 توليد المعاني وتوسيعها:

من ذلك توليد معان كثيرة من جذر واحد باستعماله استعمالات مختلفة حسب الوظيفة التواصلية المقصودة منه؛ فالجذر (ف ق هـ) -مثلا- يستعمل بمعنى الفهم عند كسر قافه نحو: فقه محمد المسألة؛ أي: فهمها، ويستعمل بمعنى أنّ الفقه أصبح سجية في من اتصف به، عند ضم قافه؛ نحو: فقه محمد؛ أي: صار فقيها. ومثله: خطّب وخطُِبَ⁽²⁾.

ولجذر (ح ل م) معان مختلفة بحسب اختلاف حركة عين فعله؛ فحلم بمعنى رأى في المنام، وحلم بمعنى صار حليما، وحلم الأديم إذا فسد وتثقب⁽³⁾. ومن جذر (ع د ل) عدل لما يعادل من المتاع، وعدل لما يعادل من الأناسي⁽⁴⁾. ومن جذر (ع د و) العدى بكسر العين الأعداء الذين تقاتلهم، والعدى بضمّها

(1) ياسر حسن رجب: سمة المرونة في التراكيب النحوية، مظاهرها وقيمتها، مقال بمجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد 21 صفر، يونيه، 1997، ص 182.

(*) أخذت أكثر عناوين هذه المظاهر من المقال السابق.

(2) ينظر: فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، دار عمار، عمان، الأردن، ط2، 2007، ص 86.

(3) ينظر: فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص 222.

(4) ينظر: نفسه، ص 224.

الأعداء الذين لا تقاثلهم⁽¹⁾. ومثل هذا كثير في العربية.

2-1-2 النقل والنيابة:

تتنقل أقسام الكلام العربي لينوب بعضها عن الآخر فيؤدي وظيفته التواصلية، في سياق حديث ما أو في مقام محدد، ومن أمثلة ذلك: - نقل المصادر باستعمالها استعمال الظروف، نحو: سأتيك صلاة العصر، أو خفوق النجم (أي مغيبه). استعمل المصدران (صلاة) و(خفوق) استعمال الظرف توسّعا في الكلام⁽²⁾.

- ومنه نقل الصفات لتتوب عن المصدر وتؤدي وظيفته في السياق: فينقل اسم الفاعل من الدلالة على وصف الفاعل بالحدث ليدل على الحدث، نحو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَوْقَعَتَهَا كَاذِبَةٌ﴾ (الواقعة: 2)، فكلمة كاذبة هنا بمعنى المصدر (الكذب)، ومنه قوله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾ (الحاقة: 8)، أي من بقاء⁽³⁾.

وينقل اسم المفعول لينوب عن المصدر ويختار ليؤدي معناه في السياق، نحو قوله تعالى: ﴿بِأَيِّكُمْ أَلْمَفَتُونَ﴾ (القلم: 6)، أي: بأيكم الفتنة، قال ابن عاشور: «ويجوز أن يكون (المفتون) مصدرا على وزن المفعول مثل المعقول بمعنى العقل والمجلود بمعنى الجلد: والميسور لليسر، والمعسور لضده، وفي المثل: خذ من ميسوره ودع معسوره»⁽⁴⁾.

- ومنه نقل الصفات لتتوب عن الأعلام وتدل على مجرد التسمية: كنقل اسم الفاعل نحو: حارث، خالد، ومنير، وفاطمة، والقاهرة، والمتوكل. ونقل اسم المفعول

(1) ينظر: أبو البقاء الكفوي (ت1094هـ): الكليات "معجم في المصطلحات والفروق اللغوية" تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ط2، 1998، ص644.

(2) ينظر: ابن عيش: شرح المفصل للزمخشري، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، (د ت)، 44/2.

(3) ينظر: فاضل مصطفى الساقى: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، ص301.

(4) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، (د ت)، 67/29.

نحو: مسعود، المنصور ومهدي، ومرزوق. ونقل صيغ المبالغة، نحو: ضحّاك.

- ومنه نقل الأفعال لتتوب عن الأعلام كذلك، نحو: يزيد، وأحمد، وتأبّط شراً.

- ومنه نقل اسم المفعول لينوب عن اسم الزمان ويؤدي معناه في السياق.

قال أمية بن أبي الصلت (البسيط)⁽¹⁾:

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُمَسَّانًا وَمُصَبَّحَنَا بِالْخَيْرِ صَبَّحَنَا رَبِّي وَمَسَّانًا

فتعني الممسي والمصبح: الإمساء والإصباح.

- ومنه نقل الصفة المشبهة لتتوب عن اسم المفعول فتنتقل من معنى وصف

الفاعل بالحدث على سبيل الدوام والثبوت إلى معنى وصف المفعول بالحدث على

سبيل التجدد والانقطاع.

قال ابن مالك (ت672هـ)⁽²⁾: وَنَابَ نَقْلًا عَنْهُ ذُو فَعِيلٍ * نَحْوُ فَتَاةٍ أَوْ فَتَى كَحِيلٍ

« ينوب (فعل) عن (مفعول) في الدلالة على معناه، نحو: مررت برجل

جريح... »⁽³⁾. أي مجروح.

2-1-3 الإجراء:

ويتمثل في إجراء الشيء مجرى شيء آخر فيأخذ أحكامه وخصائصه، من ذلك

- مثلاً - إجراء الأسماء الجامدة مجرى الصفات المشتقة في الدلالة على معنى

الفعل وفي العمل حين ينسب إليها، فقلنا: هذا رجل عربي أصله. فكلمة (عربي)

عوضت الفعل (ينسب) في وظيفتيه التواصلية والنحوية؛ فقد دلت على معناه

ورفعت نائب فاعل (أصله)، « وما كان لهذه الكلمة الجامدة في الأصل أن تعمل

هذا العمل لولا إجراؤها مجرى الصفات المشتقة. »⁽⁴⁾

(1) أمية بن أبي الصلت: ديوان أمية بن أبي الصلت، جمعه وحققه وشرحه: سجيح جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، ط1، 1998، ص134.

(2) ابن مالك: ألفية ابن مالك في النحو والصرف، إعداد دار ابن خزيمة، السعودية، ط1، 1414هـ، ص66.

(3) ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: هادي حسن حمودي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1999، 76/2.

(4) ياسر حسن رجب: سمة المرونة في التراكيب النحوية، ص166.

2-1-4 التضمين:

وهو أن يشرَبَ العنصر اللغوي معنى عنصر آخر، فيستعير أحكامه وخصائصه، وهو ميزة عربية وسمة فنية، وللتضمين كثير من النماذج في التراكيب العربية، من ذلك تضمين الفعل اللازم معنى الفعل المتعدّي فيتعدّى مثله، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَزَّمُوا عُقَدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ

أَجَلَهُ﴾ (البقرة: 235). فالفعل (عزم) يتعدى بحرف الجر في الأصل، وتعدى هنا بنفسه لتضمنه معنى الفعل (لا تتووا) (1).

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (المائدة: 48) في الآية يمكن أن يكون الفعل (تتبع) ضُمن معنى الفعل (تتحرف) أو الفعل (تنصرف)؛ أي ولا تتحرف بسبب أهوائهم عما جاءك من الحق (2).

2-1-5 التوضحية بقواعد لغوية:

ومن أظهر مظاهر المرونة في التراكيب النحوية ما نلمسه من نماذج التوضحية ببعض الثوابت اللغوية التي استقرَّ عليها اللسان العربي نرى ذلك - مثلاً - في صرف ما لا ينصرف والعكس في سعة الكلام، كما في الآية: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا

لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَلَآ وَسَعِيرًا﴾ (الإنسان: 4). بتتوين (سلاسل) رغم أنها ممنوعة من الصرف في الأصل.

2-1-6 الحمل على المعنى:

يعني الحمل على المعنى حمل الألفاظ على معاني ألفاظ أخرى، يرى ابن جني

(1) ينظر: ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب 862/2، 863.

(2) ينظر: تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص342؛ وينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، 200/2.

أنّ من فصيح كلام العرب الحمل على المعنى حيث يقول: « اعلم أنّ هذا الشّرّج غور من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح. قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثوراً ومنظوماً؛ كتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث، وتصوير معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في الواحد، وفي حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأول، أصلاً كان ذلك اللفظ أو فرعاً وغير ذلك.»⁽¹⁾. ومن أمثلة حمل المؤنث على المذكر قوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ (البقرة: 275) حُمِلَت الموعظة على الوعظ.

ومن أمثلة حمل المذكر على المؤنث قول الشاعر (الطويل)⁽²⁾:
 أَتَهْجُرُ بَيْتًا بِالْحِجَازِ تَلَفَّعَتْ به الخَوْفُ والأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
 الفعل (تلفعت) مؤنث وفاعله (الخوف) مذكر فقد ذهب بالخوف إلى المخافة⁽³⁾.
 2-1-7 الشذوذ:

ويتمثل فيما خرج عن القواعد الثابتة مما يراه كثير من العلماء شذوذاً ويراه غيرهم ضرباً من التنويع في الأداء فحسب، وليس على وجه الشذوذ حقيقة. بل هو مظهر من مظاهر مرونة الصيغ، « فالعربي الذي ألف السير في أدائه اللغوي على نمط واحد أراد أن يثبت أنّ لغته لا تزال لغة ليّنة مرنة، فخالف وخرج عن المألوف من قواعدها.»⁽⁴⁾ وقد يكون من أسباب هذا الشذوذ ما يسمّى بالتعمية، أو الترف الفكري، أو التلاعب بالمصطلح.

2-2 الكفاية التداولية في لغة القرآن الكريم:

لم تتفصل دراسة اللغة العربية وصفياً أو تاريخياً عن القرآن الكريم فقد كان من

(1) الخصائص 411/2

(2) البيت لم ينسب ورد في: الخصائص 415/2 كما ذكرت، وورد في: لسان العرب (خوف) 1290/2. بالشكل:

أَتَهْجُرُ بَيْتًا بِالْحِجَازِ تَلَفَّعَتْ به الخَوْفُ والأَعْدَاءُ أَمْ أَنْتَ زَائِرُهُ؟

(3) ينظر: الخصائص 415/2.

(4) ياسر حسن رجب: سمة المرونة في التراكيب النحوية، ص 180.

أهم ما استند إليه النحويون في وضع قواعدهم واستنتاجاتهم شواهد القرآن الكريم، ومنه كان الكثير من أمثلتهم وحججهم، وبالقرآن استعان اللغويون أثناء جمعهم اللغة وشرح مفرداتها في قواميسهم ومعاجمهم واستشهدوا لمعانيها من القرآن الكريم، وبذا ارتبطت شخصية اللغة العربية بالقرآن الكريم، يقول تمام حسان: «ولقد أقام العرب بنيانهم الثقافي الأصيل على القرآن، وحتى لقد رأينا طموح الحاقدين على العرب وتراثهم يتعلق بأمل إثبات تأثر العرب في هذا الفرع أو ذاك من فروع ثقافتهم بعناصر أجنبية من اليونان أو غير اليونان، وحسب العرب أن دعوى تأثرهم بالأمم الأخرى تلتمس لها الأدلة التماساً»⁽¹⁾

ولا ينكر منصف فضل القرآن الكريم بوظيفيته وإعجازه وثراء لغته في شدّ عضد اللغة العربية، ويعلم ذلك علم اليقين من عرف أسرار العربية وخبائها، وتأمل لطائفها الغريبة وأسرارها العجيبة، يقول ابن قتيبة (ت 276 هـ): «إنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصّ الله به لغتها دون جميع اللغات»⁽²⁾ ومن مظاهر حرص القرآن الكريم على تحقيق الوظيفية التداولية أن جعل التزيّن بالألفاظ في المرتبة الثانية، وجعل الوفاء بالمعنى في المنزلة الأولى؛ ومن ذلك ما نجده كثيراً في مخالفة الفواصل وانسجامها تبعاً للمعنى وبحسبه، ومثله كذلك تقديم المعنى على الإعراب عند حدوث الغموض أو التعارض⁽³⁾.

ونكتفي بذكر ثلاثة نماذج تبين تحقيق لغة القرآن الكريم للكفاية التداولية:

1- قال تعالى: ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ^ط وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ

(1) تمام حسان: الأصول، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، 2000، ص 26.

(2) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، تحقيق: السيد أحمد الصقر، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، لبنان، (د ت)، ص 11.

(3) ينظر: فاضل صالح السامرائي: من أسرار البيان القرآني، دار الفكر، عمان، الأردن، ط 1، 2009، ص 163؛

وينظر: عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب، القاهرة، مصر، 1998، ص 274.

يَكْبُرُوا ﴿النساء: 6﴾ في عبارة (وبداراً أن يكبروا) الوظائف التواصلية التداولية⁽¹⁾:

أ- في اختيار مصدر البدار إثبات لسوء النية من قبل أولياء اليتامى.

ب- وفيه أيضاً تسابق مع الزمن ومع نموّ اليتامى للاستئثار بأموالهم⁽²⁾.

ج- نزع الخافض قبل (أَنْ يَكْبُرُوا) يفتح المجال أمام تقدير لفظ آخر، قد يكون (قَبْلَ)، أو يكون (مَخَافَةً)⁽³⁾ مما يؤكد الوظيفتين السابقتين.

2- قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ

ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ (المنافقون: 9)

في عبارة (ومن يفعل ذلك) الوظائف التواصلية التداولية⁽⁴⁾:

أ- قال: (ومن يفعل ذلك) ولم يقل: (ومن تلهه تلك) لينسب الفعل إلى الشخص، لينال بذلك جزاءه ولئلا يفهم أنه ليس بمقدور الشخص الانصراف عن اللهو.

ب- جاء بالفعل المضارع للدلالة على استمرار الحدث وتكرره فالانتهاء بالأموال والأولاد أمر يومي ومتكرر.

ج- لو قال: (ومن فعل) لاحتمل أن ذلك الخسران الكبير إنما يقع ولو فعله مرة واحدة، وهو غير مراد.

3- تخصيص استعمال الموتى والأموال والميتين جمع ميت في لغة القرآن الكريم، كل واحدة بوظيفتها الخاصة في مقامها الخاص⁽⁵⁾:

(1) ينظر: تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص340، 341.

(2) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 244/4؛ وينظر: محمد سليمان عبد الله الأشقر: زبدة التفسير من فتح القدير للشوكاني، دار الفحاء، دمشق، دار السلام، الرياض، ط5، 1994، ص98.

(3) ينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 11/2.

(4) ينظر: فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار، عمان، الأردن، (د ت)، ص183.

(5) ينظر: فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص115، 116.

أ- استعمل الموتى لمن أصابهم الموت حقيقة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ

إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ﴾ (البقرة: 260)

ب- استعمل الأموات لمن ماتوا حقيقة ولغيرهم، أي: للموت المعنوي:

قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ

يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: 28)

وقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا

تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: 154).

ج- استعمل الميتين لمن لم يموت: قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ

لَمَيِّتُونَ﴾ (المؤمنون: 15).

2-3 الوظيفة التواصلية للتتوين:

من الوظائف التواصلية للتتوين التحديد ومنع اللبس؛ حيث يُعَيِّن التتوين العلم من غيره في طائفة من الأسماء الممنوعة من الصرف نحو: آمنة وفائزة وراجحة؛ فإن كان منونا كان وصفاً وإن كان غير منون كان علماً⁽¹⁾، وذلك كون الممنوع من الصرّف لا ينون. كما يدل كذلك على التّكثير والتّعريف في الأسماء المبنية نحو سيّويه⁽²⁾؛ فسيّويه المنونة لا تعني صاحب "الكتاب".

2-4 الوظيفة التواصلية للحذف:

تفرض الوظيفة التواصلية التداولية التزام ذكر الكلمات والجمل أو حذفها، كما تُلْزَم بإظهار الحركات أو تغييرها أو تعويضها أو الاستغناء عنها، يقول إبراهيم

(1) (2) ينظر: فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص74.

مصطفى: « من أصول العربية الدلالة بالحركات على المعاني،... وما كان للعرب أن يلتزموا هذه الحركات ويحرصوا عليها ذلك الحرص كله، وهي لا تعمل في تصوير المعنى شيئاً، وأنت تعلم أن العربية لغة الإيجاز، وأن العرب كانوا يتخففون في القول ما وجدوا السبيل؛ يحذفون الكلمة إذا فهمت، والجملة إذا ظهر الدليل عليها، والأداة إذا لم تكن الحاجة ملجئة إليها.»⁽¹⁾ والتخفيف والإيجاز وظيفتان تداوليتان كما تؤديان وظائف تواصلية أخرى متنوعة لأجلها يقع الحذف والتغيير.

2-4-1 حذف الكلمة:

ومن نماذج حذف الكلمة في العربية لوظيفة تواصلية تداولية حذف المسند إليه؛ وقد ضبط السكاكي بمنطق صارم الحالات التي يتطلب فيها المقام التواصل أن تؤدي وظيفة التواصل ببنيات يطوى فيها ذكر المسند إليه بقوله: «أما الحالة التي تقتضي طي ذكر المسند إليه فهي: إذا كان السامع مستحضراً له، عارفاً منك القصد إليه عند ذكر المسند، والترك راجع إما لضيق المقام، وإما للاحتراز عن العبث بناء على الظاهر، وإما لتخيل أن في تركه تعويلاً على شهادة العقل، وفي ذكره تعويلاً على شهادة اللفظ من حيث الظاهر، وكم بين الشهادتين، وإما لإيهام أن في تركه تطهيراً للسان عنه أو تطهيراً له عن لسانك، وإما للقصد إلى عدم التصريح ليكون لك سبيل إلى الإنكار إن مست إليه حاجة، وإما لأن الخبر لا يصح إلا له حقيقة، كقولك: خالق لما يشاء فاعل لما يريد، أو ادعاء، وإما لأن الاستعمال وارد على تركه أو ترك نظائره، كقولهم: نعم الرجل زيد، على قول من يرى أصل الكلام: نعم الرجل هو زيد، وإما لأغراض سوى ما ذكر، مناسبة في باب الاعتبار بحسب المقامات.»⁽²⁾

2-5-2 حذف بعض الكلمة:

يتردد حذف جزء من الكلمة في كثير من كلمات القرآن ويكون لوظائف تواصلية لها

(1) إحياء النحو، ص 48.

(2) مفتاح العلوم، ص 265، 266.

مقاماتها الخاصة، يقول فاضل السامرائي: «إنَّ القرآن يحذف من الكلمات لغرض ولا يفعل ذلك إلا لغرض ومن ذلك على سبيل المثال: أنه يحذف من الفعل للدلالة على أنَّ الحدث أقلَّ ممَّا لم يحذف منه وأنَّ زمنه أقصر ونحو ذلك فهو يقطع من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحدث أو يحذف منه في مقام الإيجاز والاختصار بخلاف مقام الإطالة والتفصيل.»⁽¹⁾ نحو قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَبْعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ

وَمَا اسْطَبْعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (الكهف: 97) وذلك في السد الذي صنعه ذو القرنين من زبر الحديد والنحاس المذاب؛ فالصعود على هذا السد أيسر - وإن كان لم يتحقق لهم - من إحداث نقب فيه لمرور الجيش؛ حيث عبّر عن الحدث الأقل صعوبة والأقصر في مدة إنجازه بالفعل القصير، فقال: (فَمَا اسْطَبْعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ) بخلاف الفعل الشاق الطويل فإنّه لم يحذف منه، فقال: (وَمَا اسْطَبْعُوا لَهُ نَقْبًا)⁽²⁾. ومثل هذا كثير في لغة القرآن الكريم.

2-5 الوظيفة التواصلية والبناء والإعراب:

كثيرا ما تختلف الكلمة الواحدة من حيث البناء أو الإعراب بحسب الوظيفة التواصلية المرادة بها؛ فتكون ذات دلالة على معنى معيّن في حال بنائها، وذات دلالة أخرى في حال إعرابها، وذلك نحو قولك: (لا طالب في الجامعة) و(لا طالبا في الجامعة) فمعنى الجملة الأولى نفي وجود كل من يتّصف بصفة الطالب سواء كان طالبا في الجامعة أم في غيرها، ومعنى الثانية نفي وجود طالب يدرس في الجامعة، وقد يكون فيها من يدرس في غيرها⁽³⁾، «ومن ذلك قولنا (سقط من

(1) فاضل السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، دار عمار، عمان، الأردن، (د ت)، ص 11.

(2) ينظر: نفسه، ص 12.

(3) ينظر: فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص 73. والمعهود هو: لا طالب. بالرفع؛ وتسمى لا النافية للوحدة. ويجوز أن نقول: لا طالب، بل طالبان أو ثلاثة.

الفصل الأول = البنية والوظيفة

علّ و (سقط من علّ) فالجملة الأولى تفيد تعيين العلوّ وأنه سقط من علوّ معلوم والثانية لا تفيد تعيين العلوّ بل معناها أنه سقط من مكان عال. ⁽¹⁾ علّ الأولى مبنية على الضمّ، وعلّ نُوتت تتوين تنكير.

(1) ينظر: السابق، ص 73.

ثالثاً: مفهوم الصيغ الصرفية العربية ووظائفها:

1- مفهوم الصيغة:

صيغة الأمر تعني هيئته، ورد في لسان العرب: «ويقال: صيغة الأمر كذا وكذا أي هيئته التي بُني عليها»⁽¹⁾ وصوغ الشيء يعني سبكه، ووضعه وترتيبه، جاء في اللسان أيضاً: «صوغ: الصَوَّغُ: مصدر صاغ الشيءَ يَصُوغُهُ صَوْغاً وصياغةً وصُغْتُهُ أَصَوَّغُهُ صِياغةً وصِغَةً وصَيَّغُوغَةً؛ (الأخيرة عن اللحياني): سَبَكُهُ ... ويقال: صاغ شعرا وكلاماً؛ أي وضعه ورتبه»⁽²⁾

هذا ولم نجد تحديدا واضحا للصيغة الصرفية وما تضمه من أقسام الكلام عند القدماء بمثل ما وجدناه عند المحدثين، يقول الأستراباذي (ت686هـ): «المراد من بناء الكلمة ووزنها وصيغتها: هيئتها التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها وهي عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها، مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كل في موضعه»⁽³⁾ نلاحظ في هذا التعريف أن الأستراباذي لا يفرق بين بناء الكلمة ووزنها وصيغتها؛ أو بين البنية والوزن والصيغة فيجعل ذلك كله شيئا واحداً يعني هيئة الكلمة ونجد الكفوي (ت1094هـ) من بعده يضع تعريفاً مستقلاً للصيغة غير أنه لم يوضح ما تضمه من أقسام الكلام، وذلك في قوله: «الصيغة هي الهيئة العارضة للفظ باعتبار الحركات والسكنات وتقديم بعض الحروف على بعض، وهي صورة الكلمة، والحروف مادتها»⁽⁴⁾

وما هو عند المحدثين يكاد يكون أوضح؛ فالصيغة هي: «كل لفظ له معنى لغوي يفهم من مادة تركيبه، ومعنى صيغي وهو ما يفهم من هيئته، أي: حركاته

(1) ابن منظور: لسان العرب (صيغ) 2537/4.

(2) نفسه (صوغ) 2527/4.

(3) الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق وشرح: محمد محي الدين عبد الحميد وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1982، 2/1.

(4) الكليات، ص560.

وسكناته وترتيب حروفه؛ لأن الصيغة اسم من المصوغ الذي يدل على التصرف في الهيئة لا في المادة؛ فالمفهوم من حروف (ضرب) استعمال آلة التأديب في محل قابل له، ومن هيئته وقوع ذلك الفعل في الزمان الماضي، وتوحيد المسند إليه وتذكيره وغير ذلك. ⁽¹⁾ فالصيغة يشترط فيها اجتماع المعنيين اللغوي والصيغي الاشتقاقي، مما يبين أن الحروف والأدوات والضمائر والظروف والحوالف لا تدخل ضمن الصيغ، ولا توجد لها أصول اشتقاقية، فلا تُعمَّم الصيغة وهو رأي عامة الباحثين المحدثين ⁽²⁾. يقول تمام حسان: « مباني التقسيم: وهي الاسم والصفة والفعل والضمير والخالفة والظرف والأداة، وذكرنا أن ما يرجع من هذه المباني إلى أصول اشتقاقية فإنه يتفرع إلى مبان فرعية يضمها المبنى الأكبر، وكل مبنى من هذه المباني الفرعية هو قالب تصاغ الكلمات على قياسه يسمّى الصيغة الصرفية... أما ما لا يرجع إلى أصول اشتقاقية من مباني التقسيم وهو الضمير وأكثر الحوالم والظرف والأداة، فمبانيها هي صورها المجردة إذ لا صيغ لها. ⁽³⁾ وبذا يمكن القول إن الصيغة تشمل: الأسماء والأفعال والصفات فقط. وهذا الذي اعتمدناه في بحثنا هذا. وهذه الأقسام الثلاثة لها خصائص صرفية، وأخرى تركيبية؛ فهي إضافة إلى كونها صيغا صرفية لها معنى لغوي وآخر صيغي لها ارتباط بما ترد فيه من تراكيب نحوية، وباجتماع خصائصها الصرفية والتركيبية نجدها « تعكس إلى حد بعيد الخصائص المرتبطة بوظيفة التواصل، بحيث يمكن اعتبار بعض مقومات هذه البنية وسائل للتعبير عن الأغراض التواصلية التي يسعى المتكلم إلى تحقيقها في طبقات مقامية معينة. ⁽⁴⁾»

(1) عبد الحميد هندراوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص9.

(2) ينظر: نفسه، ص22.

(3) اللغة العربية معناها ومبناها، ص133 .

(4) أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص65.

2- وظائف الصيغ الصرفية:

أ- الأسماء والمصادر:

1- الاسم:

1-1 مفهومه ووظيفته التواصلية: الاسم ما دل على مسمى ذات أو معنى وليس الزّمن جزءاً منه، وعند سيبويه: كرجل وفرس⁽¹⁾ وعند المبرد « الأسماء ما كان واقعا على معنى، نحو: رجل وفرس وزيد وعمر، وما أشبه ذلك. »⁽²⁾ ويفيد الثبوت لا التجدد والحدوث؛ فالاسم يفيد قوة ثبوت الصفة في صاحبها، وأن صاحبها متّصف بها على سبيل الدوام⁽³⁾. بخلاف الفعل فهو يفيد إثبات الصفة في صاحبها، ولكن بصفة أقل قوة ومن غير دوام. قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ

أَدْعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ (الأعراف: 193). « ففرق بين طرفي

التسوية فقال: (أدعوتموهم) بالفعل ثم قال: (أم أنتم صامتون) بالاسم ولم يسو بينهما فلم يقل: أدعوتموهم أم صمتم بالفعلية، أنتم داعوهم أم أنتم صامتون. وذلك أن الحال الثابتة للإنسان هي الصمت وإنما يتكلم لسبب يعرض له. »⁽⁴⁾

يتفق الاسم والفعل في الدلالة على إثبات الصفة في صاحبها ويختلفان في الدلالة على الحدوث والتجدد، يقول الجرجاني: « وبيانه أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجده شيئاً بعد شيء. وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء فإذا قلت: (زيد منطلق) فقد أثبت الانطلاق فعلاً له من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئاً فشيئاً، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: (زيد طويل وعمر قصير). فكما

(1) ينظر: سيبويه: الكتاب 12/1.

(2) المبرد: المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط3، 1994، 141/1.

(3) ينظر: محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2005، ص64.

(4) فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص11.

لا يُقصد هاهنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدد ويحدث بل تُوجبهما وتثبتهما فقط.⁽¹⁾

1-2 الوظائف التوافقية لصيغ جموع الأسماء:

1-2-1 الجمع من حيث الدلالة على الكثرة أو القلة:

أ- جمع الكثرة: يذكر العلماء لهذا الجمع أوزاناً كثيرة أشهرها ثلاثة وعشرون وزناً⁽²⁾. وقد تزيد مما لم يكن من أوزان جمع القلة.

ب- جمع القلة: يراد بالقلة ما كان بين الثلاثة والعشرة، وأشهر أوزان جمع القلة: أَفْعُلْ وَأَفْعَالٌ وَأَفْعَلَةٌ وَفَعْلَةٌ وَفَعْلَةٌ وَأَفْعِلَاءٌ والجمع السالم بنوعيه⁽³⁾. و« هذا هو الأصل في استعمال القلة والكثرة وقد يعدل عن ذلك لضرب من البلاغة فقد تعطى القلة وزن الكثرة والكثرة وزن القلة لغرض ما أو قد يُخصَّ كلٌّ من الوزنين بمعنى فمن ذلك قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ

أُنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ

وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿البقرة: 261﴾ وقوله: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ

يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ (يوسف: 43)

فأنت ترى أن العدد واحد هو « سبع » ولكنه استعمل معه جمع الكثرة مرة والقلة مرة أخرى، والسبب في ذلك أن الآية الأولى سيقَّت في مقام التأكيد والمضاعفة.⁽⁴⁾

(1) دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 200.

(2) ينظر: أحمد الحماوي: شذا العرف في فن الصرف، دار الفكر، بيروت، 2003، ص 78-85.

(3) ينظر: فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص 118.

(4) نفسه، ص 121.

1-2-2 جموع التكسير:

يدخل ضمنها الجمعان: الدال على القلة والدال على الكثرة ويخرج منها الجمع السالم بنوعيه المذكر والمؤنث.

من أشهر أوزان جموع التكسير والوظائف التواصلية الخاصة بكل صيغة منها⁽¹⁾:

1- فُعَال: أشهر وظيفة لهذا الوزن التّكثير والمبالغة في القيام بالفعل لا تكثير القائمين به، نحو: حَفَظَ، قَرَأَ.

2- فَعَلَة: يطلق على صنف معين من الناس ينتسبون إلى حرفة ولو لم يمارسوها كثيرا نحو: كَتَبَة، باعَة.

3- فَعَل: أشهر وظيفة لهذا الوزن الدلالة على الحركة الظاهرة، والتكثير، نحو: رُكِعَ، سُجِدَ، رُحِّلَ.

4- فَوَاعِل: أقرب للاسمية، وأدَلّ على الثبوت، نحو: نوازل، قوافي.

5- فُعْلَان: يدلّ على الاسمية أو القرب منها، كما يدل على القلة النسبية، نحو: شُبَّان، عُمَيَّان. وهو قليل.

6- الجمع على وزن مصدر الفعل: للدلالة على المعنى الحقيقي للفعل، نحو: قيام؛ فالقيام بمعنى القيام الحقيقي، والقائمين بمعنى القيام بالأمر. ومثلها القعود.

7- فَعَلَى وفَعَالَى: للدلالة على الآفات والهلاك والتوجع والمكروه، نحو: موتى، كسرى، أيامى.

8- فُعْلَاء وفُعَال: للدلالة على السّجايا والغرائز، فُعْلَاء يكاد يختص بالأمور المعنوية، وفُعَال بالأمور المادية، نحو: كُبراء للسادة والرؤساء. وكُبار لكبار الأجسام والأعمار.

9- فَعَائِل: يراد به الاسمية، مثل: الشدائد، وغيرها الشّداد التي يراد بها الوصف.

(1) ينظر: السابق، ص 130 - 149.

2- المصدر:

2-1 مفهومه :

المصدر مشتق من مادة (ص د ر) وهو اسم مكان يقال: صدرت الإبل عن الماء، إذا انصرفت عنه، وعلى هذا الأساس سُمي المصدر مَصْدَرًا، قال الشريف الجرجاني:

« المصدر: هو الاسم الذي اشتقَّ منه الفعل وصدر عنه.»⁽¹⁾

وهو اسم يقع على الأحداث المادية أو المعنوية، أو يعبر عنها، نحو: الكتابة، والقيام، والأمن، والرحمة. « وهو اسم الحدث الذي تحمله مادة الكلمة في أصولها الصامتة.»⁽²⁾

ويذكر عبد الصبور شاهين أن أوزان كل المصادر سماعية، حتى ما كان منها كثير الوقوع⁽³⁾. ثم نجده يقول بعد هذا بقليل أن مصدر الثلاثي أقلّ قياسية من غيره^(*).

2-2 تعدّد مصادر الفعل الواحد:

من المهم أن نشير إلى أنه قد يكون للفعل الواحد ولاسيما الفعل الثلاثي مصادر متعددة قد تصل إلى التسعة أو حتى العشرة في الشاذ، وذلك كالفعل (لقي) -مثلا- فمن مصادره لِقَاءٌ وَلِقَاءَةٌ وَلَقِيَ وَلَقِيًّا وَلَقِيًّا وَلَقِيَّةً وَلَقِيَانَا وَلُقْيَانَا وَلُقْيَانَةً⁽⁴⁾. ولظاهرة تعدد مصادر الفعل الواحد أسباب، نذكر منها:

1- اختلاف الرواة (علماء اللغة والمعاجم) في معاني هذه المصادر أو معاني

(1) الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، 2004، ص181.

(2) (3) عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980، ص109.

(*) وهو بهذا الرأي يخالف أكثر الصرفيين في قولهم بقياسية مصادر غير الثلاثي، وأن أوزان مصادر الثلاثي هي السماعية في معظمها؛ وكثير منهم يرى قياسية بعض أوزان مصادر حتى الفعل الثلاثي؛ كالذي يدلّ على حرفة، من مثل: زِراعة وحِياكة. والذي يدلّ على صوت، من مثل صُراخ، ونُباح. والذي يدلّ على تقلب، من مثل: غليان، فوران.

(4) ينظر: السيوطي: المزهَر 69/2.

أفعالها.

2- اختلاف لغات العرب: من ذلك -مثلا- مصدر الفعل بخل، بعضهم يقول: (بُخْلًا) وبعضهم يقول (البَخْل) وبعضهم يقول (البَخْل) (1).

3- اختلاف المعنى: فقد يكون لأحد المصدرين معنى يختص به لا يستعمل له المصدر الآخر أو يكثر استعماله فيه، كالضَرَّ والضُرُّ؛ فهو بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال. قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ

نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء: 83)

وقال: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ (الرعد: 16) فالضَّرَّ عموم الضرر مقابل النفع، فرق بين البناءين لافتراق المعنيين (2).

2-3 الوظائف التواصلية لصيغ بعض المصادر:

يصعب حصر أوزان المصادر، لذا اقتصرنا على نماذج من أوزان ترددت كثيرا وبرزت القوة الكامنة في بناء صيغها الصرفية واتضحت خدمتها للوظيفة التواصلية المقصودة بها، ومن أوزان هذه المصادر :

- **فِعَالٌ**: ويصاغ للدلالة على الامتناع والمباعدة، كالإِبَاء والفرار والشراد والنِّفَار كما يصاغ هذا الوزن للدلالة على قرب شيء من شيء، كالصَّرَاف والضَّرَاب والنِّكاح، وللدلالة على الحينونة، كالصَّرَام والجِرَاز والحِصَاد (3).

- **فَعْلَانٌ**: يصاغ هذا الوزن للدلالة على الحركة والتقلب والاضطراب، كالجولان والغليان، والدوران.

- **تَفَعَالٌ**: ويكون للتكثير والمبالغة كالتَّجَوُّل والتَّهْدَار والتَّلْعَاب (4).

(1) ينظر: سيبويه: الكتاب 34/4.

(2) ينظر: الزمخشري: الكشاف 160/4، 344/3.

(3) ينظر: سيبويه: الكتاب 12/4.

(4) ينظر: فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص28.

وأما التَّبيان والتَّلقاء فلا يقصد بهما مبالغة ولو أرادوا ذلك لفتحوا التاء (1).

وقيل هي أسماء، والمصدر بالفتح (2).

- **فِعْلٌ**: في (فَعَلَ) للمساحة في الغالب، نحو كَبَر وصَغَرَ (3). « وأما الكِبَر فهو

الكبر الجسمي قال تعالى: ﴿ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ ﴾ (البقرة: 266)، ومثله: الصَّغَرُ فهو

يكون في الجسم، وأما الصُّغَر والصَّغَار فهو معنوي ومعناه: الذل. ومثله الغِلْظ

والغِلْظَةُ، فالغِلْظ في الجسم والغِلْظَةُ معنوية، قال الله تعالى: ﴿ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ

غِلْظَةً ﴾ (التوبة: 123)، ومثله: القِصَر والعِرْض والنِّقَل والضِّخَم، والعِظَم، فالعِظَم في

الجسم والمنظر، أما العِظَمَةُ فمعنوية في الغالب (4).

- **فُعَالٌ**: وتستعمل هذه الصيغة لما كان مرفوضاً أو متقطّعا من شيء كالحطام

والفتات (5).

« وكلُّ مصدرٍ اجتمع بعضُهُ إلى بعضٍ مثلُ القُمَاشِ والدُّقَاقِ. » (6) وتستعمل هذه

الصيغة للدلالة على الأصوات، كالصُّرَاخ والرُّغَاء، كما تدل على الأدواء، كالزُّكَام

والسُّعَال.

- **فُعَالَةٌ** بضم الفاء: وتكون للقليل المفصول من الشيء الكثير كالقلاماة والنخالة

والحتالة (7).

- **فِعَالَةٌ** بكسر الفاء: ويأتي للدلالة على الحرفة أو الصناعة كالحياكة والكتابة، كما

يدل على الولاية كالخِلافة والوكالة، ويدل على الاشتغال كالعِصَابَة والعِمَامَة.

(1) ينظر: الأسترابادي: شرح شافية ابن الحاجب 1/167.

(2) ينظر: أحمد الحملاوي: شذا العرف في فنِّ الصِّرف، ص 54.

(3) ينظر: فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص 29.

(4) نفسه، ص 30.

(5) (7) ينظر: الأسترابادي: شرح شافية ابن الحاجب 1/155.

(6) ابن منظور: لسان العرب (ج 1) 639/1.

- **فَعِيل**: يأتي للدلالة على الصوت، مثل: سهيل، وعلى السير والحركة، مثل: رحيل.

- **فُعْلَة**: للدلالة على الألوان، مثل: حُمْرَة، سُمْرَة.

3- اسم المصدر:

وهو « ما ساوى المصدر في الدلالة على معناه وخالفه بخلوه - لفظاً وتقديراً - من بعض ما في فعله دون تعويض: كعطاء؛ فإنه مساوٍ لإعطاء معنى، ومخالف له بخلوه من الهمزة الموجودة في فعله، وهو خالٍ منها لفظاً وتقديراً، ولم يُعوّض عنها شيء. »⁽¹⁾ ونحوه: اسم المصدر: الغُسْلُ فإنه مساوٍ للاغتسال وخالٍ مما يشتمل عليه فعله: اغتسل.

4- المصدر الميمي:

هو مصدر مبدوء بميم زائدة. مثاله كلمة (مَضْرَب) في قول العرب: إنَّ في ألفِ درهمٍ لمَضْرَباً، أي: ضَرْباً ومثاله المفر في قوله تعالى: ﴿أَيْنَ الْمَفْرُ﴾ (القيامة: 10)⁽²⁾ ومثله: مَوْضِع. هذا في المجرد، وأما في المزيد فنحو قولهم: مُسَرَّح، مُنْتَهَى.

يرى أكثر اللغويين والصرفيين أن المصدر الميمي لا يختلف عن المصدر العادي في معناه. أما في مبناه فلا يخالفه إلا في كونه يبدأ بميم زائدة، ويرى غير هذا فاضل السامرائي في قوله: « والنَّحاة يرون أنَّ معنى المصدر الميمي لا يختلف عن المصادر الأخرى غير أنَّ الذي يبدو لي أنَّ هذا المصدر لا يطابق المصدر الآخر في المعنى تماماً وإلا فما اختلفت صيغته. »⁽³⁾ ويرى أنَّ المصدر الميمي

(1) ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك 2 / 54، 55.

(2) ينظر: سيبويه: الكتاب 87/4.

(3) فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص31.

يختلف عن المصدر الأصلي في جهتين⁽¹⁾:

الأولى: أن المصدر الأصلي حَدَثٌ غير مُتَلَبِّسٍ بشيءٍ آخر، أما المصدر الميمي فإنه مصدر متلبس بذاتٍ في الغالب.

والجهة الأخرى: فإنَّ المعنى الذي يحمله المصدر الأصلي ليس هو المعنى نفسه الذي يحمله المصدر الميمي، ويذكر المثالين: (هذه نهايتك) و(هذا انتهاك) فنهايتك تعني فناءك بخلاف انتهاك التي تعني مصيرك لا فناءك.

5- اسم المرة واسم الهيئة:

يدل اسم المرة على أنَّ الفعل وقع مرة واحدة، ويكون على وزن: فَعْلَة. ويدل اسم الهيئة على هيئة حدوث الفعل ويكون على وزن: فِعْلَة.. وهذان الوزنان يوجدان في العربية دون غيرها من الساميات، « فلا يوجد نظيرهما في كل اللغات السامية. »⁽²⁾ وقد يكون كل من فِعْلَة وفَعْلَة مصدرًا كسائر المصادر وإن اتفق الوزن نحو: رَأْفَة وشِدَّة.

6- اسم الآلة:

6-1 مفهومه: وهو اسم يدل أداة، كما يدل على الوسيلة التي يعالج بها وقد يكون وصفا لها.

6-2 من الوظائف التواصلية لأبنية أسماء الآلة⁽³⁾:

- تدل الصيغ: مِفْعَل، مِفْعَال، مِفْعَلَة على الآلة من دون قيد أو إضافة معنى، كالمكنسة والمفتاح.

- تدل الصيغ: فُعَال وفِعِيل وفَعَّال وفَعَّالَة وفُعُول وما فيه التضعيف عموماً على تكثير في الآلة، يقول ابن جني: « فأما قولهم: خُطَّاف وإن كان اسماً فإنه لاحق

(1) ينظر: السابق، ص 31-33.

(2) برجشترابسر: التطور النحوي للغة العربية، أخرجه وصححه وعلق عليه: رمضان عبد التواب، مكتبة الغانجي، القاهرة، ط2، 1994، ص 104.

(3) ينظر: فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص 110، 111.

الفصل الأول = البنية والوظيفة

بالصفة في إفادة معنى الكثرة ألا تراه موضوعا لكثرة الاختطاف به؟ وكذلك سكين إنما هو موضوع لكثرة تسكين الذابح به. وكذلك البزّاز والعطار والقصار ونحو ذلك؛ إنما هي لكثرة تعاطي هذه الأشياء وإن لم تكن مأخوذة من الفعل. وكذلك النّسّاف لهذا الطائر كأنه قيل له ذلك لكثرة نسفه بجناحيه، وكذلك الخُصّاري للطائر أيضا كأنه قيل له ذلك لكثرة خُصرتّه، والحوّاري لقوة حوره وهو بياضه، وكذلك الزمّل والزمّيل والزمّال إنما كرّرت عينه لقوة حاجته إلى أن يكون تابعا وزميلا. (1)

- تدلّ الصيغتان: فعال وفعالة على الاشتمال غالبا كالحزام والعمامة.
 - تدلّ الصيغتان: فاعول وفاعولة على المبالغة في القيام بالفعل أو المبالغة في وصف الآلة، نحو ساطور وطاحونة.
- ب- الفعل:

الفعل أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وهو مقيد بزمن؛ فبينى لما مضى، ولما هو كائن لم ينقطع، وما يكون ولم يقع. ويدل على إثبات صفة الحدث في صاحبها على سبيل الحدوث والتجدد لا الثبوت والاستمرار.

ج- الصّفة:

تضم الصفة المشتقات التي هي صيغ؛ أي لها معنى لغوي وآخر نحوي كما ذكرنا. وحددها الرضي الأستراباذي في قوله: «... فالصفة إما أن تكون صفة مشبهة، أو اسم فاعل، أو اسم مفعول، أو أفعل تفضيل. (2) ونضيف صيغة المبالغة، وما تشترك فيه هذه الصفات هو الدلالة على ثبوت الصفة في صاحبها ولكن ليست على درجة واحدة. وسنتحدث عما تعنيه كل واحدة وعن شيء من وظائفها التواصلية:

(1) الخصائص 267/3.

(2) الأستراباذي: شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ط2، 1996، 220/2.

1- اسم الفاعل:

1-1 مفهومه:

هو وصف يصاغ من الفعل للدلالة على الحدث والحدوث وفاعله أو من تعلّق به⁽¹⁾. ويدل على الثبوت ولكن ليس بدرجة ثبوت الصفة المشبهة، وفي كثير من الأحيان لا يدل على الثبوت إطلاقاً، كما يدل على الحدوث أو التجدد وليس بدرجة الفعل⁽²⁾.

1-1-2 من وظائفه التواصلية:

1-2 الدلالة على الحدوث العارض: جاء في (الكشاف) في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ

تَارِكُ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ (هود : 12) «فإن قلت:

لِمَ عدل عن (ضيق) إلى (ضائق)؟ قلت: ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت لأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان أفصح الناس صدراً، ومثله قولك: (زيد سيّد وجواد) تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فإذا أردت الحدوث قلت: سائد وجائد»⁽³⁾؛ هذا الكلام يدل على أنه من الوظائف التواصلية لصيغة اسم الفاعل الدلالة على الحدوث العارض. يقول الكفوي: «والضيق إذا كان عارضا غير لازم يعبر عنه (بضائق) كـ(سائد) و(جائد) في سيد وجواد.»⁽⁴⁾

1-2-2 إلحاق الهاء باسم الفاعل لوظيفة تواصلية:

نجد ذلك في الصيغتين: فاعل ومُفعل إذا أريد بهما وصف المؤنث؛ فإن ألحقت

(1) ينظر: فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص41؛ وينظر: أحمد الحملاوي: شذا العرف في فنّ الصرف، ص55.

(2) ينظر: محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص71.

(3) الزمخشري: الكشاف 186/3.

(4) الكليات، ص575.

بهما الهاء (تاء التأنيث المربوطة) كانت لهما وظيفة، وإنْ خلتا منها (الهاء) كانت لهما وظيفة مغايرة، وبحسب الغرض تُثَبَّتْ أو تُحَذَفُ؛ « فتثبتت الهاء في أحدهما وتسقط من الآخر لاختلاف المعنى فيقال مثلاً: (امرأة طاهر) من الحيض و(امرأة طاهرة) نقية من العيوب، وكذلك امرأة (حامل) من الحمل و(حاملة) على ظهرها أو تحمل شيئاً ظاهراً، و(امرأة قاعد) إذا قعدت عن المحيض و(قاعدة) من القعود ففرق بينهما بالتاء لافتراق المعنيين ». (1) وفي هذا الشأن يقول ابن القيم: « المرضع من لها ولد ترضعه، والمرضعة من أَلَقَّتْ الثدي للرضيع، وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ (الحج: 2)

أبلغ من (مرضع) في هذا المقام فإنَّ المرأة قد تذهل عن الرضيع إذا كان غير مباشر للرضاعة. فإذا التقم الثدي واشتغلت برضاعه لم تذهل عنه إلا لأمر هو أعظم عندها من اشتغالها بالرضاع... فأتى في المرضعة بالتاء التي تحقق فعل الرضاعة دون التهيؤ لها. (2) وقال في مقام آخر « ألا ترى إلى قوله -صلى الله عليه وسلم: (لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار) فإن المراد به الموصوفة بكونها من أهل الحيض لا مَنْ يجري دمها. (3) وبإضافة التاء تصبح تؤدي وظيفة التي يجري دمها. وجاء في (لسان العرب): « قال الأخفش: أدخل الهاء في (المرضعة) لأنه أراد -والله أعلم- الفعل، ولو أراد الصفة لقال: (مرضع) » (4). فتُحَذَفُ الهاء في الصيغتين: فاعِلٍ ومُفْعَلٍ إذا أُريدَ بهما وصف المؤنث لمجرد النسب أو الوصف غير الظاهر، وتُثَبَّتْ لمباشرة الفعل أو الحدث الجاري.

1-2-3 دلالة اسم الفاعل على الزمن:

تدل صيغة اسم الفاعل على أزمنة الفعل الثلاثة:

(1) فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص 47.

(2) التفسير القيم، ص 366

(3) نفسه، ص 270.

(4) ابن منظور: لسان العرب (رضع) 1661/3.

- الماضي: في مثل ﴿ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (إبراهيم: 10). كان زيد حافظاً.
- الحال: في مثل قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرةِ مُعْرِضِينَ﴾ (المدثر: 49).
- الاستقبال: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (آل عمران: 9).

2- اسم المفعول:

1-2 مفهومه:

هو وصف يؤخذ من فعل مضارع مبني للمفعول للدلالة على الفعل ومن وقع عليه، وذات المفعول⁽¹⁾.

2-2 من وظائفه التواصلية:

1-2-2 دلالة اسم المفعول على العادة الجارية:

قال جل ثناؤه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ (الإسراء: 29) لم يقل: لا تغل يدك؛ بصيغة الفعل، لدلالة مغلولة على ثبات الصفة واستمرارها، «أي لا تكونن عادتك المنع فتكون يدك مغلولة. ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يُرَبِّ إِنَّا قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان: 30) ولم يقل: هجروا؛ لأن شأن القوم كان هجران القرآن، وشأن القرآن عندهم أن يهجر أبداً.⁽²⁾، ولو وردت بصيغة الفعل لدلت على الحدوث ولم تؤد الغرض. يقول ابن عاشور: «وفعل الاتخاذ إذا قيد بحالة يفيد شدة اعتناء المتخذ بتلك الحالة بحيث ارتكب الفعل لأجلها وجعله لها قصداً. فهذا أشد مبالغة في هجرهم القرآن من أن يقال: إن قومي هجروا القرآن.»⁽³⁾

(1) ينظر: عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، ص 116.

(2) محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 66.

(3) تفسير التحرير والتنوير 17/19.

2-2-2 دلالة اسم المفعول على الزمن:

يدل اسم المفعول على أزمنة الفعل الثلاثة:

– الماضي: نحو: ﴿كُلُّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الرعد: 2) أي سُمي وحدد، ونحو: هو مقتول.

- الحال: مثل: أقبل مسرورا، وأنت مغلوب على أمرك.

- الاسـ تقبال: نحو: ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ

مشهود
س د ر ه و
۱۰۳
(هود: 103) .

3- الصّفة المشبّهة:

1-3 مفهوما:

هي وصف يصاغ من فعل لازم للدلالة على الثبوت غالبا، والنص على دلالة الثبوت للصفة المشبهة ليس بلازم، فمن صيغها ما يدل على الثبوت والاستمرار نحو: أبكم، أسمر، طويل، ومنها ما يدل على وجه قريب من الثبوت نحو: نحيف، وسمين، وكريم، ومنها ما لا يدل على الثبوت في نحو: ظمآن وغضبان⁽¹⁾.

يقول الرضي: «والذي أرى: أنّ الصفة المشبهة كما أنها ليست موضوعة للحدث في زمان ليست أيضا موضوعة للاستمرار في جميع الأزمنة، لأن الحدث والاستمرار قيدان في الصفة ولا دليل فيها عليهما؛ فليس معنى (حسن) في الوضع إلا ذو حسن سواء كان في بعض الأزمنة أو في جميع الأزمنة.»⁽²⁾

وهي صفة مشبهة باسم الفاعل في المعنى، وتختلف عنه فيما يفيد من حدوث وتجدد. كما تطلق الصفة المشبهة على المتصف بها حالا فلا يصح القول: هو ظمآن غدا أو أمس بخلاف اسم الفاعل فيصح قولك: هو ظمأي غدا أو أمس⁽³⁾.

(1) (3) ينظر: فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص 67.

(2) شرح الرضى على الكافية، 431/3.

وتدلّ الصفة المشبهة على أنّ الوصف أصبح ثابتاً في صاحبه كالسَّجِيّة، بخلاف اسم الفاعل الذي يدلّ على الإثبات والثبوت المؤقت، ومثله اسم المفعول مع ما تحدده الوظيفة التواصلية والمقام من فارق بين الصفات الثلاث إضافة إلى ما ذكر؛ فقولنا: طرف كحيل أبلغ من طرف مكحول وذلك لأنّ معنى كحيل هو أن الكحل أصبح في صاحبه كأنه خلقة، ومثله: كفّ خضيب تختلف عن مخضوب الدالة على التّجدّد⁽¹⁾. فإذا أردنا الحدوث والتجدد حولنا الصفة المشبهة إلى اسم فاعل أو اسم مفعول بحسب الوظيفة المقصودة.

3-2 من وظائف صيغها ودلالاتها على الزمن:

- **فَعِيلٌ**: تدلّ على الثبوت مما هو خلقة، أو مكتسب، أو خصال، نحو: طويل، وسيم، رزين، لئيم. وللدلالة على المنزلة، نحو: شريف، وضيع. ويدلّ هذا الوزن على الثبوت والاستمرار.
- **فَعْلَانٌ**: وتدلّ على الامتلاء والخلوّ وحرارة الباطن، كريّان وعطشان وغضبان⁽²⁾. قال الزّجاج: «الغضبان هو الممتلئ غضباً.»⁽³⁾
- كما يدلّ على السعة والشمول، يقول ابن القيم: «ألا ترى أنهم يقولون غضبان، للممتلئ غضباً، وندمان وحيران وسكران ولهفان، لمن ملئ بذلك؟ فبناء فعْلان للسعة والشمول.»⁽⁴⁾ وهذا الوزن لا يلزمه الثبوت والاستمرار.
- **أَفْعَلٌ**: تدلّ على الألوان، نحو: أسود. والعيوب، نحو: أحول. والحسن الظاهر، نحو: أهيف، أصبح. وهذا الوزن يدلّ على الثبوت والاستمرار.
- **فَعِلٌ**: تدلّ على الأدواء والعلل نحو: وجع وتعب. كما تدلّ على السجاياء، نحو: وقح وفرح. وهذا الوزن لا يلزم الموصوف ولا تستمر فيه الصفة.

(1) ينظر: فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص53.

(2) ينظر: الأسترابادي: شرح شافية ابن الحاجب 145/2.

(3) الزمخشري: الكشاف 109/1.

(4) التفسير القيم، ص33.

4- صيغ المبالغة:

4-1 مفهومها:

صيغ المبالغة وصف لإيقاع الحدث؛ لكثرة القيام به أو لشدة الاتصاف به، وتفيد المبالغة في الوصف والكثرة. والمبالغة وظيفة تواصلية تتطلب بنية جديدة خاصة تابعة لها؛ فهي خروج عن أصل البنية والمعنى المعتاد؛ وذلك بتكثيره أو الزيادة فيه، وكلها إجراءات تترك أصلاً أو أثراً، يقول ابن جني: «في المبالغة لا بدّ أن تترك موضعاً إلى موضع إمّا لفظاً إلى لفظ وإمّا جنساً إلى جنس، فاللفظ كقولك: عُرّاض، فهذا قد تركت فيه لفظ عريض. فعُرّاض إذا أبلغ من عريض... قال الأصمعي: الشيء إذا فاق في جنسه قيل له: خارجي، وتفسير هذا ما نحن بسبيله وذلك أنه لما خرج عن معهود حاله أخرج أيضاً عن معهود لفظه.»⁽¹⁾ ومن أشهر أوزانها: فعّال، مفعّال، فعيّل، ففعل، فعلّ.

4-2 من وظائفها التواصلية:

- فعّال: تدل على المبالغة في فعل الشيء، نحو: سفّاح وأكّال. وتقتضي الاستمرار والتكرار، والملازمة والتجدّد، والمعاناة أحياناً. قال تعالى: ﴿كَأَلَّا^ط إِنَّهَا لَظَىٰ^ط﴾⁽²⁾ و﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ^ط﴾⁽³⁾ (المعارج: 15، 16). وتدلّ هذه الصيغة على الحرفة والصنّاعة؛ يُقال لصاحب الصنعة المزاول لها المداوم عليها نحو: بقّال، نجّار، خرّاط. يقول الرضي: «اعلم أنه يجيء بعض ما هو على فعّال وفاعل بمعنى ذي كذا... ففعّال الذي بمعنى ذي كذا لا يجيء إلا في صاحب شيء يزاول ذلك الشيء ويعالجه ويلازمه بوجه من الوجوه...»⁽³⁾

(1) الخصائص 46/3.

(2) ينظر: فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص 96.

(3) الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب 84/2، 85.

- **مفعال**: وتعني المداومة على الفعل ليصبح كالعادة، مثل: رجل مهذار، ومطلق، ومزواج.

- **فَعِيل**: يأتي للمبالغة في حصول الأمر وتكراره فهو كالطبيعة وكالسجية في صاحبه، نحو: رحيم وعليم. وفَعِيل أبلغ من مفعول وأشدّ مبالغة في الوصف؛ فالمجروح جرحاً صغيراً أو بالغاً يصحّ أن يسمّى مجروحاً، ولا يقال جريح إلا إذا كان جرحه بالغاً، ومثله المكسور والكسير⁽¹⁾. يقول ابن هشام عن (حصيد) في الآية: ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْرَبْ بِالْأَمْسِ﴾ (يونس: 24): «وأقيم فعيل مقام مفعول لأنه أبلغ منه، ولهذا لا يقال لمن جرح في أناملته جريح، ويقال له: مجروح.»⁽²⁾

وخلافه وزن **فُعَال** فهو أشد مبالغة من **فَعِيل**؛ بل يدل على المبالغة فيه هو ذاته، ورد في الخصائص: «ونحو من تكثير اللفظ لتكثير المعنى العدول عن معتاد حاله وذلك **فُعَال** في معنى فعيل؛ نحو: طَوَال فهو أبلغ معنى من طَوِيل.»⁽³⁾

- **فَعُول**: يدل على من داوم على الفعل أو أكثر منه، كما يدل على المبالغة في الصفة، نحو: شكور، صبور.

- **فَعِل**: يدل على من صار له الفعل كالعادة، نحو: حذر، وجل.

5- اسم التفضيل:

وهو اسم يصاغ للدلالة على أن شيئين اشتركا في صفة واحدة وزاد أحدهما فيها عن الآخر، ويعرفه الرضي بقوله: «هو المبني على أفعل لزيادة صاحبه على غيره في الفعل؛ أي في الفعل المشتقّ هو منه.»⁽⁴⁾

(1) ينظر: فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص54.

(2) ابن هشام: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ضبطه وحققه محمد محمد تامر، وآخران، الزهراء للإعلام العربي، 2004، ص100.

(3) ابن جني: الخصائص 267/3.

(4) شرح الرضي على الكافية 447/3.

الفصل الثاني

إِخْتِيَارُ الصِّيْغِ الصَّرْفِيَّةِ

(انتقاء صيغ صرفية بعينها)

أولاً: مفهوم الاختيار وأساسه.

ثانياً: أثر الوظيفة التواصلية في اختيار صيغ بعينها.

ثالثاً: نماذج من اختيار الصيغ الصرفية.

أولاً: مفهوم الاختيار وأساسه:

أ- مفهوم الاختيار:

الاختيار هو إعمال الفكر بالانتقاء أو الاستبعاد لعناصر الكلام من قائمة الإمكانيات الهائلة التي تتيحها اللغة للتعبير عن الأغراض والتواصل⁽¹⁾ وفقاً لسنن ومقاييس متفق عليها، ولا يكون هذا الاختيار بمنأى عما تمليه قيود المقام وحال المخاطب والمخاطب.

وعند القدامى سمي اختيار كلمة بعينها دون أخرى ترادفها أو تكاد تتكيتا؛ والتكيت عند ابن أبي الإصبع: «هو أن يقصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون غيره مما يسدّ مسدّه لأجل نكتة في المذكور ترجّح مجيئه على سواه»⁽²⁾ وهذه التسمية تشير إلى أنّ هذا الاختيار ينبغي أن يكون لنكتة، ولا يكون عشوائياً، وهذه النكتة هي وظيفة تواصلية تعكس القصدية في الكلام وفنيته التي هي من مطالب التعبير، ومن أساسيات تمكين الغرض التواصلية في نفس المتلقي وقد صرح عبد القاهر الجرجاني بأنّ الاختيار هو جوهر الفنية في التعبير، حين قال: «لا فضيلة حتى ترى في الأمر مصنعا وحتى تجد إلى التخير سبيلاً»⁽³⁾ والاختيار الفني لا ينفصل عن المقام وظروف الخطاب وملابساته؛ فاللفظ يُختار تبعاً لوظيفته المرتبطة بمقامه وسياقه؛ وتأكيداً على هذا من علماء اللغة من يرى أنه ينبغي أن يختار للشريف شريف اللفظ وللسخيف السخيف، يقول الجاحظ (ت255هـ): «وقد أصاب القوم في عامة ما وصفوا إلا أنني أزعم أنّ سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني»⁽⁴⁾ ويقول بشأن تخير اللفظ في النوادر والمُلح لتحقيق المتعة المرجوة

(1) ينظر: عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص170.

(2) ابن أبي الإصبع: بديع القرآن، تحقيق: حنفي محمد شرف، مكتبة نهضة مصر، 1957، ص112.

(3) دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص141.

(4) الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1999، 96/1.

منها ولتناسب مقامها: «... وكذلك إذا سمعت بنادرة من نواذر العوام وملحة من ملح الحشوة والطَّغام فأياك وأن تستعمل فيها الإعراب أو أن تتخير لها لفظا حسنا أو تجعل لها من فيك مخرجا سريا فإنّ ذاك يفسد الإمتاع بها ويخرجها من صورتها.»⁽¹⁾ كل هذا يؤكد على أنّ الكلام العربي كان يُختار وفق مقاييس وأسس انتبه إليها علماءنا القدامى وكشفوا عنها وأصبحت في الدراسات الحديثة قضايا لسانية وظواهر أسلوبية اتسعت تطبيقاتها وكثر الحديث عنها.

ب- أسس الاختيار:

1- الاختيار عند البلاغيين:

تردّد في كلام البلاغيين أنه من شروط الكلام البليغ تخيّر اللفظ فصاحةً ودلالةً معنى، وفي هذا المضمار يعرف ابن وهب البلاغة بأنّها: «القول المحيط بالمعنى المقصود، مع اختيار الكلام، وحسن النظام وفصاحة اللسان.»⁽²⁾ كما عرفوا البلاغة بأنّها تخيّر اللفظ. وينبغي أن يراعى في هذا التخيّر مناسبة الخطاب لمستوى القدرات العقلية (الإدراك والفهم) للمخاطبين بغية تحقيق التأثير والتأثر وحسن الإفهام، وقد استحسن الجاحظ قولهم: «يكفي من حظّ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع.»⁽³⁾ فالاختيار من أساسيات البلاغة، وشرط في وصف الكلام بالحسن، ويتحقق الاختيار في البنية ما اتصفت بالمنطقية؛ وذلك بدرجة تأثيرها في العقل والفكر؛ وبما تتصف به من فنية لا تتحقق إلا بتفاعل المتلقين معها ونفاذها إلى قلوبهم ونفوسهم.

(1) السابق 96/1.

(2) ابن وهب: البرهان في وجوه البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1980، ص76.

(3) البيان والتبيين 63/1.

2- الاختيار عند الأسلوبيين:

يذهب كثير من الباحثين في الأسلوبية الحديثة إلى اعتبار الأسلوب اختياراً مشروطاً بالوعي والقصدية لما توفره اللغة على سعتها وطاقاتها الكامنة من عناصر⁽¹⁾.

وهذا الاختيار تتناسب وسائله التعبيرية مع الغرض المراد تحقيقه سواء كان مادياً أو شعورياً، كالرغبة في إيصال الانطباع الوجداني للكاتب أو المتكلم إلى القارئ أو السامع⁽²⁾.

ويشترط الأسلوبيون في الاختيار الفنية والإبداع؛ فالأسلوب-حسب ماروز- هو « اختيار الكاتب لما من شأنه أن يخرج بالعبرة عن حيادها وينقلها من درجتها الصفر إلى خطاب يتميز بنفسه. »⁽³⁾ فالعبرة المختارة أو الصيغة المختارة هي صيغة متميزة، وهذا التميز يظهر في وضوح الفرق بينها وبين غيرها من صيغ الكلام العادي.

3- أسباب اختيار صيغ بعينها:

تُختار الصيغة مخصوصة بعينها دون غيرها من الصيغ المشابهة لها، لأسباب منها:

- تُختار الصيغة لمعناها اللغوي المعجمي. نحو اختيار امرأة العزيز كلمة نفس في الآية: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي^ج إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (يوسف: 53) « إذ تؤكد اتّهام النفس على إطلاقها في موقف تسعى فيه إلى استخلاص بقية من حسن الظنّ بها بواسطة وقوفها موقف التائب المعترف بالخطأ. ومن هنا كان اختيار كلمة

(1) ينظر: عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط5، 2006، ص59.

(2) ينظر: شكري عياد: اللغة والإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي، أنترناشيونال بيسرس، 1988، ص68؛ وينظر:

صلاح فضل: علم الأسلوب "مبادئه وإجراءاته"، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص126، 127.

(3) عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ص81.

(النفس) لتعم نفوس البشر جميعا ومنها نفسها هي.»⁽¹⁾

- تختار الصيغة لدقة تعبيرها عن المراد بالمشابهة: ومن ذلك استعمال الفعل "نسلخ" للتعبير عن حقيقة فلكية باستعمال التشبيه في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّ لَّهُمْ

أَلِيلٌ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (يس: 37) فعند اختراق الفضاء

والخروج من الغلاف الجوي لا نجد نهارا، ونرى الشمس كباقى النجوم التي نراها في الليل، ونصبح في ليل دامس؛ فالأصل هو الليل⁽²⁾. «فجعل النهار كالجلد الذي يُسلخ وأما الليل فهو الأصل وهو الكل، فشبه الليل بالذبيحة، والنهار جلدها، فإن سلخ الجلد ظهر الليل فجعل النهار غلافاً والليل هو الأصل.»⁽³⁾

- تختار الصيغة لمعناها العرفي الاجتماعي المشاع الذي تعرف به بين مستعمليها. كما في الآية: ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ

يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (يوسف: 25) نجد هنا امرأة العزيز قالت: (من أراد

بأهلك سوءا) ولم تقل بي وذلك لتثير غضب زوجها على كرامته، كون العدوان على أهله عدوان عليه هو⁽⁴⁾.

- تختار الصيغة لمعناها السياقي في بيئتها التركيبية الخاصة. ومن أمثلة ذلك صيغة "أرى" في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ (الأنفال: 48) التي لا يفهم

المتلقي معناها إلا بالنظر في سياق الكلام الذي وردت فيه، «إذ لا يدري من مجرد الكلمة ما إذا كان المقصود رؤية بصرية أو ظنية أو رؤيا منامية.»⁽⁵⁾

(1) (4) تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص320.

(2) ينظر: فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص7.

(3) نفسه، ص8.

(5) تمام حسان: البيان في روائع القرآن ، ص212.

وتعني هنا بحسب السياق الذي وردت فيه، وبحسب أسباب النزول رؤية الشيطان للملائكة وهي تُقاتل مع المسلمين في غزوة بدر.

- تعدّد معنى الصيغة لتؤدّي وظائف متنوعة (1).

هذا وتختار العبارة بصيغها « لسبك تركيبها ووضوح معناها واتجاهه إلى الصراحة أو التلميح، ولمناسبتها الغرض منها إيجازاً وإطناباً وحقيقة ومجازاً ولحسن جرسها، ثم لانسجامها مع بيئتها من السياق وتفضيلها بعض المفردات على بعض. » (2)

4- أنواع الاختيار: للاختيار أنواع تصنّف بحسب المتكلم/الكاتب، أو الخطاب/النص:

4-1 الاختيار بحسب المتكلم: الاختيار بحسب المتكلم أو الكاتب قسمان:

— اختيار واع يكون عن قصد وتدبر، يتردد فيه المتكلم أو الكاتب في وضع الكلمة أو العبارة ويتأملها ويصحّحها وقد يحذفها ويغيرها ليختار ما يراه أكثر ملاءمة ومناسبة دون تكلف. وقد يضطرّ الشاعر أو المبدع إلى تحقيق نوع من الزينة أو الزخرف اللفظي أو الإيقاع المتكلف، وحينها يكون اختياره متكلفاً (3).

— اختيار لاشعوري وفيه تحضر المتكلم أو الكاتب الكلمة أو العبارة بطريقة عفوية للوهلة الأولى من دون تفكير. وغالباً ما ينساق فيه الشاعر أو المبدع في زحمة الكلمات أو المشاعر أو الشحنة الانفعالية، أو بتأثير الإيقاع المتسلّط (4).

4-2 الاختيار بحسب الكلام: الاختيار بحسب النص أو الخطاب قسمان:

— اختيار وظيفي تواصلية: يسمّى الاختيار النفعي، ويكون الكلام فيه محكوماً بالموقف والمقام، ويُختار منه ما يخدم الغرض المنشود في تلك الأثناء.

(1) ينظر: ص 77-79 من هذا البحث.

(2) تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص 319، 320.

(3) ينظر: عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص 92.

(4) ينظر: صلاح فضل: علم الأسلوب "مبادئه وإجراءاته"، ص 122، 123.

— اختيار نحوي تركيبى: تتحكم فيه مقتضيات التعبير والعلاقات النحوية بين الكلمات والعبارات لذا يسمّى الاختيار النحوي⁽¹⁾.

5- استعمال الصيغ الصرفية بين النمطية والفنية:

كان للاستعمال اللغوي مستويان كلاهما فصيح؛ وصفت لغة المستوى الأول بالعالية الفصيحة، ووصفت لغة المستوى الثاني بالجائزة الفصيحة⁽²⁾. والاستعمال العفوي الذي لا تراعى فيه ضوابط فنية من تخير للفظ وسهولة للمخرج، وغيرها لغته نمطية هي في مستوى الجائز. ويذهب إلى مثل هذا الجاحظ في وصفه لأجود اللفظ في قوله: «... والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، وإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج وجنس من التصوير.»⁽³⁾ تبين العبارة أنّ الألفاظ مستويان: ألفاظ نمطية عادية وألفاظ فنية إبداعية، وكلاهما يؤدي الوظيفة التواصلية على ما بينهما من فرق في درجة تأثيرهما على المتلقي وتفاعله معهما؛ ولا يُعرف مستوى اللفظة إلا من خلال عوامل متعلقة بها؛ كمخارج حروفها وصفاتها، وأخرى متعلقة بالعبارة التي وردت فيها، وأخرى خارجة عنهما؛ نحو: سياق الكلام ومقامه، وظروف الخطاب وملابساته، والخلفية الثقافية والحضارية للمتخاطبين.

6- كثرة فرص الاختيار وتنوعها:

6-1 لا محدودية المعاني:

يذكر علماء اللغة قدامى ومعاصرين أنّه رغم محدودية عدد الكلمات والحروف،

(1) ينظر: عبد الحميد هندائي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص88.

(2) ينظر: الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، 238/2.

(3) الجاحظ: كتاب الحيوان، تحقيق وشرح: محمد عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1965، 131/3، 132.

فإنّ المعاني في كل اللغات غيرٌ محدودة، وتلك هي خاصية الإبداع في اللغة الإنسانية. يقول السيوطي: «الحروف قليلة وأنواع المعاني المتفاهمة لا تكاد تنتهي؛ فخصّوا كل تركيب بنوع منها؛ ليفيدوا بالتركيب والهيئات أنواعا كثيرة؛ ولو اقتصروا على تغاير المواد؛ حتّى لا يدلّوا على معنى الإكرام والتعظيم إلا بما ليس فيه من حروف الإيلام والضرب؛ لمنافاتها لهما؛ لضاق الأمر جدّا، ولاحتاجوا إلى ألوف حروف لا يجدونها.»⁽¹⁾ فاللغة توليدية خلاقّة -على حد قول تشومسكي-؛ يُنتج المتكلم بعناصرها ما شاء من البنيات ممّا يعبر به عن مراده، وكلّما قصد معنى لزمه تركيب أو هيئة خاصّة به.

6-2 كثرة الصيغ وتوفرها للمعاني:

من الميزات البارزة في العربية كثرة صيغها وتنوّعها، «واللغة العربية محظوظة جدا بوجود هذه الصيغ الصرفية؛ لأنّ هذه الصيغ تصلح لأن تستخدم أداة من أدوات الكشف عن الحدود بين الكلمات في السياق. ويشكو معظم لغات العالم من عدم وجود مثل هذا الأساس الذي يمكن به أن تحدّد الكلمات. والباحثون في لغات غير لغاتهم يعانون التعب والمشقة اللذين يجدونهما في سبيل هذا التحديد، فيعمدون إلى كلّ الوسائل الممكنة يستخدمونها في هذا الغرض، ويظهر القسر والعسف في استخدامها واضحا. فأما اتخاذ الصيغة الصرفية أداة من أدوات خلق الحدود بين الكلمات في السياق، فميزة للغة العربية من كبريات ميزات التي تفاخر بها.»⁽²⁾ من ذلك مثلا دلالة الصيغ المأخوذة من الجذر (ص ب ر): اصبر، وتَصبر، تَصبر، صبرا، صبار؛ «ف(صبرا) أقوى من (اصبر) للدلالة على الحدث المجرد غير المقرون بزمن ولا بفاعل معين. و(صبر) أقوى من (صبرا) للدلالة على الثبوت إضافة إلى ما مرّ. و(صبار) أقوى من (اصبر) أيضا

(1) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 1/278.

(2) تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986، ص210.

لما فيه من مبالغة في الأمر ولأنه لا يسند إلى فاعل بارز فيكون بلفظ واحد للجميع...وتصبر بلفظ الخبر إذا أريد به الأمر يفيد التوكيد والإشعار بأن الفعل جدير بأن يتلقى بالمسارعة.»⁽¹⁾ فكلما تغيرت بنيات الصيغ ومسها الاشتقاق بما يخدم وظيفة التواصل حدث معنى جديد، وبذا تزداد المعاني وتتفرع.

6-3 الظواهر الصوتية ووظائف الصيغ:

من مظاهر مرونة الصيغ الصرفية العربية تفاعلها مع ظواهر صوتية تزيد من ثرائها وفعاليتها وتداوليتها، ومنها: الإعلال والإبدال والإدغام، ونكتفي بالتمثيل لهذا بذكر نموذج يوضح تداولية ظاهرة الإبدال في العربية:

يُفرّق بين معاني كثير من الصيغ الصرفية المتقاربة المباني بما يقع لها من إبدال يلحق أحد حروفها، ومن ذلك الورث والإرث، فهزمة الإرث مبدلة عن واو أصلها ورث إلا أنّ الإبدال كان لمعنى ولخدمة وظيفة، جاء في لسان العرب: «وقيل: الورث والميراث في المال، والإرث في الحساب.»⁽²⁾؛ فبالإبدال تتباين معاني الكلمة وتصبح تؤدّي وظائف مختلفة بما يتطلبه واقع استعمالها. وقد يكون الإبدال سببا في توليد معان جديدة للجذر الواحد، من ذلك إبدال الواو همزة في كلمة: وَحَدَ لتصير: أَحَدَ. ويصبح لكل واحدة منهما معنى. «فالوحد من الوحش المتوحد ومن الرجال الذي لا يعرف نسبه ولا أصله. الليث الوحد المنفرد.»⁽³⁾ وخلافها الكلمة المبدلة عنها (أحد)؛ فهي إذا أضيفت تكون بمعنى (واحد) نحو قوله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ (الكهف: 19) وإذا لم تكن مضافة أو محددة بقريضة أو بحرف الجر " من " فإنها تختص بالله

(1) فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص 242، 243.

(2) ابن منظور: لسان العرب (ورث) 4809/6.

(3) نفسه (وحد) 4781/6.

تعالى، ولم تستعمل لغيره⁽¹⁾، نحو: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: 1).

6-4 تناسب صفات أصوات الألفاظ مع معانيها:

من الخصائص الفنية للكلمة العربية أن يتردد فيها كثيرا تفاعل بنيته مع وظيفتها؛ ومن ذلك ما نجده من تناسب بين الحدث المراد بوجود الكلمة مع صفة أحد أصواتها أو صفاته، قوة وضعفا، رخاوة وشدة؛ من ذلك ما تبديه تداولية بنية الكلمة مع وظيفتها في اللفظين: سدّ وصدّ؛ فالصدّ أقوى من السّين، والصدّ أقوى من السدّ، يقول ابن جني: «فالسدّ دون الصدّ لأنّ السدّ للباب يُسدّ، والمنظرة ونحوها، والصدّ جانب الجبل والوادي والشعّب وهذا أقوى من السدّ الذي قد يكون لثقب الكوز ورأس القارورة ونحو ذلك. فجعلوا الصاد لقوتها للأقوى والسين لضعفها للأضعف.»⁽²⁾ وكثيرا ما تجعل العرب في كلامها الأصوات على سمت الأحداث المعبر بها عنها، ومن أمثلة ذلك ما في اختلاف الكلمتين: الخضم والقضم؛ فالأولى بالخاء الرخوة تدل على أنّ المأكول رخوا رطبا كالبطيخ والقثاء، والثانية بالقاف الشديدة لأكل الصلب اليابس، كالذي تأكله الحيوانات من شعير ونحوه⁽³⁾. وهذا يبدي تفاعل بنية هذه الكلمة بصفات أصواتها هذه مع ما يراد بها من معنى، مما يزيد الكلمة تداولية وتأثيرا.

6-5 حركات بناء الصيغ وتغيّر المعاني:

للحركات دور بارز في التفريق بين المعاني المعجمية لكثير من الألفاظ، كما لها دور في توجيه الوظيفة التواصلية للعبارة أو للنص أحيانا؛ فقد ينتج باختلاف حركة الكلمة المعنى وضده، جاء في المزهري: «بل فرّقوا بين (مُعْتَق) و(مُعْتَق) بحركة واحدة حصل بها تمييز بين ضدّين.»⁽⁴⁾ وبتغيّر معنى الكلمة يتغيّر معنى

(1) ينظر: نفسه (وحد) 4782/6؛ وينظر: فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص226.

(2) (3) الخصائص 161/2.

(4) السيوطي: المزهري في علوم اللغة وأنواعها 278/1.

العبارة أو النص. ومن أمثلة ما تفرّق فيه الحركات بين المعاني المعجمية للكلمات: جَهْد وجُهد. بَرّ، بُرّ، برّ.

ثانياً: أثر الوظيفة التواصلية في اختيار صيغ بعينها:

أ- تداولية اختيار الصيغ الصرفية ودقّته:

يتناسب الاستعمال الراقي للبنيات اللغوية أثناء التواصل مع المقام وسياق الحديث، ويراعي كلّ ما له علاقة بالإنسان كطبيعة النفس البشرية، والعادات والتقاليد، والتاريخ والحضارة، والدين، وما توصّل إليه العلم من حقائق كونية وعلمية، وهذا ما وجدناه ماثلاً في استعمال الصيغ الصرفية العربية.

1- توجيه المقام لاختيار الصيغة:

المقام عنصر أساسي في تشكيل عناصر الكلام واختيار مفرداته وترتيبها؛ فهو الذي يستدعي المفردة دون الأخرى، لترتبط بعنصر دون آخر في ظروف خاصة لأداء الوظيفة المقصودة من الكلام، وبهذا الاستدعاء تتحقق تداولية المفردة أو الصيغة وتأثيرها في المتلقي ويتحقق الإقناع⁽¹⁾.

ولفهم أشعار القدماء وبعض أقوالهم كثيراً ما يلجأ إلى معرفة من قالها وفيمن قيلت، وأسباب قولها ومتى قيلت وأين قيلت. ومن مظاهر الاهتمام بدور المقام في تحديد وظائف الصيغ ما يتردد كثيراً عند المفسرين، ويراعونه ويجعلونه شرطاً على المفسر أن يتقنه، وهو علم أسباب النزول الذي بدوره يحدد مقام نزول الآية وظروف نزولها، وعلى هدي منه يزول إشكال التفريق بين دلالات الألفاظ وبخاصة المتشابه منها، « وكيف أنّ ما احتواه منها من مفردات إنّما جاءت مطابقة لمقتضى الحال. فعندما يرد في آية فعل "نزل" (على وزن فعّل) وفي آية أخرى يرد فعل "أنزل" (على وزن أفعل) نجد من المفسرين من يبيّن النكته في هذا الاختيار. »⁽²⁾ ويربط كل ذلك بمقامه وسبب نزوله، وقد يضطر إليهما اضطراراً.

(1) (2) صابر الحباشة: التداولية والحجاج، صفحات، دمشق، سوريا، 2008، ص56.

2- مناسبة وظائف الصيغ المختارة للسياق:

ومثل المقام سياق الكلام؛ يكون المُحدَث من الكلام فيه والتالي مبنيا على الأول ومنسجما معه؛ فالصيغة أو العبارة لا توضع بمعزل عما سبقها من كلام، بل تُختار متسقة ومنسجمة مع ما يفرضه السياق الذي ترد فيه ليتحقق الهدف من وجودها والتبليغ المنشود بها. من ذلك مثلا اختيار صيغة (أبدأ) في قوله تعالى:

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَدًا﴾ (البلد: 6) حيث نجد أن التعبير بالإهلاك عن

الإنفاق، كان متماشيا مع السياق اللفظي العام للسورة ومع جوّها الذي تعددت فيه مصائب الموحدين ومهالكهم، « وهو متناسب مع ما يعاينيه الرسول وأصحابه في البلد الحرام من الشدائد والمحن التي قد أدت ببعضهم إلى الهلاك كياسر وسمية، ومتناسب مع حسابان الإنسان أن لن يقدر عليه أحد فيهلكه، ومتناسب مع ذكر العقبة التي قد تفضي إلى الهلاك. ومتناسب مع ذوي المسغبة من اليتامى والمساكين وهلاكهم من الجوع إن لم يُطعموا، ومتناسب مع خاتمة أصحاب المشأمة التي هي هلاك مقيم. »⁽¹⁾

ومن ذلك اختيار صيغة (ما استطاعوا) إلى جانب (يظهروه) ثم التحول عنها إلى الصيغة (ما استطاعوا) إلى جانب (نقبا) في الآية الكريمة ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ

يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (الكهف: 97) وما يوحيه من دلالات ومنها

« أن السد الذي أقامه ذو القرنين كان على درجة كبيرة من الملاسة والارتفاع أحسّ إزاءها أهل يأجوج ومأجوج باليأس، وتيقنوا منذ البداية من فقدانهم لوسائل تسوره، وبالتالي فإنّ ما يُشعر بأنهم قد حاولوا فعلا إحداث هذا النقب بكل ما أوتوه من قوة، وما تهيأ لهم - آنذاك - من وسائل، غير أن محاولاتهم في النهاية قد

(1) فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص 259.

ذهبت أدراج الرياح أمام ثخانة السد وصلابته.»⁽¹⁾

ومن تناسب سياق الكلام مع الصيغ حذف المفعول به في سياق عبارات متتالية مراعاة للفواصل وخدمة للوظيفة التواصلية، من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ

يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا

فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ (الضحى: 6 - 8) في هذه الآيات يرى أكثر المفسرين أن حذف

المفعول كان مراعاة لفواصل الآيات، وللعلم به؛ أي فآواك وفهداك وفأغناك. ومنهم من يرى أن الحذف كان للتوسّع في المعنى إضافة إلى مراعاة الفواصل، «والمراد أنه آواك وآوى لك وآوى بك خلقا كثيرين، وأنه هداك وهدى لك وهدى بك خلقا كثيرين، وأنه أغناك وأغنى لك وبك. وهذه المعاني كلّها مطلوبة.»⁽²⁾

ومثل هذه الآيات كثير في القرآن الكريم، وهو أبلغ من الذكر وأكثر تداولية، ومنها

قوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ (الأعلى: 2، 3)

3- تعبير الصيغ عن طبيعة النفس البشرية:

اللغة ظاهرة إنسانية اجتماعية ترافق الإنسان في حياته؛ بها يعبر عن أحداثه مهما اختلفت مقاماتها، وبواسطتها يفصح عما يجول بخاطره من أفكار وعمّا يختلج في نفسه من شعور أو رغبة، وتتميز اللغة العربية بدقة عالية في تمثيل كل ذلك وبخاصة لغة القرآن الكريم منها، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا

الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ (البلد: 4) فلم يقل: (يكابد) أو (مكابدا) ونحو ذلك. « ذلك أن

(في) تفيد الظرفية والوعاء. ومعناه: أن الإنسان خلق مغمورا في المشاق والشدائد

(1) حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الكتب، القاهرة، مصر، 1990، ص 66.

(2) فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص 176.

والصَّعَابَ مِنْغَمَسَا فِيهَا.»⁽¹⁾

ومن تعبير القرآن العظيم عن طبيعة الإنسان تفريقه (أي القرآن) بين طرفي التسوية فيما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ آهْدَىٰ لَا يَتَّبِعُكُمْ

سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ (الأعراف: 193) بالفعل ثم

بالاسم فلم تكن بفعلين ولا باسمين، نحو: أدعوتموهم أم صمتتم، أو أنتم داعوهم أم صامتون. «وذلك أنَّ الحالة الثابتة للإنسان هي الصمت وإنما يتكلم لسبب يعرض له.»⁽²⁾

وتستعمل العربية اللفظين المتقاربين في المعنى استعمالاً دقيقاً يجد المتأمل فيه أنَّ اختلاف بنيتيهما هو لوظيفة تواصلية مقصودة؛ من ذلك التعبير عن الحالة النفسية للإنسان، في الفعلين ردَّ وأرجع؛ فالأول يستعمل غالباً لما هو مستكره ثقيل تحاول النفس الخلاص منه، والثاني يستعمل لما تطلبه النفس وتتطلع إلى تحقيقه كما في الآيتين: ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ﴾ (طه: 40) و﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ﴾ (القصص: 13).

هذا وفي استعمال الفعل (رجعناك) خفة على اللسان لخفة الأمر. بخلاف الفعل (رددنا) ففيه كلفة وثقل على اللسان ناسبت ثقل الأمر⁽³⁾، والتضعيف مستكره ثقيل على اللسان كما أثبتته الواقع اللغوي، وقرره علماء اللغة، جاء في "شرح الشافية": «إعلم أنهم يستثقلون التضعيف غاية الاستثقال إذ على اللسان كلفة شديدة في الرجوع إلى المخرج بعد انتقاله عنه.»⁽⁴⁾

ولاستعمال الفعل بلفظ الخبر وهو في المعنى يدل على الطلب نحو دلالة الفعلين:

(1) فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص 254.

(2) فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، دار عمار، عمان، الأردن، ط 4، 2006، ص 24.

(3) ينظر: فاضل صالح السامرائي: من أسرار البيان القرآني، ص 47-55.

(4) الأسترابادي: شرح شافية ابن الحاجب 238/3.

(يتربصن) و (يرضعن) في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ

ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (البقرة: 228). وقوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ

كَامِلَيْنِ﴾ (البقرة: 233) وظيفة خاصة في تحريك النفس وإقدامها على الأمر إلى حد

تمثل وقوعه، يقول ابن هشام: «وهذان الفعلان خبريان لفظاً طلبيان معنى، ومثلهما "يرحمك الله". وفائدة العدول بهما عن صيغة الأمر التوكيد والإشعار بأنهما جديران بأن يُتلقيا بالمسارعة؛ فكأنهما امتثلن، فهما مخبر عنهما بموجودين.»⁽¹⁾

4- نقل الصيغ لحضارة الإنسان و تاريخه وتقاليده:

كثير من العبارات والصيغ والألفاظ اختيرت واستعملت في حضارات دون أخرى وعند أقوام دون آخرين، وهنا نذكر شيئاً من ذلك على سبيل التمثيل:

- (دين الملك): قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي

دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي

عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: 76) لم يقل شريعة الملك وإنما قال دينه والمقصود العقوبة

المصرية القاسية؛ كون الملك هذا يحكم بإرادته الفردية، ولم يكن له وحي أو شرع يلتزم به⁽²⁾.

- (الملك): في اختيار لفظ الملك دون لفظ فرعون في الآية السابقة إشارة إلى ما كان شائعاً عند المصريين القدماء؛ حيث كانوا يسمّون الملك المصري الأصل "فرعون" والملك غير المصري الأصل كانوا يسمّونه "الملك"، «وأنّ الذي كان يحكم مصر في زمن يوسف -عليه السلام- غير مصري، وهو من الهكسوس فسماه الملك، وأنّ الذي كان يحكمها في زمن موسى -عليه السلام- هو مصري

(1) ابن هشام: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ص 65.

(2) ينظر: تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص 321.

فسماه فرعون، فسمى كل واحد بما كان يُسمى في الأزمنة السحيقة.»⁽¹⁾

- (سَيِّد): قال تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ (يوسف: 25) وردت كلمة سيد

بمعنى زوج في هذه الآية فقط، وهي بهذا المعنى «ليست في كلام العرب وإنما هي بلسان القبط. أي بلسان المصريين القدامى. والطريف أنه استعمل هذه اللفظة في قصة يوسف أي بلسان من كان يستعملها في القديم.»⁽²⁾

- (يَمَّ): كلمة "يم" عبرية، وقد وردت في القرآن الكريم في قصة سيدنا موسى عليه السلام - وقومه وهم العبرانيون، ولم ترد في غير قصة سيدنا موسى عليه السلام⁽³⁾، قال تعالى عن فرعون وجنوده: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي

الْيَمِّ﴾ (القصص: 40).

- التفريق بين كلمتي: "سنة وعام" في استعمال العرب؛ وذلك بجعل السنة مستعملة في القحط ولمعنى الأزمة، والعام للخصب والرخاء⁽⁴⁾؛ ومن ذلك مثلاً قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا

خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: 14).

وبالنظر في قصة حياة سيدنا نوح - عليه السلام - نجد أن سنين المعاناة كانت هي الطاغية على حياته بين قومه القساة، وتميّزت بها المدة الطويلة التي استغرقتها

(1) فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص 7.

(2) فاضل صالح السامرائي: من أسرار البيان القرآني، ص 56، 57.

(3) ينظر: نفسه، ص 43.

(4) ينظر: نفسه، ص 57.

دعوته إياهم، ما يقارب ألف سنة، وما تبقى من حياته من أعوام كانت فرجا وغوثا؛ فهي التي خلّصه الله فيها من قومه بإهلاكهم غرقا وإراحته منهم، ونجاته ومن ركب سفينته وآمن معه⁽¹⁾.

5- مطابقة استعمال الصيغ للحقائق العلمية والكونية:

من النصوص التي توضح تناسب بناء الصيغ الصرفية مع المشاهد في الكون وفي مخلوقات الله ما نجده في استعمال اسم الفاعل والفعل المضارع كل في موضعه في الآية الكريمة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ

وَيَقْبِضْنَ﴾ ^ج (الملك: 19). حيث اختير التعبير باسم الفاعل في اللفظة الأولى

(صافات)، وكان يمكن التعبير عنها بغير اسم الفاعل كالفعل المضارع (يصفن). واختير التعبير في اللفظة الثانية بالفعل المضارع (ويقبضن) وكان يمكن التعبير عنها بغير الفعل المضارع كاسم الفاعل (قابضات) مثل الأولى؛ ولكن الآية قد اختارت كل واحد في موضعه لوظيفة تواصلية تتناسب مع خلق الطير وكيفية طيرانه؛ وذلك بالصف شبه الدائم لأجنحته والقبض الطارئ لها أثناء الطيران؛ فعبر عن الدائم باسم الفاعل، وعبر عن الحادث الطارئ بالفعل المضارع. قال الزمخشري: «فإن قلت: لم قيل: ويقبضن، ولم يقل: قابضات؟ قلت: لأن الأصل في الطيران هو صفّ الأجنحة؛ لأنّ الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها. وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجاء بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعل على معنى صافات ويكون منهن القبض تارة كما يكون من السابح.»⁽²⁾

(1) ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن 239/3؛ وينظر: حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية،

ومما أثبتته العلم واستُفيد منه كثيرا وكانت عليه خِلقَة الإنسان ظاهرة اختلاف البصمة عند البشر. وقد ورد في القرآن الكريم ما يتناسب في بنائه اللغوي مع هذا الاختلاف. ومثله ما ورد في قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۝١﴾

وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ أُحْسِبُ الْإِنْسَانَ أَلَّنْ جَمَعَ عِظَامَهُ ۝٣﴾

بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِيَ بَنَانَهُ ۝٤﴾ بَلَىٰ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ

أَمَامَهُ ۝٥﴾ (القيامة: 1-5). ففي هذه الآيات نجد أن كلمة (بنانه) شذت عما قبلها

وما بعدها من فواصل متشابهة كلها تنتهي بالميم المتبوعة بالهاء (القيامة - اللوامة - عظامه -...- أمامه) وحول هذا الشذوذ في الفاصلة ذهب بعض المفسرين المحدثين المختصين في الإعجاز العلمي في القرآن العظيم إلى أن الآية تشير إلى معجزة البصمة التي لا تتكرر بين إنسان وآخر. وخدمة للوظيفة التواصلية المرادة تم التوضيحية بقاعدة مراعاة الفاصلة⁽¹⁾.

6- إقرار استعمال الصيغ لمقتضيات الدين والغيبيات:

مما ثبت في ديننا وهو أمر غيبي، وعبرت عنه آيات القرآن الكريم ووصفته وصفا دقيقا تسبيح المخلوقات الذي تكرر بصيغة الفعل كثيرا للتعبير عن معنى الحدوث والتجدد كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٤١﴾ (النور: 41). ومنه تسبيح الجبال المتجدد الحدوث في قوله

تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝١٨﴾ (ص: 18)

(1) ينظر: صابر الحباشة: التداولية والحجاج، ص58.

قال الزمخشري: «ويسبّحن في معنى ومسبّحات على الحال، فإن قلت: هل من فرق بين يسبّحن ومسبّحات، قلت: نعم، وما اختير يسبّحن على مسبّحات إلا لذلك، وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال، وكأن السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبّح، ومثله قول الأعشى (الطويل):

إلى ضوء نارٍ في يفاع تحرقُ

ولو قال محرقة لم يكن شيئاً.»⁽¹⁾

و من قدرات اللغة أن تستطيع صيغة كلمة واحدة منها أن تحضر مشهداً هائلاً كاملاً⁽²⁾. قد يكون مما لا يرى في الواقع من نحو تسبيح الرعد والملائكة وغيرهما.

ب- الاختيار والتوسّع في المعنى:

1- اختيار الصيغ ذات الوظائف المتعددة:

كثيراً ما تشترك الصيغة الصرفية في عدة معان لتؤدي أكثر من وظيفة تواصلية ومن أمثلة ذلك:

- صيغة (الحكيم) في قوله تعالى: ﴿يَسَّ وَالْقُرَّاءِ اِنْ اَلْحَكِيمِ﴾ (يس: 1، 2)

تعني الحكيم: اسم المفعول "محكم"، وتعني اسم الفاعل "حاكم"، لأنه مهيم على الكتب الأخرى وعلى سائر الأحكام والشرائع، وتعني الصفة المشبهة "حكيم" أي ينطق بالحكمة⁽³⁾.

- صيغة (مختار). يشترك في هذه الصيغة اسم الفاعل واسم المفعول والمصدر الميمي واسما المكان والزمان. تحدّد كل واحدة بحسب استعمالها وسياقها.

(1) الكشف 250/5. ورد البيت كاملاً في: ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، (طبعة دون معلومات)، ص 223 وهو:

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عَيُونٌ كَثِيرَةٌ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاعٍ تُحَرِّقُ

(2) ينظر: محمد محمد أبو موسى: خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7، 2006، ص 256.

(3) ينظر: فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص 172.

- صيغة (مستقر) في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ (القيامة: 12)

تدل على معان كلها مقصودة؛ فهي تدل على المصدر "الاستقرار"، وتدل على اسم المكان " الجنة أو النار"، وتدل على اسم الزمان "وقت الفصل بين الخلائق، وسوقهم إلى مستقرهم" (1)

- صيغة (مُنزل): في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ

الْمُنْزِلِينَ﴾ (المؤمنون: 29) صيغة "مُنْزَلًا" تحمل معاني اسم المفعول،

والمصدر، واسم المكان. و«الحمل على المصدر يجعل المراد طلب البركة من الله في الحدث نفسه فيكون هبوطه ونزوله مباركا من الله تعالى، والحمل على المكان يجعل المراد طلب البركة من الله تعالى في المكان الجديد التي رست عليه سفينة نوح عليه السلام.» (2) وكلاهما مطلوب.

- صيغة (آتيك) في قوله تعالى: ﴿أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ

وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ (النمل: 39) إذ يمكن أن يكون لفظ (آتيك) فعلا

مضارعاً ويمكن أن يكون اسم فاعل.

- صيغة الفعل (يُضَارُّ): في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا

شَهِيدٌ﴾ (البقرة: 282) فالفعل (يُضَارُّ): يحتمل أن يكون مبنيًا للفاعل؛ فقد نهى به

الكاتب والشهيد أن يضارَّ أحداً... ويحتمل أن يكون مبنيًا للمفعول، فالنهي أن يضارَّهما أحد؛ فهو بدل أن يقول: (لا يُضَارُّ ولا يُضَارَر) جمع المعنيين بقوله:

(1) ينظر: السابق، ص 171.

(2) عبد الحميد هندراوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص 136.

﴿ولا يضار﴾، ولو أراد تحديد أحدهما لفك الإدغام (1).

- صيغة الاسم (الكتاب) في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ

أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ (النور: 33) إذ يصلح (الكتاب) أن

يكون بمعنى الصحيفة وأن يكون مصدرا بمعنى المكاتبة (2).

- صيغة (حل) في قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا

الْبَلَدِ ﴿﴾ (البلد: 1، 2) وتحتل عدة معانٍ منها (3):

- الحال والمقيم، وقالوا إِنَّ المقصود تعظيم المقسم به، وهو مكة التي بحلول

الرسول -صلى الله عليه وسلم- بها جمعت شرفين: شرفها الذي شرفها الله به،
وشرف الرسول صلى الله عليه وسلم.

- وتعني المستحل؛ أي المستحل قتلك.

- وهي بمعنى أنه حل لهذا الرسول أن يقتل ويأسر في هذا البلد يوم الفتح ما لم
يحل لغيره.

- وهي بمعنى أنت بريء مما يقترب من الآثام.

2- نقل الصيغ (النيابة) واختيار الصيغة المنقولة:

2-1 مفهوم النقل:

يعني النقل أن تتوب إحدى الصيغ من أقسام الكلام عن الأخرى؛ وذلك بنقلها
من وظيفتها الأصلية في التركيب إلى شغل وظيفة صيغة أخرى تختلف عنها في

(1) ينظر: فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص173.

(2) ينظر: تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص211.

(3) ينظر: الجملة العربية والمعنى، ص167؛ وينظر: فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل،
ص246، 247؛ وينظر: مقبول علي بشير النعمة: الاتساع في المعنى، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011،
ص93-95.

الفصل الثاني اختيار الصيغ الصرفية

الخصائص لغرض تواصلٍ مقصود يُختار فيه المنقول (النائب) عن الأصل. والنقل « لا يقتضي التخلي عن الأصل تماماً، بل يبقى شيء من خصائص الأصل مع الصورة المنقولة. »⁽¹⁾

ومن أسماء النقل عند القدماء⁽²⁾: النقل، والنيابة، والتعويض، والتحويل. قال السيوطي قال ابن فارس (ت 395 هـ): «ومن سنن العرب التعويض وهو إقامة الكلمة مقام الكلمة، كإقامة المصدر مقام الأمر، نحو "فَضَرَبَ الرَّقَابَ". والفاعل مقام المصدر نحو "ليس لوقعتها كاذبة"؛ أي تكذيب. والمفعول مقام المصدر نحو "بأيكم المقتون"؛ أي الفتنة. والمفعول مقام الفاعل نحو: "حجابا مستورا".»⁽³⁾ وظاهرة النقل سمة شائعة في اللغة العربية تنبئ عن مرونتها، وسعتها في تأدية وظيفة التعبير عن كل الأغراض، وفي كل المواقف بدقة وسعة خيال وتحقيق تفاعل وتأثير في المتلقي عند الأداء.

2-2 من أنواع النقل:

2-2-1 نقل المصدر:

أ- نيابة المصدر عن اسم المفعول:

تعرض ابن جني لقضية نقل المصدر إلى الوصف عند تعليقه على بيت امرئ القيس:

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلٍ⁽⁴⁾

فذكر أن الأصل: (تقييد الأوابد) بمعنى مقيد، فحذف زائدتيه، ثم قال: وإن شئت قلت: وصف بالجواهر؛ أي المصدر لما فيه من معنى الفعل، نحو قول الشاعر (الوافر):

(1) أحمد محمد عبد الراضي: استعمال الصيغة العربية بين الوضع والنقل، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2007، ص102.

(2) ينظر: تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص39.

(3) المزهر في علوم اللغة وأنواعها 270/1.

(4) أحمد بن الأمين الشنقيطي: المعلقات العشر وأخبار قائلها، مكتبة الغانجي، القاهرة، ط3، 1993، ص57.

فَلَوْلَا اللَّهُ وَالْمُهْرُ الْمُفَدَّى لَأَبْتِ وَأَنْتَ غَرْبَالُ الْإِهَابِ⁽¹⁾

فوضع (الغربال) موضع (مخرق) مثل وضع المصدر (قيد) في بيت امرئ القيس موضع اسم المفعول؛ أي: مقيد الأوابد⁽²⁾. لدلالة المصدر على الفعل وزيادة تأكيد.

ومثله ما في قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾⁽³⁾ (يوسف: 18)؛

أي: مكذوب. وجيء هنا بالمصدر بدل اسم المفعول للوظيفة التواصلية المتمثلة في تقوية المعنى، والدلالة على أن ما فعلوا هو الكذب ذاته.

ب- نيابة المصدر عن اسم الفاعل:

ينوب المصدر عن اسم الفاعل لوظيفة تواصلية، وهي تقوية المعنى وتأكيده والمبالغة فيه، نحو: قوله تعالى: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ

وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾⁽⁴⁾ أو يُصْبِحَ

مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾⁽⁵⁾ (الكهف: 40، 41) أي: غائرا، وجاء

الوصف بالمصدر للمبالغة في الرجاء الصادر مصدر الدعاء⁽³⁾. وقوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾⁽⁶⁾ (البقرة: 260) أي: ساعيات. قال الأشموني: «وكان

حقّ المصدر ألاّ ينعت به لجموده، ولكنهم فعلوا ذلك قصدا للمبالغة أو توسعا

بحذف مضاف، فالتزموا الإفراد والتذكير تنبيها على ذلك، فقالوا: رجل عدل

ورضا زور، وامرأة عدل ورضا زور، ورجلان عدل ورضا زور، وكذا في

الجمع؛ أي: (هو نفس العدل أو ذو عدل)، وهو عند الكوفيّين على التأويل

(1) أبو تمام: كتاب الوحشيات (الحماسة الصغرى)، دار المعارف، مصر، 1987، ص8. البيت قالته غُفيرة بنت طرامّة الكلبية.

(2) ينظر: الخصائص 221/2؛ وينظر: أحمد محمد عبد الراضي: استعمال الصيغة العربية بين الوضع والنقل، ص29.

(3) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 325/15.

بالمشتق، أي: (عادل، ومرضي، وزائر).»⁽¹⁾

ج- نيابة المصدر عن الظرف:

ينوب المصدر عن الظرف. ومن أمثلة نيابة المصدر عن ظرف الزمان: انتظرتك قدوم الحاج. وانتظرتك حَلْب ناقة. وجئتكَ صلاة العصر. ومن أمثلة نيابة المصدر عن ظرف المكان: جلست قرب زيد. والنقل قليل في المكان بخلاف الزمان⁽²⁾.

2-2-2 نقل الفعل:

ليس كل الأفعال قابلة للنقل، بل ذلك محكوم بأنماط تعبيرية معينة، وبأفعال مسموعة، لا يمكن القياس عليها، ومظاهر نقل الفعل ثلاثة: نقله إلى الأداة، نحو: كاد، كان. ونقله إلى الخوالب، نحو: نعم وبئس. التي تحمل معنى المدح أو الذم ولا دلالة على الحدث أو الزمن فيها. ونقله إلى العلمية، نحو: أحمد ويزيد⁽³⁾.

(1) السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق: عبد الإله نبهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1986، 183/1، 184؛ وينظر: الخصائص 202/2.

(2) ينظر: السيوطي: همع الهوامع بشرح جمع الجوامع في العربية، تصحيح: بدر الدين النعساني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د ت)، 204/1.

(3) ينظر للتفصيل: أحمد محمد عبد الرازي: استعمال الصيغة العربية بين الوضع والنقل، ص 103 - 130.

ثالثاً: نماذج من اختيار الصيغ الصرفية:

أ- اختيار الاسم:

1- اختيار اسم بعينه لوظيفة خاصة:

يختار الأسلوب الراقي عباراته وألفاظه اختياريًا يعبر عن الوظيفة التواصلية المنشودة بدقة؛ ويختار الاسم بذاته لما يمتاز به عن غيره من الأسماء. ومن أسس اختيار الاسم:

1-1 اختيار اسم بعينه لتعبير معناه المعجمي عن الوظيفة التواصلية المقصودة بدقة:

من أمثلة اختيار الأسماء لمعناها اللغوي اختيار كلمة "مضغة" دون غيرها مما في معناها كقطعة اللحم الصغيرة وغيرها في الآية الكريمة:

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ

عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخِرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ

الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴿المؤمنون: 14﴾ كونها تدلّ على أنّ الجنين في مرحلة ما يكون قدر ما يمتص المصغ، وعلى شكل قطعة لحم ممضوغة غير عادية كما أثبتت الدراسات العلمية الحديثة؛ فاختيار لفظ المضغة اختيار لغوي علمي دقيق⁽¹⁾.

ومنه كلمة " الشوى" في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْلَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ

﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنَ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾﴾ (المعارج: 15 - 18) ومن

معاني (الشوى) جلد الإنسان⁽²⁾. وفي اختيار هذا الاسم تحديد لنوع عذاب الذي

(1) ينظر: فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص6. وقد يكون اختيارها لأسباب أخرى يعلمها الله إضافة إلى ما ذكر.

(2) ينظر: لسان العرب (شوى) 2368/4 .

يجمع المال من أيّ طريق ويحفظه في وعاء ولا يعطي حقه، فهذا عقوبته أن تنزع جهنم جلده وتبقي الأحشاء، « والجلد للأحشاء كالوعاء للمال يحفظ ما في داخله، فإنّ هذا الشخص كما أوعى ماله ومنع حقه، سيمزق الله وعاء جسمه ويخرج ما في داخله... فانظر التناسق الجميل بين المعصية والعذاب.»⁽¹⁾

ونحو من ذلك كلمة "تراب" في قوله تعالى: ﴿إِن مِّثْلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ

كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: 59)

التي اختارها الله سبحانه وتعالى بدل "طين" (مجموع التراب والماء) المذكورة في مواضع أخرى، كقوله: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾ (ص: 71) ؛ وبهذا عبّر عن المراد وهو تهوين أمر خلق من ادّعى بنو إسرائيل فيه تقديسا فوق ما يلزم، فهو مخلوق من عنصر بسيط (تراب) ولم يقل من (طين)؛ « وذلك أنه أدنى العنصرين وأكثرهما، لما كان المقصود مقابلة من ادّعى في المسيح الإلهية أتى بما يصغر أمر خلقه عند من ادّعى ذلك، فلهذا كان الإتيان بلفظ التراب أمس في المعنى من غيره من العناصر؛ ولما أراد سبحانه الامتتان على بني إسرائيل أخبرهم أن يخلق لهم من الطين كهية الطير، تعظيما لأمر ما يخلقه بإذنه، إذا كان المطلوب الاعتداد عليهم بخلقه ليعظموا قدر النعمة به.»⁽²⁾

وفي اختيار "اللبد" التي تعني المجتمع المتلبّد الكثير^(*) دون غيرها مما في معناها في قوله تعالى: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَدًا﴾ (البلد: 6) مناسبة لمعناها اللغوي الدقيق والمراد بها؛ ففي بداية السورة يذكر الله تعالى أنّ الرّسول-صلى الله

(1) فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص160.

(2) الزركشي: البرهان في علوم القرآن 234/3.

(*) جاء في (الكشاف): «لُبْدًا قرئ بالضم والكسر جمع لُبْدَة ولِبْدَة، وهو ما تلبّد يريد الكثرة.» الزمخشري: الكشاف 377/6.

عليه وسلّم - حلّ بهذا البلد، والكفرة لا يحلو لهم ذلك، فهم مجتمعون لإيذائه وصدّه عن دعوته كما في الآية: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ (الجن: 19) « فاجتماع المال في الإهلاك مناسب لاجتماع الكفرة على الرسول لإهلاكه، وإهلاك دعوته وهو حلّ بهذا البلد. »⁽¹⁾

1-2 اختيار اسم بعينه لتعبيره في سياق معيّن عن الوظيفة التواصلية المقصودة بدقة:

من أمثلة اختيار الاسم للتعبير به بدقة عن وظيفة تواصلية ما في سياق خاص اختيار كلمة "مُرسلين" عوض "مُوحين" في هذه الآية: ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (القصص: 45) « لأنّ المقصد الأهمّ هو إثبات وقوع الرّسالة من الله للرّدّ على المشركين في قوله. وقول أمثالهم: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ (المؤمنون: 24) »⁽²⁾ وليتناسب المعنى مع سياق ما سيأتي في الآية اللاحقة: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص: 46)؛ فهذه الآية تبين أنّ الرّسول -صلى الله عليه وسلّم- رحمة، ومن وظائفه الإنذار، وفي هذا تأكيد على دقة اختيار مُرسلين بدل مُوحين.

(1) فاضل صالح السّامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص 260.

(2) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 132/20.

ومنه نهيه سبحانه وتعالى عن الجهل بدل أن يأمر بالعلم في قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ

اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأنعام: 35)؛

وذلك لتضمن هذا النهي الأمر بالعلم والنهي عن الجهل معا؛ «فيتقرر في الذهن مرتين، ولأن في النهي عن الجهل بذلك تحريضا على استحضار العلم به.»⁽¹⁾

ومن أمثلة اختيار الاسم لدلالته الخاصة في السياق اختيار كلمة "راعون" مع الأمانة والعهد بدل كلمة "حافظون" في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ

لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون: 8)؛ لأن الرعي يتطلب ملازمة الرعية

ومتابعة تفقدها «وأصل الرعي حفظ الحيوان، وتولي أمره وتفقد شأنه.»⁽²⁾

ومنه اختياره سبحانه وتعالى أن تكون العقوبة هي "النكير" بدل "العذاب" ونحوه.

في قوله: ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ

أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (الحج: 44) «... وكان مناسبة اختيار النكير

في هذه الآية دون العذاب ونحوه أنه وقع بعد التنويه بالنهي عن المنكر ﴿الَّذِينَ

إِنْ مَكَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ أْقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ

وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج: 41) لينبه المسلمين على أن

يبدلوا في تغيير المنكر منتهى استطاعتهم، فإن الله عاقب على المنكر بأشد العقاب،

فعلى المؤمنين الائتساء بصنع الله. «⁽³⁾ فاستعمل النكير للإشارة إلى توجيه سابق

(1) السابق 207/7.

(2) فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص 148.

(3) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 284/17.

في السياق، وهو شروط التمكين في الأرض والنصرة التي من ضمنها النهي عن المنكر، وللتذكير بأنّ الجزاء من جنس العمل، وأنّ عقوبة من لم ينه عن المنكر شيء من جنسه مشار إليه في لفظه وهو النكير.

1-3 اختيار اسم بعينه لتعبيره في مقام معيّن عن الوظيفة التواصلية المقصودة بدقة:

كثيرا ما يُختار الاسم لتعبيره في مقام معين عن معنى قد لا يؤديه في مقام آخر ولا يؤديه غيره من الأسماء كما في كلمة "خلف" التي اختيرت بدل كلمة "خلف" وما في معناها في قوله تعالى: ﴿فَرَحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ (التوبة: 81) لتشير إلى مخالفة أمر رسول الله من قبل القاعدين المتخلفين عن الجهاد حين استنفر الرسول - صلى الله عليه وسلم - الناس جميعا للغزو⁽¹⁾. فتؤدي بذلك المعنيين: مكان القعود وفعل المخالفة. ومن ذلك التعبير باسم "الرحمن" خصيصا دون غيره من أسماء الله تعالى كما في قوله:

﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَّتَتَلَوَا عَلَيْهَا الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ (الرعد: 30) له عدة وظائف تواصلية منها⁽²⁾:

- التأكيد على وجود هذا الاسم والصفة "الرحمن" لجحد المشركين بهما، وكفرهما

(1) ينظر: السابق 280/10، 281.

(2) ينظر: نفسه 141/13.

بهذا الاسم بالذات كفرا شديدا. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ (الفرقان: 60).

- وفي ذكر اسم الرحمن إشارة إلى تكذيب كفرين من كفر المشركين: جحد الوجدانية، وجحد اسم الرحمن.

- وفي ذكر هذه الصفة "الرحمن" تأييد ومخالفة لما كذبوا به فقد كذبوا بالرسول والقرآن اللذين هما رحمة من الرحمن عز وجل.

هذا ويذكر بعضهم أن لكلمة "الرحمن" دلالات خاصة عند العرب زمن نزول القرآن؛ فقد كان الأولون من مشركي مكة ينفرون منها حين يستعملها القرآن لما علموه عن أصلها ومعناها في الديانات التوحيدية السابقة التي خالطوا أهلها. ومنه ما أشار إليه القرآن كالإلحاح على وحدانية الله تعالى (1).

ومن ذلك استعمال لفظ "الجبل" بدل "الطور" على ما بينهما من دلالة عامة على معنى واحد وهو الجبل، وذلك لم يكن عشوائيا بل لسبب قد تكون الوظيفة التواصلية أساسه؛ حيث نجد في الحديث عن الشيء العظيم والهول والتخويف يستعمل القرآن ما دل على شدة الضخامة والكبر وبيان المقدرة العظيمة وهو الجبل؛ وذلك نحو قوله تعالى في قول موسى عليه السلام:

﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ^ج قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي^ج فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى

صَعِقًا^ج) (الأعراف: 143) « فانظر كيف اختار لفظ الجبل على الطور للدلالة على

عظم التجلي وأثره. » (2)

(1) ينظر: عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 213-222.

(2) فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية، تأليفها وأقسامها، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص 41.

ومن استعمال الجبل دالاً على الشدة والقوة للتهديد والتخويف استعماله مع النثق الذي هو أشد وأقوى من الرفع في الآية:

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا

ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأعراف: 171) « ذلك أن

معنى النثق: هو الجذب والزعزعة والاقتلاع، ومعناه أيضاً: هو أن يقلع الشيء فيرفعه من مكانه ليرمي به، هذا هو الأصل في حين أن الرفع ضد الوضع.»⁽¹⁾

1-4 اختيار اسم بعينه لتعبير أصواته عن الوظيفة التواصلية المقصودة بدقة:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ

سُودٌ﴾ (فاطر: 27)

وردت الآية مستعملة لفظ "جُدَد" في تكوين الجبال بدل "صخور" كون لفظ الجبل يدل كما ذكرنا على الشدة والقوة والتخويف؛ لذا فهي مشكلة ومكونة مما تشير أصوات حروفه إلى ذلك، وهو لفظ "جُدَد"؛ فكل حروفه شديدة بخلاف حروف كلمة "صخور" التي هي: «صاد رخوة ثم خاء رخوة أيضاً ثم راء تكرارية، وفي الرخاوة رخاوة، وفي التكرار تخلخل، أما لفظ (جُدَد) فالشدة واقعة في كل حرف من حروفه مما يوحي بالقوة التي تتناسب مع تركيب الجبال.»⁽²⁾ وتتناسب مع استعمال القرآن للجبل.

1-5 اختيار اسم بعينه لتعبير وزنه عن الوظيفة التواصلية المقصودة بدقة:

للوزن دوره في تحديد الوظائف التواصلية للصيغ الصرفية العربية؛ وبه يُفرّق بينها في كثير من الأحيان، وعلى أساسه تختار الكلمة دون غيرها، ومثال ذلك

(1) فاضل صالح السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 127.

(2) تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص 352.

اختيار كلمة "الصراط" بحسب وزنها حسب ما يبدو في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: 6) دون غيرها مما يقترب معها في الدلالة،

نحو: كلمة (طريق) أو (سبيل)، وهذا الاستعمال له ما يبرره وظيفيا؛ فهي تؤدي وظيفة خاصة تتميز بها؛ « ذلك أن (الصراط) على وزن (فعال) من (صراط) وهو من الأوزان الدالة على الاشتمال كالرباط والشداد، فيشتمل على كل السالكين، ولا يضيق بهم فهو واسع رحب بخلاف كلمة (طريق) فإنها (فعليل) بمعنى (مفعول) من (طرق) بمعنى مطروق، وهذا لا يدل في صيغته على الاشتمال، فقد يضيق بالسالكين ولا يستوعبهم.

وكذلك كلمة (السبيل) فهي كأنها (فعليل) بمعنى (مفعول) من أسبلت الطريق إذا كثرت سابلتها كالحكيم بمعنى المحكم. والسابلة من الطرق المسلوكة يقال: سبيل سابلة، أي: مسلوكة.⁽¹⁾ فللوزن صداه على البنية اللغوية التي تفرض صيغتها وشكل وجودها الوظيفة التواصلية. ومن دقة العربية أن يختار لكل وظيفة مبنى معين بوزن خاص مقصود.

1-6 اختيار اسم بعينه لتعبير مادة مسماه عن الوظيفة التواصلية المقصودة بدقة:

قد يُختار الاسم بناء على المادة التي خلق منها المسمى به، لا على أي أساس لغوي أو أسلوب، ففي الآية الكريمة: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾

وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَّقْطِينٍ﴾ (الصفافات: 145، 146) اختار الله سبحانه

وتعالى اليقطين دون غيره من الأشجار لأن نبات اليقطين^(*) أوراقه ممتدة سائرة،

(1) فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص 58.

(*) اليقطين ما لا ساق له من النبات. واليقطينة: القرعة الرطبة. ينظر: الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تقديم وتعليق:

أبو الوفا نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2004، ص 1234.

وغلته غداء طازج في المتناول. فضلا ولطفا بعبده يونس-عليه السلام- بعد الشدة. يقول ابن عاشور: «...فالظاهر أن أغصان اليقطينة تسَلَّقت على جسد يونس فكسته وأظلمته. واختير له اليقطين ليمكن له أن يقتات من غلته فيصلح جسده، لطفا من ربه به بعد أن أجرى له حادثا لتأديبه، شأن الربّ مع عبده أن يعقب الشدة باليسر.»⁽¹⁾ ومثل هذا كثير.

2- اختيار الاسم بحسب العدد:

1-2 اختيار المفرد:

من أمثلة اختيار الاسم المفرد بدل الجمع لوظيفة تواصلية أو لوظائف ما يأتي:
- كلمة (نَهْر): اختارت الآية الكريمة التعبير بالاسم المفرد (نَهْرٌ بدل أنهار) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ (القمر: 54) مع أن الجنّات قبله جمع، بخلاف المواضع الأخرى من القرآن الكريم، فإنه إذا جمع الجنة جمع النهر نحو: ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (آل عمران: 15) وذلك والله أعلم أنه جمع في لفظ (النهر): عدّة معانٍ منها:

* أن (النهر) اسم جنس بمعنى الأنهار وهو بمعنى الجمع، وقد يؤتى بالواحد للدلالة على الجمع والكثرة ومنه قوله -صلى الله عليه وسلم-: «أهلك الناس الدينارُ والدرهمُ».

* ومنها أن من معاني (النهر) السعة⁽²⁾.

* ومنها أن من معاني (النهر) الضياء. جاء في (لسان العرب) «وأما قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ (القمر: 54) فقد يجوز أن يعني به

السعة والضياء وأن يعني به النهر الذي هو مجرى الماء على وضع الواحد

(1) تفسير التحرير والتنوير 177/23، 178.

(2) ينظر: الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص513.

موضع الجميع...وقيل في قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ أي في ضياء وسعة لأنّ الجنة ليس فيها ليل إنما هو نور يتلأأ.⁽¹⁾ ولو وردت بصيغة الجمع (أنهار) لكان لها معنى واحد وهو مجرى الماء، فاختيار المفرد كان أكثر وظيفية.

- كلمة (عَظْم): ومن أمثلة اختيار الاسم المفرد اختيار كلمة (عَظْم بدل عِظام) في قوله تعالى -على لسان زكرياء عليه السلام-: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ

مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ (مريم: 4)

قال الزمخشري في بيان سر اختيار المفرد دون الجمع (عظام) في هذه الآية: «وإنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه...، ووحدته لأنّ الواحد هو الدال على معنى الجنسية، وقصده إلى أنّ هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشدُّ ما تركّب منه الجسد قد أصابه الوهن، ولو جمع لكان قصدا إلى معنى آخر وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها.»⁽²⁾

- ومثله توحيد كلمتي (حَلَقٌ وَعَظْمٌ) في قول الشاعر⁽³⁾:

لا تتكروا القتل وقد سُبِينَا في حَلَقِكُمْ عَظْمٌ وقد شُجِينَا

- كلمة (الدُّبُر): في قوله تعالى: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر: 45)

أفرد الدبر ويعني الجمع، وربّما وُحِدَ للدلالة «على أنّ انهزام الجمع انهزيمة واحدة ولذلك الجيش جهة تولٍّ واحدة، وهذا الهزم وقع يوم بدر.»⁽⁴⁾

2-2 اختيار الجمع:

كثيرا ما تدعو الوظيفة التواصلية إلى استعمال الجمع بدل المفرد، ومثال ذلك:

(1) ابن منظور: لسان العرب (نهر) 4556/6؛ وينظر: الزمخشري: الكشاف 665/5.

(2) الزمخشري: الكشاف 5/4، 6.

(3) ابن منظور: لسان العرب (نهر) 4556/6.

(4) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 213/27.

- جمع الأمانات في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ

رَاعُونَ﴾ (المؤمنون: 8) جُمعت الأمانات كونها متعددة وموجودة في كل مجالات

الحياة، وخلافها العهد فهو أقل⁽¹⁾.

- اختيار الجمع على صيغة (فعلى وفعالى) للدلالة على البلية والآفة النازلة،

ومنه: جمع أحقق على (حمقى) إذا أريد بها أن الحمق أصبح فيهم بلية وآفة، وإن أردت مجرد الجمع قلت: حمق.

ومثلها (عطاشى) لمن استحكم فيهم العطش، و(يتامى) لمن يكابدون قساوة

بسبب يتيمهم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا

يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: 10) تدل صيغة

الجمع (يتامى) هنا على أن هؤلاء اليتامى قاصرون قد لا يوجد من يحمي حقهم

ومالهم؛ ولهذا يحذر من يأكل ما لهم ظلما ويعده بالسعير؛ «فجمعه على اليتامى

لتشنيع فعلة الآكل، فهؤلاء يتامى مهضومون أثر عليهم اليتيم حتى أصبح بلية نازلة

عليهم، فكيف يسوغ أكل مالهم ظلما؟»⁽²⁾

- جمع (السيئات) في قوله تعالى: ﴿...وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ

عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ﴾ (فاطر: 10) يقول ابن

عاشور: «...فلما أريد هنا التنبيه على أن أولياء الشيطان لهم أنواع من المكر عدل

عن الأفراد إلى الجمع وأوتي به جمع مؤنث للدلالة على معنى الفعلات من المكر،

فكل واحدة من مكرهم هي سيئة...»⁽³⁾ وفي الأخير نبه باسم الإشارة على أنه

(1) ينظر: فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص148.

(2) فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص143.

(3) تفسير التحرير والتنوير 22/274.

مهما تعدد مكرهم فسيبور وينتهي أمرهم وأمره.

2-3 تنوع العدد المختار بحسب الوظيفة:

قد يتنوع اختيار العدد في صيغ العبارة الواحدة بحسب توجيه الوظيفة التواصلية، كما في الآيات الآتية:

* قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ﴾ (١٣) وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا

فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (النساء: 13، 14) نجد في الإتيان بصيغة الجمع

كلمة "خالدين" عند وصف ثواب الطائعين، ومقابلته بالافراد في وصف عقاب "العاصين" إشارة إلى أن القوم يومئذ كانوا قد دخلوا في الإسلام ونبذوا الكفر ولم يخالف إلا من لم يثبت الإيمان في قلبه⁽¹⁾ وربما يكون قليلا لذا أشار إليه بصيغة المفرد. وفي التعبير عن العاصي بالمفرد كذلك تأكيد على إزالته وتعذيبه بالوحشة والافراد وقلة النصير⁽²⁾.

* قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ

خَشِعُونَ﴾ (المؤمنون: 1، 2) وقال بعد ذلك: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ

مُحَافِظُونَ﴾ (المؤمنون: 9) ذكر الصلاة في بداية السورة بصيغة المفرد في

حديثه عن خشوع في جنس الصلاة، ثم ذكرها بصيغة الجمع للإشارة إلى أن

(1) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 268/4.

(2) ينظر: عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص 112.

الصلاة أنواع يُفلح المحافظ عليها جميعا. جاء في "الكشاف": «...فقد وُحِّدَتْ أولاً ليفاد الخشوع في جنس الصلاة، أي صلاة كانت، وجمعت آخراً لتفاد المحافظة على أعدادها وهي: الصلوات الخمسة والوتر والسنن المرتبة على كل صلاة، وصلاة الجمعة والعیدین والجنائز والاستسقاء والكسوف والخسوف، وصلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبیح وصلاة الحاجة، وغيرها من النوافل.»⁽¹⁾

*قال تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿الشعراء: 100، 101﴾ فقد أفرد (الصديق)، وجمع (الشافعين)؛ لأنَّ الشفعاء لصاحب الضيم والملهوف كثر وبخاصة إن استعان بهم، وأما الصديق بمعناها الحقيقي فقليل، قال الزمخشري: «فإن قلت: لم جمع الشافع ووجد الصديق؟ قلت: لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق. ألا ترى أن الرجل إذا امتحن بإرهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل بلده لشفاعته، رحمة له وحسبة، وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة. وأما الصديق - وهو الصادق في وداك الذي يهيمه ما أهمك - فأعز من بيض الأنوق»⁽²⁾. ويجوز أن يريد بالصديق: الجمع⁽³⁾.

3- اختيار الاسم بحسب التعيين:

يدل التكرير على الواحد أو الجنس ويدل التعريف بأل على العهد أو الجنس. ويختلف المعنى تبعاً لذلك وهذا الاختلاف يعبر عن وظائف تواصلية متنوعة كل في موضعه. جاء في (الكتاب): «يقول الرجل (أتاني رجل). (يريد واحداً في العدد لا اثنين فيقال: ما أتاك رجل، أي أتاك أكثر من ذلك، أو يقول: (أتاني رجل لا امرأة.) فيقال: ما أتاك رجل، أي امرأة أتتك. ويقول: (أتاني اليوم رجل.)، أي في

(1) الزمخشري: الكشاف 220/4.

(2) نفسه 401/4، 402. الأنوق تعني الرخمة وبيضها صعب المنال «لأنها تحرزها فلا يكاد يُظفر به لأن أوكارها في

رؤوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة.» لسان العرب (أ ن ق) 153/1.

(3) ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن 16/4.

قوته ونفاذه، فنقول: ما أتك رجل، أي أتك الضعفاء. فإذا قال: ما أتك أحد صار نفياً عاماً لهذا كله.⁽¹⁾ من هذا نجد أنّ عبارة: ما أتك رجل. بتكرير كلمة (رجل) تحتل المعاني الثلاثة: نفي الواحد وإقرار الجماعة، ونفي جنس الرجال، ونفي من هو قوي نافذ (*). والوظيفة التواصلية هي التي تحدد متى تكون كل جملة وأين ترد.

ومن الأغراض التواصلية للتكرير إضافة إلى ما سبق إيهام التعميم وما يتولد عنه من إيهام أو تهويل أو تحقير أو تعظيم بحسب موقع الكلمة من سياقها اللغوي ومقامها الاجتماعي. ومما يفيد التكرير من تعميم لأداء وظيفة التهويل، وتعظيم الموقف ما ورد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارَهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ^ج﴾ (النساء: 47)؛ فتكرير كلمة "وجوه" جعلها «غير محدّدة لأصحاب هذه الوجوه من بين أهل الكتاب، أهم دعاة الكفر منهم فقط، أم هم جميع أفراد الطائفة؟ وهكذا يقود التكرير الذهن إلى مسارب للمعنى متعدّدة، وهو ما قصدت إليه الآية.»⁽²⁾ مما يجعل كل واحد منهم يتوقع نفسه مستهدفاً بالطمس.

وكذلك الأمر بالنسبة للتعريف فلا يثبت في اسم إلا لوظيفة؛ فنقول: جاء الرجل؛ أي الرجل المعهود الذي تعرفه، ونقول: جاء الرجل؛ أي المتصف بكمال الرجولة. ونقول: أحبّ الكتاب؛ فقد تشير بذلك إلى كتاب معين أو إلى جنس الكتاب بحسب المقام والوظيفة المنشودة⁽³⁾. وكما يعرف اللفظ بـ (ال الجنسية أو العهدية) مثل

(1) سيبويه: الكتاب 55/1.

(*) ولنفي الثلاثة جميعاً نأتي بعبارة واحدة هي: ما أتك أحد.

(2) تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص 355، 356.

(3) ينظر: فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص 76.

ما رأينا يعرف باستعمال الموصول للإخبار الخالص، نحو: الذي اجتهد ينال. أو
لمعنى الشرط، نحو: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ (المائدة: 38).

نخلص من ذا وذاك إلى أنّ التعريف والتكثير عند العرب يثبتان لسبب الوظيفة
التواصلية منه أعنى، كما يخالفان لسبب، ولا اعتبار في ذلك.

4- اختيار المصدر:

4-1 اختيار مصدر بعينه لوظيفة خاصة:

يُختار المصدر للتواصل والتعبير عن الأغراض، لما يُختصّ به مما لا يؤديه
غيره من الأسماء والمشتقات، ومن الوظائف التواصلية للمصدر:

- تأكيد معنى الصّفة في الموصوف بالفعل أو في المُتحدث عنه ليصبح كأنه
مخلوق من تلك الصّفة، كما نقول: عمر رجل عدل. فـ(عدل) وقعت موقع الصّفة
(عادل) لتأكيد عدل عمر وأنّ العدل أصبح صفة مميزة له، وعادة عُرف بها،
وكأنه هو العدل ذاته. يقول ابن جني: «ومن تجاذب الإعراب والمعنى ما جرى
من المصادر وصفا نحو قولك: هذا رجل دنف وقوم رضى ورجل عدل. فإن
وصفته بالصّفة الصريحة قلت: رجل دنف وقوم مرضيون ورجل عادل. هذا هو
الأصل. وإنما انصرفت العرب عنه في بعض الأحوال إلى أن وصفت بالمصدر
لأمرين: أحدهما صناعي والآخر معنوي. أمّا الصناعي فليز يدك أنسا بشبه المصدر
للصّفة التي أوقعته موقعها كما أوقع الصّفة موقع المصدر في نحو قولك: " أقائماً
والناس قعود"... وأمّا المعنوي فلأنّه إذا وُصف بالمصدر صار الموصوف كأنه
في الحقيقة مخلوق من ذلك الفعل. وذلك لكثرة تعاطيه له واعتياده إياه. »⁽¹⁾

ومن وضع المصدر موضع المشتقّ لتمكين المعنى وتوكيده كلمتا: " رضى وعدل"
" في بيت زهير بن أبي سلمى⁽²⁾ (الطويل):

(1) الخصائص 3/259.

(2) زهير بن أبي سلمى: ديوان زهير بن أبي سلمى، اعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2،
2005، ص49.

مَتَى يَشْتَجِرُ قَوْمٌ ثَقُلَ سُرَوَاتُهُمْ هُمْ بَيْنَنَا فَهُمْ رَضَى وَهُمْ عَدَلُ

يقول ابن جني معلقاً على هذا البيت: « فإذا قيل: رجل عدل فكأنه وصف بجميع الجنس مبالغة؛ ... فوصف بالجنس أجمع تمكيناً (لهذا الموضع)، وتوكيداً. »⁽¹⁾

ومنه "هدى" في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَلَكْتُبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى

لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: 2) فلو قال: "هاد" لم يحصل مثل ما حصل بالمصدر "هدى"

من معنى؛ ففيه تمام الثناء على القرآن وفيه تأكيد على أهمية القرآن للمتقين موجّها ودستوراً على اختلاف مراتبهم وأزمانهم، وفيه تذكير بأن القرآن صالح لكل زمان ومكان؛ فالمصدر غير مقيد بزمن مثل أكثر المشتقات. يقول ابن عاشور: « حصل من وصف الكتاب بالمصدر من وفرة المعاني ما لا يحصل، لو وصف باسم الفاعل فقيل هاد للمتقين، فهذا ثناء على القرآن وتنويه به وتخلص للثناء على المؤمنين الذين انتفعوا بهديه، فالقرآن لم يزل ولن يزال هدى للمتقين، فإن جميع أنواع هدايته نفعت المتقين في سائر مراتب التقوى، وفي سائر أزمانه وأزمانهم على حسب حرصهم ومبالغ علمهم واختلاف مطالبهم. »⁽²⁾

4-2 اختيار المصدر بحسب وزنه:

4-2-1 اختيار وزن "فَعْلَان":

من دقة الاختيار أن يُستعمل المصدر مختاراً بناءً على وزن دون آخر خدمة لما يبتغيه المتكلم به من وظيفة أو وظائف؛ ومثله استعمال وزن "فَعْلَان" في الآية الكريمة:

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ

(1) الخصائص 2/202.

(2) تفسير التحرير والتنوير 1/226، 227.

أَلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ (العنكبوت: 64). فقد اختار كلمة " الحيوان " على وزن: فَعْلَان. ليقصد بها حياة الآخرة مقابلاً لـ " الحياة " وهي حياة الدنيا. للتعبير عن معنى المبالغة في الحركة كدليل على الحياة؛ فأهمّ ما يميّز الحي الحركة. وفيه إقرار الكمال؛ فالحياة الآخرة هي الحياة الباقية وحياة الخلود. قال الزمخشري: « وفي بناء الحيوان زيادة المعنى ليس في بناء الحياة وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنَّزَوَان والنَّغْصَان واللَّهَبَان وما أشبه ذلك. والحياة: حركة، كما أنّ الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة، ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة. »⁽¹⁾

4-2-2 اختيار وزن " افتعال "

استعمل العرب صيغة افتعال في الغالب للدلالة على المبالغة وأحياناً للدلالة على التكلف والتصنع، من ذلك ما ورد في قول المتنبي⁽²⁾ (الكامل):
أَمِنْ أَزْدِيَارِكَ فِي الدُّجَى الرُّقْبَاءُ إِذْ حَيْثُ كُنْتَ مِنَ الظُّلَامِ ضِيَاءُ
و الزدّيار افتعال من الزيارة، أفادت صيغة الافتعال في (ازديار) أنّ هذه المرأة عفيفة مصونة لا تزور إلا تكلفاً؛ فتزور ليلاً ومع ذلك لجمالها ترى للرقباء الذين آمنوا زيارتها في الليل؛ لأنها كالنور أو كالبدر لا تخفى على ناظر⁽³⁾.

4-2-3 اختيار وزن " تفعيل "

ومن اختيار المصدر لوزنه اختيار المصدر "تنزيل" بدلاً من الإنزال والنزول وما في معناه في قوله تعالى: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ

(1) الكشف 560/4.

(2) المتنبي: ديوان أبي الطيب المتنبي، علّق حواشيه وفسر كلماته اللغوية: سليم إبراهيم صادر، المطبعة العلمية ليوسف إبراهيم صادر، بيروت، 1900، ص 104.

(3) ينظر: العكبري: شرح ديوان المتنبي، ضبط: عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1997، 33/1؛ وينظر: عبد الحميد هندواوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص 96.

أَلْحَكِيمِ ﴿١﴾ (الزمر: 1). للتعبير عن وظيفة التقطيع والتتالي، يقول ابن عاشور: «... وتنزيل: مصدر نَزَلَ المضاعف وهو مشعر بأنه أنزله منجّماً. واختيار هذه الصيغة هنا للردّ على الطاعنين لأنهم من جملة ما تعلّلوا به قولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ (الفرقان: 32)» (1)

3-4 اختيار المصدر بحسب دلالة التعدي في فعله أو اللزوم:

ويختار المصدر كون فعله يدل على التعدي كاختيار المصدر (صدًا) في الآية: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (النساء: 160) بمعنى: يصدّون غيرهم؛ أي يمنعونهم، فاستعماله هنا كان ليدل على المنع بخلاف المصدر (صدودا) في الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ (النساء: 61) فهو مستعمل ليدل على إعراضهم هم؛ أي استعمل المصدر دالّا عما يدل عليه الفعل اللازم: أعرَضَ (2).

4-4 اختيار المصدر النائب عن فعله:

ورد اختيار المصدر نائباً عن فعله للدلالة على الثبات والتحقيق في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة: 178) فالمصدران: "اتّباع" و"أداء" نابا عن فعليهما؛ أي (فليتّبع) (ولْيؤدِّ) لتأكيد ضرورة تطبيق هذه الأوامر لما لها من مصلحة. يقول ابن عاشور:

(1) تفسير التحرير والتنوير 314/23.

(2) ينظر: فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص 21.

« (واتباع) (وأداء) مصدران وقعا عوضا عن فعلين والتقدير: فليتبع إتباعا وليؤدَّ أداءً فعدل عن أن ينصب على المفعولية المطلقة إلى الرفع لإفادة معنى الثبات والتحقيق الحاصل بالجملة الاسمية... فنظم الكلام: فاتّباع حاصل ممّن عفي له من أخيه شيء، وأداء حاصل من أخيه إليه.»⁽¹⁾

5- اختيار اسم المرة:

يختار اسم المرة مقصودا دون المصدر وغيره من المشتقات لوظيفة خاصة ومن ذلك اختيار كلمة (نظرة) في قول ابن المعتز⁽²⁾ (الطويل):

وَإِنِّي عَلَى إِشْفَاقٍ عَيْنِي مِنَ الْعَدَى لَتَجْمَحُ مِنِّي نَظْرَةٌ ثُمَّ أُطْرَقُ

فقد اختار اسم المرة (نظرة) ليبين أنه لم يحقق إلا نظرة واحدة وخلصه لخوفه من الأعداء مع أنه يحاول مواصلة النظر؛ دليل ذلك ضمير العظمة وياء المتكلم واستعمال أداة التراخي "ثم". وفي هذا المعنى يقول عبد القاهر الجرجاني: «فترى أن هذه الطلاوة وهذا الظرف إنما هو لأن جعل النظر يجمع، وليس هو لذلك، بل لأن قال في أول البيت (وإنني) حتى دخل اللام في قوله (لتجمع) ثم قوله (منّي)، ثم لأن قال (نظرة) ولم يقل النظر مثلا، ثم لمكان (ثم) في قوله: (ثم أطرق)...»⁽³⁾ قال المجنون⁽⁴⁾ (الطويل):

وَإِنِّي لَأَسْتَغْشِي وَمَا بِي نَعْسَةٌ لَعَلَّ خَيْالًا مِنْكَ يَلْقَى خَيَالِيَا

يغطي الشاعر وجهه طلبا للنوم، ولا تجيئه حتى واحدة النعاس؛ وعبر عن ذلك باستعمال اسم المرة (نعسة) منفيًا لتأكيد المبالغة في الأرق والسهاد لشدة الوجد والشوق⁽⁵⁾.

(1) تفسير التحرير والتنوير 141/2.

(2) ابن المعتز: ديوان أشعار الأمير أبي العباس، دراسة وتحقيق: محمد بديع شريف، دار المعارف، القاهرة، 1987، 388/1.

(3) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 142.

(4) مجنون ليلى: ديوان قيس بن الملوّح مجنون ليلى رواية أبي بكر الوابي، دراسة وتعليق: يسرى عبد الغني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420 هـ / 1999م، 125.

(5) ينظر: عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص 100.

ب- اختيار الفعل:

1- اختيار فعل بعينه لوظيفة خاصة:

1-1 اختيار فعل بدل آخر يقاربه في المعنى في سياق خاص:

- اختيار الفعل: (يعرفون) بدل (يعلمون) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ

الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ

وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 146) قال يعرفون الكتاب ولم يقل يعلمون كون المعرفة

تتعلق غالبا بالذوات والمحسوس⁽¹⁾ حيث إنه لما تحدّث عن الأبناء قال يعرفون، ولما تحدّث عن كتمان الحق قال يعلمون، وفي التعبير بالمحسوس يتم تحقق وقوع المعرفة بالكتاب أكثر، وفيه قوة تأكيد إنكارهم الحق، ومن دلالة المعرفة على المحسوس قول زهير⁽²⁾ (الطويل):

وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً فَلَأَيًّا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمٍ.

- اختيار الفعل: (أمرتني) بدل (قلت لي) في قوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ

إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ

شَهِيدًا ۚ مَا دُمْتُ فِيهِمْ ۚ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ

وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة: 117) في اختيار الفعل

(أمرتني) في خطاب سيّدنا عيسى عليه السلام ربّه على (قلت لي) مبالغة في الأدب⁽³⁾ وتأکید على أنه عبده ورسوله المكلف بتبليغ أوامره. وبالمقابل أنه لما خاطب قومه قال: قلت لهم، ولم يقل: أمرتهم. وهذا تأكيد على تواضعه وإقرار بأنه عبد مثلهم.

(1) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 40/2.

(2) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص 65.

(3) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 116/7.

- اختيار الفعل: (يفقهون) بدل (يعلمون) في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي

أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ (الأنعام: 98). يقول ابن عاشور: «...عَدَلَ عَنْ (يعلمون)

إلى (يفقهون) لأنّ دلالة إنشائهم على هذه الأطوار من الاستقرار والاستيداع وما فيهما من الحكمة دلالة دقيقة تحتاج إلى تدبّر، فإنّ المخاطبين كانوا معرضين عنها فعبّر عن علمها بأنّه فقه، بخلاف دلالة النجوم على حكمة الاهتداء بها فهي دلالة متكرّرة، وتعريضاً بأنّ المشركين لا يعلمون ولا يفقهون، فإنّ العلم هو المعرفة الموافقة للحقيقة، والفقه هو إدراك الأشياء الدقيقة. فحصل تفصيل الآيات للمؤمنين وانتفى الانتفاع به للمشركين، ولذلك قال سبحانه وتعالى بعد هذا: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ

لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ (الأنعام: 99)»⁽¹⁾ كان لاختيار استعمال الفعل (يفقهون)

وظيفتان: الأولى ليبين أنّ الإيمان لا يتحقّق إلا بالتدبّر وإدراك كنه الخفي، والثانية ليشير إلى أنّ المشركين قد افتقدوا هذه الصّفة فهم لا يفقهون وأقلّ منها لا يعلمون.

- اختيار الفعل: (تسوّروا) بدل (تسلّقوا) في قوله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبُوءٌ

أَلْخَصَمَ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمَحْرَابَ ﴿٢١﴾ (ص: 21) اختارت الآية في التعبير عمّا قام

به المتخاصمون المحتكمون إلى سيّدنا داود -عليه السّلام- عندما تسلّقوا السّور الفعل: (تسوّروا) بدل الفعل (تسلّقوا). وذلك كون الفعل تسوّروا جمع في صيغته بين الكلمتين: تسلّقوا والسّور في لفظ واحد (تسوّروا) « الذي هو أخصر من كلمتين وأجمع للدلالة على المعنى وأكثر حكاية له.»⁽²⁾

(1) السابق 397/7.

(2) تَمَام حسان: البيان في روائع القرآن، ص 353، 354.

- اختيار الفعل: (رضيتُم) بدل (أثرتُم) في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيْتُمْ

بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا

قَلِيلٌ ﴿٢٨﴾ (التوبة: 38) اختير الفعل (رضيتُم) لتأكيد الإنكار الذي يظهر من

الاستفهام في قوله: (أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا) إذ لا يليق ذلك بالمؤمنين،

و«لأنَّ فعل (رضي بكذا) يدلُّ على انشراح النَّفس، ومنه قول أبي بكر الصَّدِّيق في حديث الغار فشرب حتى رضيت.»⁽¹⁾

- اختيار الفعل: (يرى) بدل (يعلم) في قوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا

الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ

الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ (سبأ: 6) استعملت الآية الفعل (يرى) بدل (يعلم) لأجل التأكيد على أن

ما علموه هو الحق دون غيره يقينا كالمرئي عيانا المعلوم بالضرورة⁽²⁾.

- اختيار الفعل: (يهجعون) بدل (يقومون) في قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنْ

الَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ (الذاريات: 17) ذكر الله سبحانه وتعالى أن من صفات عباده

المتقين قيام الليل وعبر عنه بقلة الهجوع للتذكير بأنهم خالفوا ما تميل إليه النفس وتشتتته، ويصرفها عن ذكر الله تعالى⁽³⁾.

(1) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 198/10.

(2) ينظر: نفسه 145/22.

(3) ينظر: نفسه 349/26.

- اختيار الفعل: (افعل ما تؤمر) بدل (اذبحني) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ

السَّعْيَ قَالَ يَبْنِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ

يَتَأَبَّتُ أَفْعَلًا مَا تُؤْمَرُ^ص ﴿الصافات: 102﴾ اختارت الآية (افعل ما تؤمر) في التعبير

عن استجابة سيدنا إسماعيل لأبيه بدل (اذبحني) للجمع بين الإذن وتعليقه؛ وذكر سبب الذبح والإقرار بتبرئة أبيه؛ «أي أدنت لك أن تذبحني لأن الله أمرك بذلك، ففيه تصديق أبيه وامتنال أمر الله فيه.»⁽¹⁾ ولربما كان ذلك الاختيار لوظيفة تواصلية أخرى وهي أنه لم يكرر ذكر الذبح لعدم تحققه فيما بعد، وافتداء سيدنا إسماعيل بالذبح العظيم ليكون هذا الأخير هو السنة المقررة.

1-2 اختيار أحد الفعلين المتقاربين معنىً بحسب الوظيفة الدقيقة:

- اختيار الفعل: (أدخل) أو (اسلك):

يقترب المعنى العام للفعلين (أدخل) و (اسلك) ولكنهما يختلفان في الاستعمال الدقيق ولكل وظيفة الخاصة؛ فالإدخال أخصّ وأشقّ من السلك الذي قد يكون سهلاً ميسوراً، قال تعالى: ﴿فَاسْأَلِكْ سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا﴾ (النحل: 69) فكلمة (ذلاً)

تشير إلى سهولة السلك ويسره، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ (الزمر: 21). فلا أسهل من سلوك الماء في

الأرض. ومن دلالة الإدخال على المشقة والصعوبة ما جاء في قوله تعالى:

﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ

فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً

(1) السابق 152/23.

قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ (النمل: 12، 13) فمهمة التبليغ إلى فرعون وقومه مهمة شاقة⁽¹⁾ دليل ذلك فسقهم وجعلهم المعجزات سحرا.

- اختيار الفعل: (أتى) أو (جاء):

يُختار أحد الفعلين على الآخر في الاستعمال لما بينهما من فرق دقيق يجعل لكلٍّ منهما وظيفته الخاصة، ففي قوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النمل: 1) اختير الفعل (أتى) للحديث عن الإتيان فحسب.

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (غافر: 78). فقد اختير الفعل (جاء) للتعبير عن المشقة والصعوبة من قضاء وخسران، فلأداء وظيفة التعبير عما هو صعب وشاق نستعمل الفعل (جاء) ولما هو أيسر نستعمل الفعل (أتى)⁽²⁾.

1-3 اختيار فعل دون غيره:

قد يختار المتكلم فعلا دون غيره ومن ذلك اختيار الفعل (يُمسك) في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسِكُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غُفُورًا ﴿٤١﴾ (فاطر: 41) لاختيار الفعل (يُمسك) دون غيره مما في معناه في الآية ما يبرّره فهو مستعمل ليقابل الفعل (تزولا) الذي يعني زوال العدم وزوال التحول

(1) ينظر: فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص112.

(2) ينظر: نفسه، ص98.

الفصل الثاني اختيار الصيغ الصرفية

من مكان إلى مكان، كالزوال في الشمس؛ فيمسك يعني ضمان عدم وقوع الاثنين: زوال العدم وزوال التحول. يقول ابن عاشور: «وقد اختير هذا الفعل دون غيره لأن المقصود معناه المشترك فإن الله يمسكهما من أن يُعدما، ويمسكهما من أن يتحول نظام حركتهما، كما قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ

الْقَمَرَ وَلَا أَلِيلٌ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ (يس: 40)»⁽¹⁾

2- اختيار الفعل بحسب وزنه:

2-1 اختيار صيغة "أفعل":

تأتي صيغة (أفعل) لأغراض ودلالات أشهرها التعدية كما تدل على الصيرورة والسلب والتمكين والتعريض، وغير ذلك. قال ابن الحاجب: «وأفعل للتعدية غالبا نحو أجلسه، وللتعريض نحو أبعته، ولصيرورته ذا كذا نحو: أغد البعير، ومنه أحصد الزرع، ولوجوده على صفة نحو أحمده وأبخلته، وللسلب نحو أشكيت، و بمعنى فَعَلَ نحو قَلْتَهُ وَأَقْلَتَهُ...»⁽²⁾

ومن ذلك اختيار الفعل: (أجاء) في قوله تعالى عن مريم -عليها السلام:-

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا

وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسِيًّا ﴾ (مريم: 23) فقد اختيرت هذه الصيغة بالذات للتعبير

عن معنى الاضطرار والإلجاء، وهذا يناسب حالة مجيء المخاض لمريم عليها السلام، وهي حالة ضيق وكرهية⁽³⁾.

2-2 اختيار صيغة "فعل":

تُختار صيغة (فعل) لتفيد التكرير والمبالغة غالبا نحو: قَطَعَ وَفَتَحَ وَكَسَرَ وَحَرَّقَ

(1) تفسير التحرير والتنوير 328/22.

(2) الأسترابادي: شرح شافية ابن الحاجب 83/1.

(3) ينظر: نفسه 579/7.

وسعّر، وقد يخرج (فَعَّل) عن التكرير إلى معان أخرى كالتعدية، نحو فرّحته والنسبة إلى أصل الفعل نحو فسّقه وكفّره، أي: نسبه إلى الفسق والكفر وغير ذلك من المعاني⁽¹⁾. كما تُختار هذه الصيغة للدلالة على استغراق وقت أطول، وإفادة التلبّث والمكث؛ فـ(قَطَعَ) يفيد استغراق وقت أطول من (قَطَعَ)⁽²⁾.

كما تفيد الدلالة على الإفراط، ومن ذلك قول أبي محمد اليزيدي⁽³⁾ (السريع):

مَلَّكْتَهُ حَبْلِي، وَلَكِنَّهُ أَلْقَاهُ مِنْ زُهْدٍ عَلَى غَارِبِي

« حيث اختار الشاعر صيغة (فَعَّل) في قوله (مَلَّكْتَهُ) للدلالة على إفراط تمكينه إياه من قلبه حتى استولى عليه وامتلكه تمام الامتلاك، ليقابل ذلك بتخليه عنه تمام التخلي وإلقاء حبل مودّته زاهدا في وصله غير حريص على ما ملّكه إياه.⁽⁴⁾»

ومن أمثلة اختيار صيغة (فَعَّل) الفعل (فَجَّرَ) في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ

نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۖ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ

مِّنْ خِجَلٍ وَعِنَبٍ تُفَجِّرُ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۝﴾ (الإسراء: 90، 91)، فقال

في الينبوع (تفجّر) بالتخفيف وقال في الأنهار (تفجّر) بالتضعيف للتعبير عن وظيفة التكرير.

2-3 اختيار صيغة "انفعل":

تعبّر هذه الصيغة عن المطاوعة، وقبول الأثر كالكسر والقطع والجذب⁽⁵⁾ لحظة

(1) ينظر: أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف، ص 29، 30؛ وينظر: الأسترابادي: شرح شافية ابن الحاجب 96-93/1.

(2) ينظر: فاضل صالح السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 62.

(3) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 250. لم نعثر على مصدر للبيت غير الدلائل.

(4) عبد الحميد هندراوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص 128.

(5) ينظر: الأسترابادي: شرح شافية ابن الحاجب 108/1.

الفصل الثاني اختيار الصيغ الصرفية

الشروع في الفعل بسرعة وطواعية، فلا يصح أن نقول عما فُتح بعد محاولات عديدة وزمنٍ: فتحته فانفتح. ومثال دلالة "انفعل" على المطاوعة الفعل (انفجر) في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ (البقرة: 60) ^ص فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ^ص

2-4 اختيار صيغة "افتعل":

تأتي صيغة افتعل لعدة معان وأغراض تواصلية، منها: الاجتهاد، والطلب، والمبالغة في معنى الفعل، والتشارك، والإظهار⁽¹⁾. كما تكون للمطاوعة نحو غمته فاغتم، وللاتخاذ نحو اشتوى، وللمفاعلة نحو اجتوروا واختصموا، وللتصرف نحو: اكتسب⁽²⁾. ومن أمثلة دلالة صيغة "افتعل" على المطاوعة الفعل (اكتسب) في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: 286) حيث اختارت الآية صيغة (افتعل) على غيرها لتدل على مطاوعة النفس على فعل الشر وإقبالها عليه، قال الزمخشري: «فإن قلت لم خصّ الخير بالكسب والشر بالاكتساب؟ قلت: في الاكتساب اعتمال، فلما كان الشر مما تشتهي النفس وهي منجذبة إليه وأمارة به، كانت في تحصيله أعمل وأجدّ، فجعلت لذلك مكتسبة فيه، ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال...»⁽³⁾

2-5 اختيار صيغة "تفعل":

تُختار صيغة "تفعل" لوظائف متعددة تحدد بحسب السياق. يقول الرضي: «تفعل

(1) ينظر: أحمد الحملوي: شذا العرف في فنّ الصرف، ص30.

(2) ينظر: الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب 108/1.

(3) الكشف 520/1.

الفصل الثاني اختيار الصيغ الصرفية

لمطاوعة فعَل نحو كسرتَه فتكسّر، وللتكلف نحو تشجّع وتحلّم، وللاتخاذ نحو توسّد، وللتجنب نحو: تأثّم وتحرّج، وللعمل المتكرّر في مهلة نحو: تجرّعته ومنه تفهّم، و بمعنى استفعل نحو: تكبّر وتعظّم.»⁽¹⁾

وتُختار (تفعّل) للدلالة على التدرج أي الحدوث شيئاً فشيئاً وذلك نحو: تخطّى وتمشّى وتبصّر وتجسّس. « وقد يؤتى بهذا الوزن للدلالة على التكلف وبذل الجهد نحو تصبّر وتحلّم؛ أي: كلّف نفسه وحملها على الصبر والحلم. وفي كلا المعنيين دلالة على الطول في الوقت والتمهل في الحدث.»⁽²⁾

ومن أمثلة اختيار صيغة "تفعّل" للتعبير عن وظائف متعددة منها: الحيلة والحذر والتمهل والطلب ما ورد في قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ (يوسف: 87)؛ فيعقوب عليه السلام

قد أحسّ بفطنته، ونور بصيرته أنّ وراء الأمر شيئاً لذا يوصي بنيه بالحيلة والحذر والتمهل في طلب الخبر تحسّساً؛ إذ التحسس استقصاء الخبر بالحواس⁽³⁾. ومن أمثلة اختيار "تفعّل" لأداء وظيفة الاستمرار الفعل (تبدّل) في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا آلِ يَتَمَّى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ

إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (النساء: 2) اختيار الفعل (تبدّلوا) على

وزن "تفعّل" مسبقاً بقاء المضارعة وواردا بصيغة طويلة بدّل (تبدّل) لزيادة تأكيد امتداد الفعل واستمرار العمل به إلى يوم القيامة⁽⁴⁾.

(1) الأسترابادي: شرح شافية ابن الحاجب 104/1. وقد حصر الشيخ أحمد الحماوي معاني تفعّل في خمسة هي: المطاوعة، الاتخاذ، التكلف، التجنب، التدرج. ينظر: شذا العرف في فن الصرف، ص 31.

(2) فاضل صالح السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 42.

(3) ينظر: السمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د ت)، 548/6، 549.

(4) ينظر: فاضل صالح السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 14.

ومن أمثلة اختيار "تَفَعَّلَ" لأداء وظيفة التكلف الفعل (تَلَقَّى) في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ

الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: 37) يقول ابن عاشور: «جاء بالفاء إيذاناً بمبادرة آدم

بطلب العفو. والتلقي استقبال إكرام ومسرّة، قال تعالى: ﴿وَتَلَقَّوْنَهُمْ

أَلْمَلَكَةَ﴾ (الأنبياء: 103) ووجه دلالة على ذلك أنه صيغة تَفَعَّلَ من لقيه، وهي

دالة على التكلف لحصوله وتطلبه، وإنما يتكلف ويتطلب لقاء الأمر المحبوب بخلاف (لاقى) فلا يدل على كون الملقى محبوباً، بل تقول لاقى العدو.⁽¹⁾

2-6 اختيار صيغة "استفعل":

اشتهر أن تأتي صيغة "استفعل" لمعان منها⁽²⁾: الطلب حقيقة كاستغفر، أو مجازاً كاستخرجت الذهب من المعدن، والصيرورة كما في المثل: «إِنَّ الْبُغَاثَ بِأَرْضِنَا تَسْتَنْسِرُ.»^(*) واعتقاد صفة الشيء كاستحسنتم الفعل؛ أي اعتقدت حسنه. واختصار حكاية الشيء كاسترجع إذا قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. والقوة كاستكبر. أي قوي كبره. والمصادفة كاستكرمت زيدا أو استبخلته. أي صادفته كريماً أو بخيلاً. والمطاوعة كأحكمته فاستحكم. وبمعنى أفعَلَ كأجاب واستجاب.

ومن أمثلة اختيار صيغة "استفعل" لأداء وظيفة التعبير عن قوة الاجتهاد والمبالغة في الفعل اختيار الفعلين: (استغشوا) و (استكبروا) في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا

ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ (نوح: 7) فقوم نوح كانوا عندما

(1) تفسير التحرير والتنوير 437/1.

(2) ينظر: أحمد الحماوي: شذا العرف في فن الصرف، ص 32.

(*) الْبُغَاثُ طائر ضعيف الطيران.

يدعوهم نبيهم يسارعون إلى تغطية وجوههم لئلا يراها نوح عليه السلام وجعل أصابعهم في آذانهم مظهرين بذلك قوة استكبارهم والمبالغة في الإعراض عن قبول دعوته؛ ومن المبالغة في الفعل أن عبّر عن نفورهم بأن قال جعلوا أصابعهم كاملة في آذانهم دون أن يقول أناملهم، وأتى بالمفعول المطلق للفعل استكبر مؤكداً.

3- اختيار الفعل بحسب زمنه:

3-1 اختيار الفعل الماضي:

من نماذج اختيار الفعل الماضي لوظيفة تواصلية:

- اختيار الفعل " أنعمت " في قوله تعالى: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ (الفاحة: 7) حيث اختير الفعل الماضي

لإشارة إلى أنّ الصراط المستقيم هو صراط من سلفوا وتحقق فيهم إنعام الله عليهم وثبت، من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، كما قال تعالى: ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ

وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء: 69) ⁽¹⁾

وليدل الإتيان بالفعل الماضي « على أنه كلما مرّ الزمن كثر عدد الذين أنعم الله عليهم، لأنّ الحاضر يلتحق بالماضي، وهكذا تتسع دائرة المنعم عليهم بمرور الزمن بخلاف قولنا: (صراط الذين ينعم الله عليهم)، فقد يخص الوقت الذي طلب فيه الداعي الهداية، ولربما كان عدد المهديين آنذاك قليلاً. » ⁽²⁾

(1) ينظر: السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم المنان، تحقيق ومقابلة: عبد الرحمن بن معلاً اللويحق، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص26.

(2) فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص64.

- اختيار الفعل " كذبتكم " في قوله تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ أَسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (البقرة: 87) قد يكون سرّ اختيار صيغة الماضي " كذبتكم " أنّ النبوة قد ختمت بمحمد -صلى الله عليه وسلم-، ولا رسول بعد محمد يُكذّب مستقبلاً فلا معنى لاستعمال المضارع. أما فعل القتل فإنه مستمرّ معهم إلى اليوم⁽¹⁾.

2-3 اختيار الفعل المضارع:

من نماذج اختيار الفعل المضارع لوظيفة تواصلية:

- اختيار الفعل " تنثير " والفعل " تسقي " في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ ﴾ (البقرة: 71). أختير الفعل المضارع في تنثير وتسقي لأنه الأنسب لوظيفة الوصف بقوله لا ذلول؛ أي غير مذلّة في الحال الحاضر لأن يُحرث عليها أو يُسقى بجرّها، فهي لا تزال عجلة⁽²⁾.

- اختيار الفعل " ترى " في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ

عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ

وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (الحج: 2). تمّ اختيار الفعل المضارع لاستحضار حالة الهول التي يراها كلّ ناظر.

- اختيار الفعل " ينزل " في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ﴾ (لقمان: 34) لإفادة معنى تجدد إنزال الغيث، المرّة بعد المرّة

(1) ينظر: عبد الحميد هنداي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص118.

(2) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 555/1.

عند احتياج الأرض، ومتى شاء الله (1).

- اختيار الفعل "يستَهزئ" في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (البقرة: 15) للإجابة على المنافقين الذين اتصفوا بما ورد في الآية التي قبلها في قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ (البقرة: 14) ولأداء وظيفة الإقرار بأن عقوبة الله تتجدد لهم ونكايته تلاحقهم. قال الزمخشري: «فإن قلت فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقاً لقوله: (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ) قلت: لأن يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتاً بعد وقت، وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم.» (2).

3-3 تنوع زمن الفعل المختار بحسب الوظيفة:

قد لا يلتزم بزمن واحد في الأفعال في العبارة أو النص الواحد خدمة لما تتطلبه الوظيفة التواصلية فتتنوع أزمنة الأفعال، ومن أمثلة ذلك:

- اختيار الفعل الماضي "زُيِّنَ" مع الفعل المضارع "يسخرون" في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ

اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ (البقرة: 212) فقد ورد فعل التزيين بصيغة الماضي وفعل السخرية بصيغة المضارع؛ لأداء وظيفة الدلالة على أن تزيين الحياة الدنيا أمر استقرّ فيهم وتحقق، وأنه أمر رسخ في أذهانهم وسكنت إليه أنفسهم، فعبر عنه بالماضي، وأن فعل السخرية من الذين آمنوا متكرر متجدد منهم؛ فعبر عنه

(1) ينظر: نفسه 197/21.

(2) الكشف 185/1.

4- اختيار الفعل بحسب العدد:

كثيرا ما يكون العدد من أسس اختيار الفعل، ومن نماذج ذلك:

- اختيار المفرد في الفعل (ينظر) في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ^ج

أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ^ج

أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ (يونس: 42، 43) بعدما كان

الخطاب للجماعة في قوله (يستمعون) تحول إلى لفظ المفرد (ينظر) وذلك للدلالة على أن المستمعين أكثر من الرائيين فقد نسمع بالخبر دون أن نحضر، ولا نرى مع الغياب (2).

ولربما يكون جمع الفعل "يستمعون" فيه إشارة إلى كثرة من يسمعون بالنبى - صلى الله عليه وسلم - ويكونون من أتباعه ولم يروه؛ فالمستمعون من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - أكثر من الرائيين. ولأن رؤية الناظرين للنبى - صلى الله عليه وسلم - واحدة، والتأثر بالاستماع إليه يختلف بحسب الإيمان.

- اختيار الجمع في الفعلين: (نعبد) و(نستعين) في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ (الفاحة: 5) عبّرت الآية عن فعلى "العبادة والاستعانة"

بلفظ الجمع، لا الأفراد، وفي ذلك إشارة إلى أهميّة الجماعة في الإسلام (3)، واجتماعها على عبادة إله واحد هو المستعان وحده. وفي استعمال الجمع في الفعل دلالة على أن ما ورد في السورة من محامد وثناء على الله هو صادر من

(1) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 2/296.

(2) ينظر: فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، ص 47.

(3) ينظر: فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص 43، 44.

جماعات. وفي ذلك « إغاطة للمشركون إذ يعلمون أنّ المسلمين صاروا في عزّة ومنعة، ولأنّه أبلغ في الثناء من أعبد وأستعين...»⁽¹⁾

5- اختيار الفعل المبني للمجهول:

يستعمل المبني للمجهول غالبا لفائدة تغييب الفاعل إلى هامش الشعور وإفساح الاهتمام بالمفعول، وذلك لوظائف تواصلية تختلف بحسب المقام. ومن نماذج اختيار الفعل المبني للمجهول:

* قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ ^(٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ^(٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ^(٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ

سُطِحَتْ ^(١٠) (الغاشية: 18-20) بُنيت الأفعال للمجهول في هذه الآيات بُغية تغييب الفاعل الذي يجده هؤلاء الكافرون، ليُحالوا إلى النظر في دلائل وجوده وقدرته التي يعجزون أمامها، ولا يدّعيها أحد؛ مما يدل على عظمة صانعها؛ فاختيار البناء للمجهول كان لإفساح المجال للنظر فيما يدل على الفاعل الصانع ليتوصل إليه المشركون بأنفسهم⁽²⁾.

* قال تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأْتٍ ^ص وَمَا أَنْتُمْ

بِمُعْجِزِينَ﴾ ^(١٢٤) (الأنعام: 134) أختير الفعل المبني للمجهول لبيان أنّ الخطاب موجّه للمؤمنين وللمشركون، ويأخذ منه كل فريق ما يليق بحاله⁽³⁾.

* قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ ^(١٦) (المعارج: 19) في هذه الآية ذمّ لطبيعة الهلع في الإنسان، ولم يُذكر الفاعل وهو الله سبحانه وتعالى تنزيها له،

(1) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 1/186.

(2) ينظر: عبد الحميد هنداي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص120.

(3) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 8/88.

« والله سبحانه لا ينسب الفعل إلى نفسه في مقام السوء والذم. »⁽¹⁾

هذا ويحذف الفاعل للعلم به إيجازاً لما يحققه الإيجاز من تداولية، كقول المتنبي⁽²⁾ (الكامل):

وَقِيَ الْأَمِيرُ هَوَى الْعُيُونِ فَإِنَّهُ مَا لَا يَزُولُ بِبَأْسِهِ وَسَخَائِهِ

6- اختيار الفعل بحسب الذكر أو الحذف من بنيته:

يُختار الفعل بحسب الذكر أو الحذف من بنيته لوظيفة تواصلية ومن نماذج ذلك:

- اختيار (سقى) أو (أسقى) :

أختير في قوله تعالى: ﴿وَسَقَيْنَهُمْ رَهُمَ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (الناس: 21) الفعل "سقى" بصيغة قصيرة في البناء بغير همز؛ للدلالة على ما لا كلفة معه في السقيا؛ حيث أخبر بأن السقيا في الآخرة لا كلفة فيها، بل تقع جميع ملاذ الجنة فرصة وعفوا، بخلاف (أسقى) بالهمزة، فإنه لا بد فيه من الكلفة بالنسبة للمخاطبين؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ (المرسلات: 27)، وقوله: ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾ (الجن: 16)، وهذا الإسقاء في هاتين الآيتين هو في الدنيا ولا يخلو من الكلفة⁽³⁾. فعبر بالقصير عن الميسور، وبالطويل عما يتطلب كلفة.

- اختيار (نجى) أو (أنجى):

ومما تظهر فيه أهمية الوظيفة التواصلية في توجيه البنية الصرفية ما يتجلى في قوله سبحانه في سياق تذكير بني إسرائيل بنعمه -عز وجل- عليهم: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ

(1) فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص 154.

(2) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص 292.

(3) ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن 238/3.

وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ^ج وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ (البقرة: 49) فقد

ذُكر الفعل (نَجَّى) من غير همز وفي الآية التالية لتلك الآية مباشرة وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ

تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة: 50) ذكر بالهمز (أَنْجَى) للتعبير على أَنَّ (نَجَّى) استعمل لما

فيه تلبث وتمهل في التنجية من آل فرعون، فقد كان بقاء بني إسرائيل مع فرعون طويلاً وشرور آلهم تعددت وشملت بني إسرائيل في ذواتهم تعذيباً، وفي أبنائهم تذيباً، وفي نسائهم استحياء، وخلافه الفعل (أَنْجَى) الذي عبر على تنجيتهم من الغرق، التي لم تتطلب وقتاً طويلاً⁽¹⁾.

- اختيار (يَضْرَعُونَ) أو (يَضْرَعُونَ) :

كان اختيار الفعل "يَضْرَعُونَ" في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن

قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ (الأنعام: 42) بدلاً

من "يَضْرَعُونَ" بالإبدال والإدغام كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن

نَبِيِّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ (الأعراف: 94)

للتعبير بالفعل الطويل في البناء (يَضْرَعُونَ) عن الحدث الممتد الطويل على مدار التاريخ، المتمثل في الإرسال في الأمم، وبالفعل القصير (يَضْرَعُونَ) عن الحدث القصير المتمثل في الإرسال في القرية؛ فالأمر أكثر من القرية⁽²⁾.

(1) ينظر: حسن طبل: أسلوب الالتفات، ص 67؛ وينظر: فاضل صالح السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 70.

(2) ينظر: فاضل صالح السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 43.

ج- اختيار الصفة:

1- اختيار اسم الفاعل:

قد يختار اسم الفاعل دون غيره من المشتقات لأداء وظيفة تواصلية لا يؤديها غيره، ومن أمثلة ذلك اختيار (مُعْرِضِينَ) في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ (الأنعام: 4) فقد كان استعمال هذه الصيغة في هذا الموضع بالذات مسبقة بفعل الكون "كانوا" لوظيفتين هما التجدد وتحقق الإعراض؛ فاسم الفاعل اختير لأداء وظيفة التجدد، وسبقه فعل الكون للدلالة على أن هذا الإعراض متحقق⁽¹⁾.

2- اختيار اسم المفعول:

من نماذج اختيار صيغة اسم المفعول ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: 25) حيث اختير اسم المفعول (مُطَهَّرَةٌ) على اسم الفاعل (طاهرة)، للإشارة إلى أن مُطَهَّرًا لم يذكر وهو الله سبحانه وتعالى قد طهرهن، يعرف تضمناً في أصل اشتقاق صيغة (مُطَهَّرَةٌ)، وهو الفعل المبني للمجهول. قال الزمخشري: «فإن قلت: هلا قيل طاهرة؟ قلت: في (مُطَهَّرَةٌ) فخامة لصفتهن ليست في طاهرة وهي الإشعار بأن مُطَهَّرًا طهرهن، وليس ذلك إلا الله عز وجلّ المرید بعباده الصالحين أن يخولهم كل مزية في ما أعدّ لهم.»⁽²⁾

ومن أمثلة اختيار اسم المفعول اختيار كلمة (مجموع) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ

(1) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 134/7.

(2) الكشف 233/1.

يَوْمَ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ (هود: 103)

حيث استعمل اسم المفعول (مجموع) بدلا من الفعل (يجمع) لإثبات صفة الجمع لليوم⁽¹⁾؛ فلو أتى بالفعل (يجمع) قد يكون التركيز على الجامع وهو الله سبحانه وتعالى أكثر من اليوم؛ وتركيز الآية يبدو موجهاً إلى اليوم وما فيه من هول ولذا كرر موصوفا مرة بالمجموع ومرة بالمشهود.

3- اختيار الصفة المشبهة:

كثيرا ما تختار الصفة المشبهة لدلالاتها الغالبة على الثبوت ومن نماذج ذلك:

- اختيار (عمين) في قوله تعالى في وصف قوم نوح: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ

وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِّ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا

عَمِينَ ﴿٦٤﴾ (الأعراف: 64) للدلالة على وظيفة الثبوت في صفة عمى بصائرهم؛

وذلك بإصرارهم على الكفر؛ فـ(عم) لعمى البصيرة و(أعمى) لعمى البصر، ولو أراد التجدد لقال (عامين) كما يقال ضائق، قال السمين الحلبي: «وقيل هنا: عم إذا كان أعمى البصيرة غير عارف بأموره، وأعمى أي في البصر... وهذا قول الليث. وقيل: عم وأعمى بمعنى، كخضر وأخضر. وقال بعضهم: "عم" فيه دلالة على ثبوت الصفة واستقرارها كفرح وضيق، ولو أريد الحدوث ل قيل: عام كما يقال: فارح وضائق. وقد قرئ "قوماً عامين" حكاها الزمخشري.»⁽²⁾

- ومنه اختيار (نخرة) في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ

أَإِذَا كُنَّا عِظَمًا نَخْرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ (النازعات: 10 - 12)

(1) ينظر: فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص 13.

(2) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 357/5، 358.

فالعظام النَّخْرَةُ التي قد بليت، والناخرة التي لم تَبَلْ بعد؛ واختير التعبير بنَخْرَةٍ وهي صفة مشبهة لتحقيق وظيفة ثبات الصفة في العظام لطول العهد، ولتحقيق المبالغة في النخر خاصة وأنَّ فَعَلَ من صيغ المبالغة كذلك. وخالفت الآية الفاصلة فيما قبلها وما بعدها رعاية للوظيفة وتقديمها لها على البنية فلو قال ناخرة لم تحقَّ ما حققته نخرة. قال الطبري: «وأفصح اللغتين عندنا وأشهرهما عندنا نخرة بغير ألف بمعنى بالية غير أن رؤوس الآي قبلها وبعدها جاءت بالألف فأعجب إليّ لذلك أن تلحق ناخرة بها ليتفق هو وسائر رؤوس الآيات لولا ذلك كان أعجب القراءتين إلى حذف ألف منها.»⁽¹⁾ واتَّفَقَ أكثر المفسرين واللغويين على أنَّ (فعل) أبلغ من (فاعل) ⁽²⁾.

4- اختيار صيغ المبالغة:

من أمثلة اختيار صيغة المبالغة لوظيفة تواصلية اختيار كلمة (طهور) في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾^ج وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ (الفرقان: 48) والطهور هو الطاهر في ذاته المطهّر لغيره؛ فهو ماء نازل من السماء في غاية الطهارة رحمة من الله؛ فصيغة الطهور جمعت وظيفة صيغتين معا الطاهر والمطهّر وعدل عنهما لزيادة تأكيد في الوصف.

5- اختيار الجمع بين الصفتين لوظيفة تواصلية:

قد تتطلب الوظيفة التواصلية ذكر الصفتين المتقاربتين معا توسيعا في المعنى وتدقيقا فيه واحتياطا لإثبات إحدى الصفتين وإنكار الأخرى، ومن نماذج ذلك الإتيان بالصفتين: الرحمن والرحيم معا في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

(1) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الأعلام، عمان، الأردن، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2002، 46/30.

(2) ينظر: السمين الحلبي: الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون 672/10.

الْعَلَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ (الفاحة: 2، 3) الرَّحْمَنُ: فَعْلَان من الرحمة، وصيغة (فَعْلَان) تفيد الدلالة على الحدوث والتجدد، وذلك نحو: عطشان وجوعان وغضبان، كما تفيد أيضا الامتلاء بالوصف، يقول ابن القيم: «ألا ترى أنهم يقولون غضبان، للممتلئ غضبا، وندمان وحيران وسكران ولهفان، لمن ملئ بذلك.»⁽¹⁾ والرحيم: فَعِيل من الرحمة. وصيغة (فَعِيل) تدل على الثبوت في الصفة، نحو طويل وجميل وقبيح، أو التحول في الوصف إلى ما يقرب من الثبوت، نحو خطيب وبلغ وكريم. وبذكر الصفتين معا يكون قد أثبت لنفسه أن صفته الثابتة والمتجددة، هي الرحمة، «ولو وصف نفسه بأنه (رحيم) فقط لوقع في النفس أن هذا وصفه الثابت، ولكن قد يأتي وقت لا يرحم فيه كالكريم والخطيب، ولو قال: (رحمن) فقط لظن أن هذا وصف غير ثابت، كالغضبان والعطشان.»⁽²⁾ فبالجمع بينهما تحقق ما لا يتحقق بذكر أحدهما دون الآخر.

(1) التفسير القيم، ص 33.

(2) فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص 34.

الفصل الثالث

العدول إلى الصيغ الصرفية

(مخالفة المقرر أثناء استعمال الصيغ الصرفية)

أولاً: مفهوم العدول وأساسه.

ثانياً: أثر الوظيفة التواصلية في العدول إلى صيغ بعينها.

ثالثاً: نماذج من العدول إلى صيغ صرفية معينة.

أولاً: مفهوم العدول وأساسه:

أ- مفهوم العدول وعلاقاته:

1- مفهوم العدول:

يأتي العدول بمعنى الميل والانصراف والرجوع إلى المطلوب أو إلى المرفوض، جاء في لسان العرب: «وَعَدَلَ عَنْ الشَّيْءِ يَعْدِلُ عَدْلًا وَعُدُولًا: حَادَ، وَعَنِ الطَّرِيقِ: جَارَ، وَعَدَلَ إِلَيْهِ عُدُولًا: رَجَعَ. وَمَا لَهُ مَعْدِلٌ وَلَا مَعْدُولٌ أَيَّ مَصْرُفٍ. وَعَدَلَ الطَّرِيقُ: مَالَ. وَيُقَالُ: أَخَذَ الرَّجُلُ فِي مَعْدِلِ الْحَقِّ وَمَعْدِلِ الْبَاطِلِ أَيَّ فِي طَرِيقِهِ وَمَذْهَبِهِ.»⁽¹⁾

واستعمل الرماني لفظ "معدول" في حديثه عن وجوه المبالغة وأضربها قائلًا: «وَمِنْ ذَلِكَ فَعَالَ كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ (طه: 82) معدول عن غافر للمبالغة، وكذلك تَوَّابٌ.»⁽²⁾

وذكر العدول كثيرا في مصنفات اللغويين والأدباء العرب بمصطلحات متنوعة ومفهوم يكاد يكون طابعه العام واحداً، ومن هذه المصطلحات: المجاز، والالتفات، والعدول والانحراف، والتصرف، والنقل، والخروج، والتجاوز، والاتساع، والشجاعة، والانتقال، ومخالفة مقتضى الظاهر، والانعطاف، والتلون والتلوين⁽³⁾. كما تتعدد المصطلحات المعبرة عن العدول عند الأسلوبيين ومنها: الانزياح، والتجاوز، والانحراف، والاختلال، والإطاحة، والمخالفة، والشناعة، والانتهاك، وخرق السنن، والعصيان، والتحريف⁽⁴⁾. وهذه المصطلحات تجتمع في دلالتها

(1) ابن منظور: لسان العرب (عدل) 2841/4.

(2) الرماني: النكت في إعجاز القرآن، ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط3، 1976، ص104.

(3) ينظر: عبد الحميد هندأوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص131؛ وينظر: هلال علي محمود الجبشي: العدول الصرفي في القرآن الكريم - دراسة دلالية - أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2005، ص9.

(4) ينظر: عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ص79، 80.

الفصل الثالث **العدول إلى الصيغ الصرفية**
العامّة على أنّ العدول خروج عن المعيار، أو مخالفة القاعدة، أو تجاوز النمط المألوف.

2- علاقات العدول:

2-1 العدول والأسلوب:

من خصائص الأسلوب الرفيع توافر ظاهرتي الاختيار والعدول وتكاملهما؛ لما يحققان من خروج عن المألوف وتمييز يصل به مستعمل اللغة إلى إثارة المتلقي ولفت انتباهه، وبذا تتحقق فعالية المنتج اللغوي أو الأدبي؛ « فالأسلوب من هذه الزاوية هو بناء لغوي متميز من داخله؛ أي من طبيعة سماته اللغوية وخواصه النوعية التي يميّز بها من نمط الخطاب العادي، ذلك أنه لا يساير الشائع المألوف من قواعد اللغة وأعرافها، بل هو بالأحرى كسر لتلك القواعد وخروج متعمّد على تلك الأعراف تتفجر به من طاقات التعبير والإيحاء ما تعجز اللغة في مستواها النمطي السائد عن تحقيقه. »⁽¹⁾ وبالاختيار والعدول تكتشف عبقرية مستعمل اللغة في التعبير عن كلّ الأغراض، وذلك باستثمار طاقات اللغة التي تستوعب مفرداتها نقل كلّ ما يرغب الإنسان في نقله عن ذاته، أو عن حياته، ويظهر تكاملهما (الاختيار والعدول) في أنّ كل واحد منهما يتناول أحد جانبي الإنتاج اللغوي/الأدبي؛ فالاختيار كما يرى الأسلوبيون يركّز على جانب المبدع (المرسل) والعدول يركّز على النص (الرسالة)⁽²⁾.

2-2 العدول والأصل:

يعني أصل الصيغة المعنى الأول الذي تحمله؛ فصيغة اسم الفاعل مثلاً في أصلها تدل على من قام بالفعل، وهي أصل لصيغ المبالغة وصيغ المبالغة معدولة عنها. ويتحقّق العدول في الصيغة الصرفية إذا احتملت معنى صيغة أخرى أو أتت على لفظ صيغ آخر وهي بمعناها، ونجد هذا في المصادر والمشتقات، مثال ذلك

(1) (2) حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 40.

أن يأتي اسم الفاعل على لفظ اسم المفعول، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا

قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِلَاخِرَةٍ حِجَابًا

مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ (الإسراء: 45) أي ساترا (1).

2-3 العدول والقياس:

يعرف الأنباري القياس بقوله: «القياس: حَمَلُ فرعٍ على أصلٍ بعلة، وإجراء حكم الأصل على الفرع». (2) فلا قياس من غير معرفة الأصل الذي هو المعنى الأول الذي يُرجع إليه في كل استعمال لغوي. والقياس الصرفي يعني المعيار المُطَرَّد الغالب الذي تنضبط به الصيغ الصرفية، ويراعى عند الاشتقاق أو التحويل. وكل خروج عن هذا المعيار هو عدول، ويكون ذلك في الأفعال ومصادرهما، وفي المشتقات، ونشير هنا إلى أنه قد تشيع الصيغة وتطرّد في الاستعمال ولكنها تشذ في القياس، وهذا كثير وحينها يؤخذ بالسماع، ولا يتّخذ أصلاً يقاس عليه. جاء في المزهري: «واعلم أنّ الشيء إذا اطّرد في الاستعمال، وشذّ عن القياس فلا بُدّ من اتّباع السمع الوارد به فيه نفسه، لكنّه لا يتّخذ أصلاً يقاس عليه غيره». (3) ؛ فالاطّراد وكثرة الاستعمال هما السبب في جعل الشيء قاعدةً ومعياراً يقاس عليه.

2-4 العدول والترخص:

العدول خروج عن أصل أو مخالفة لقاعدة اكتسبها؛ أي هذا الخروج وهذه المخالفة قدرا من الاطّراد. والعدول إجراء أسلوبية استعمله القدماء والمحدثون

(1) ينظر: الثعالبي: كتاب فقه اللغة وأسرار العربية، ضبطه وعلق حواشيه وقدم له ووضع فهرسه ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط2، 2000، ص366.

(2) الأنباري: لمع الأدلة، تحقيق: سعيد الأفغاني في (رسالتان لابن الأنباري)، دار الفكر، بيروت، ط2، 1971، ص93.

(3) السيوطي: المزهري 1/188.

لوظائف تواصلية، وقيس عليه، وسنذكر له نماذج متعددة في الصيغ الصرفية لاحقاً.

أما الترخّص فهو «مغامرة فردية للفصيح من العرب القدماء لو تكررت من المعاصرين لعدت من قبيل الخطأ»⁽¹⁾ وما دام مغامرة للقدماء فحالاته قليلة ولا يقاس عليها، بل هي مرهونة بمحلّها ويشترط فيها أن يؤمن معها اللبس، وأن تكون من فصيح عصر الاستشهاد⁽²⁾. ومن طرق الترخّص في البنية⁽³⁾: تغيير هيكلها كتحويل "ميكائيل" إلى ميكال في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ

وَرُسُلِهِ وَجَبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 98) أو

حذف بعض حروف الكلمة كحذف ياء المتكلم من "دعاني"، في الآية: ﴿أُجِيبُ

دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: 186). أو حذف حرف العلة في الفعل المعتل

الآخر بالياء أو بالواو نحو "يدعو" في قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ

الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ﴾ (القمر: 6) أو زيادة حرف على بنية الكلمة كما في

قوله تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الصافات: 130) أي سلام على إيلياس^(*)

أو بإبدال حرف مكان حرف كما في قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ

لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: 96) وكل هذا لم يأت

(1) تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص 347.

(2) ينظر: نفسه، ص 224.

(3) ينظر: نفسه، ص 225، 226.

(*) وقيل كان يدعى بياسين وآل مقحمة كما في آل فرعون. وقيل ياسين هو أبو إيلياس. ينظر: تفسير التحرير والتنوير 170/23.

مصادفة بل هو مقصود ولوظائف تواصلية⁽¹⁾.

2-5 العدول والاختيار:

يختلف العدول عن الاختيار في كونه خروجاً عن النظام أو الأصل اللغوي أو نوعاً من الخروج عن سياق النص واهتم به القدماء أكثر مما اهتموا بالاختيار، وقد يكون سبب ذلك هو دافع الاحتفاظ بالأصل والحفاظ عليه، ونبذ كل خروج عن مقرراتهم وما اجتمعوا عليه وشاع بينهم. ومما يدل على ذلك تسمياتهم المختلفة له بكل ما يوحي إلى خلاف المؤلف. وقد عُرف في التراث اللغوي والبلاغي بالمصطلحات الآتية: المجاز، والنقل، والانتقال، والتحريف، والانحراف، والرجوع، والالتفات، والعدول، والصرف، والانصراف، والتلون، ومخالفة مقتضى الظاهر، وشجاعة العربية، والحمل على المعنى، والترك، ونقض العادة، وغيرها⁽²⁾.

وأهم ما يفرّق به بين العدول والاختيار⁽³⁾:

أ- العدول: ممّا يميزه عن الاختيار:

1- يبتعد التعبير في العدول عن الشائع والمطرّد، وربما اقترب أحياناً من القليل أو الشاذّ.

2- يخص العدول اللغة الفنية العالية، والإبداع فيه بالخروج عن المؤلف يكون لوظيفة تواصلية أو فنية مقصودة.

3- يركّز في دراسة أسلوبية العدول على بنية النص أو الرسالة، حيث توصل الأسلوبيون من خلال دراسته إلى نتائج استثمروها في علم النص.

ب- الاختيار: وممّا يميّز الاختيار عن العدول:

1- الاختيار محدود بالإمكانات المتفق عليها والشائعة المطردة في اللغة.

(1) ينظر: ص 50، 51 من هذا البحث؛ وينظر: فاضل السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 56-61.

(2) ينظر: عبد الحميد هندائي: الإعجاز الصرفي القرآن الكريم، ص 141.

(3) ينظر: نفسه، ص 143، 144.

- 2- يكثر الاختيار في اللغة المستعملة النمطية على ما فيه من فنية وانتقاء.
- 3- الاختيار مرتبط بالقائل أو المبدع، وفي دراسته يركّز على المبدع والسمات الفنية في إنتاجه الخاص. ورغم ما بينهما من فروق يتكاملان في البنيات اللغوية الرفيعة.

ب- أسس العدول:

1- ضوابط العدول ومسوّغاته:

ليس العدول مسلكاً عفويّاً أو تصرفاً عشوائياً بل هو إجراء فنيّ يتم وفق ضوابط ومسوّغات مقبولة، سمح بها علماء اللغة وأقروها لضرورة تفرضها وظيفة التواصل، واشترطوا لذلك تحقّق الضوابط الآتية:

1- أن يكون لوظيفة تواصلية مقصودة، « ومن شأن بلغاء العرب أنهم لا يعدلون عن الأصل إلا وهم يرمون إلى غرض عدلوا لأجله. »⁽¹⁾ فلا يتم عدول من صيغة إلى أخرى إلا لمعنى اقتضته ضرورة التواصل، « ولا شك أنه لو لم يختلف المعنى لم تختلف الصيغة إذ كل عدول من صيغة إلى أخرى لا بدّ أن يصحبه عدول عن معنى إلى آخر إلا إذا كان ذلك لغة. »⁽²⁾

2- مراعاة الأصل اللغوي أو المعياري (القاعدة المطّردة) المتواضع عليه في مستويات اللغة الصوتية والمعجمية والدلالية والتركيبية والإيقاعية؛ ومن ضوابطه كذلك مراعاة سياق الخطاب وحال المخاطب والمخاطب، وظروف الخطاب وملابساته.

3- أن يؤمن معه اللبس في المعنى، وهي قاعدة مقرّرة يقول ابن مالك⁽³⁾:
وإنّ بِشَكْلِ خِيفَ لَبَسٌ يُجْتَنَبُ

(1) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 1/157.

(2) فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص6.

(3) ألفية ابن مالك، ص40.

ويقول كذلك عن قول العرب: « خرق الثوب المسمار » برفع المفعول ونصب الفاعل:

ورفع مفعول به لا يَلْتَبِسُ مَعَ نَصَبِ فاعِلٍ رَوَوْا فلا تَقْسُ (1)

فقد جازت المخالفة لأنّ المعنى واضح، فالفعل خرق يتطلّب منطقياً أن يكون المسمار هو فاعله، والثوب مفعولاً به.

4- الاطراد أو الشيوع أو كثرة السّماع أو الغالب. حين تكلم ابن جني عن مسألة حجية الكلام العربي في باب (القول على إجماع أهل العربية، متى يكون حجة)، أعقبه بقوله: « إلا أننا مع هذا الذي رأيناه وسوّغنا مرتكبته - لا نسمح له بالإقدام على مخالفة الجماعة التي قد طال بحثها وتقدّم نظرها، وتتالت أواخر على أوائل، وأعجازا على كلالكل. والقوم الذين لا نشك في أنّ الله - سبحانه وتقدست أسماؤه - قد هداهم لهذا العلم الكريم، وأراهم وجه الحكمة في الترحيب له والتعظيم، وجعله ببركاتهم، وعلى أيدي طاعاتهم خادماً للكتاب المنزل، وكلام نبيه المرسل، وعونا على فهمها، ومعرفة ما أمر به، أو نهى عنه الثقلان منهما. » (2)

5- الابتعاد عن المخالفة ما وُجد إلى ذلك سبيل ومحاولة الرجوع بالبنية المخالفة إلى ما استقرّ عليه اللغويون والنحاة من أشكال الأنماط اللغوية المبررة في قواعدهم، وتعليل الشكل المخالف « من خلال طرائق متعدّدة، كالتقدير، والحمل على المعنى، والحمل على الموضع، والبحث عن قرائن لغوية ونحوية تمكنهم من تحقيق القياس على المطابق ولو بلغ بهم الأمر حد تغيير صيغ التركيب وأنماطه، ليحصل لهم بذلك الانسجام مع المقيس عليه. وإن تعذر ذلك حملوه على الشذوذ. » (3)

(1) ابن مالك: شرح الكافية الشافية، تحقيق: أحمد عبد المنعم هريدي، دار المأمون للتراث، المملكة العربية السعودية، ط1، 1982، 612/2.

(2) الخصائص 190/1.

(3) كمال قادري: ظاهرة التطابق النحوي في اللغة العربية من خلال القرآن الكريم، (مخطوط رسالة دكتوراه)، معهد اللغة العربية و آدابها، جامعة الجزائر، 2001، ص25.

غير أن ابن هشام يذكر أن بعض الأنماط من المخالفة الإعرابية من ملح كلام العرب، قال: « من ملح كلامهم تقارض اللفظين في الأحكام.»⁽¹⁾، وذكر من أمثلة ذلك إعطاء الفاعل إعرابَ المفعول وعكسه عند أمن اللبس مثل: "خرق الثوب المسمار" و"كسر الزجاج الحجر"⁽²⁾ ومنه رفع المفعول في قول الشاعر⁽³⁾ (الخفيف):

إِنَّ مَنْ صَادَ عَقْعَقًا لَمْ شَوْمُ كَيْفَ مَنْ صَادَ عَقْعَقَانِ وَبُومُ

ومع أن هذه الأنماط اللغوية معدودة في النادر أو في التعدد اللهجي؛ أي أنها من لغات العرب، كان يجتنبها الشعراء وأهل الخطابة قدر المستطاع لمخالفتها القاعدة العامة، حتى وإن كانت من باب الجائز في ما درجت ألسنتهم عليه، ودل اجتنباهم لها على أنها مشكلة لسانية حاولوا معالجتها باللجوء إلى معايير اللغة المسيطرة عند الحاجة إلى التواصل مع القبائل⁽⁴⁾. وربما كانت من كلام الفصحاء الذين تأثروا بغير الفصحاء ودرجت ألسنتهم على كلامهم لطول مخالطتهم فتأثروا بهم فوقع في كلامهم المخالفة، يقول ابن جني: « ولا أدفع أيضا مع هذا أن يسمع الفصيح لغة غيره مما ليس فصيحاً، وقد طالت عليه وكثر لها استماعه، فسرت في كلامه، ثم تسمعها أنت منه، وقد قويت عندك في كل شيء من كلامه غيرها فصاحته، فيستهويك ذلك إلى أن تقبلها منه، على فساد أصلها الذي وصل إليه منه، وهذا موضع متعب مؤذ يشوب النفس ويشري اللبس إلا أن هذا كأنه متعذر ولا يكاد يقع مثله. وذلك أن الأعرابي الفصيح إذا عدل به عن لغته الفصيحة إلى أخرى سقيمة عافها ولم يبهأ بها.»⁽⁵⁾ ويظهر من كلامه هذا أن الأعراب الخلص كان لهم حسّ لغوي مرهف، وذوق أدبي رفيع، وأن علماء

(1) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب 2/878.

(2) ينظر: نفسه 2/880.

(3) البيت لم يعرف قائله وهو من شواهد المغني. ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب 2/881.

(4) ينظر: حسن خميس الملخ: التفكير العلمي في النحو العربي، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص58، 59.

(5) الخصائص 2/26.

الفصل الثالث = العدول إلى الصيغ الصرفية

العربية كانوا حريصين على الحفاظ على أصالة العربية وتمييزها ومنهم ابن جني؛ ونستشف ذلك من تفسيراته هذه.

6- طلب الخفة في المبنى؛ فالعرب ميالون إلى البنيات الخفيفة في تركيبها الصوتي.

7- الابتعاد عن التعقيد والتعجرف، إلا ما كان تلبية لنزوة عابرة أو تعبيراً عن ترف فكري أو إفصاحاً عن مقصد تعجيزي. يورد ابن جني السبب النفسي الوجيه الذي يدعو الشاعر لنظم الأبيات المعقدة وأضرابها، ويبين أن الشاعر لم يلجأ إلى ذلك ضعفاً منه باللغة ولا جهلاً منه بتوخي أسباب الفصاحة عند العرب بل يلجأ إلى ذلك إظهاراً لقوة طبعه، وشدة أسره وسمو نفسه وتعجرفه، فيقول: «فمتى رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الضرورات على قبحها، وانخراق الأصول بها، فاعلم أن ذلك على ما جشمه منه وإن دل من وجه على جورهِ وتعسفه، فإنه من وجه آخر مؤذن بصياله وتخمّطه، وليس بقاطع دليل على ضعف لغته، ولا قصوره عن اختياره الوجه الناطق بفصاحته. بل مثله في ذلك عندي مثل مجري الجموح بلا لجام، ووارد الحرب الضروس حاسراً من غير احتشام، فهو وإن كان ملوماً في عنفه وتهالكه، فإنه مشهود له بشجاعته وفيض منته.»⁽¹⁾ ولكن ابن جني رغم ذلك لا ينصح باللجوء إلى هذا التعقيد بل يأمرنا بأن نعرفه ونجتنبه⁽²⁾.

2- العدول والسياق:

للسياق الأثر البارز في توجيه العدول وتحديد معناه أو جزء من معناه، والسياق أصل مشاهد في كلامنا وفي عملية العدول، بخلاف الضوابط الأخرى كقاعدة الاستخدام اللغوي أو الاستعمال الشائع، أو النموذج المثالي أو غير ذلك، فهذه القواعد ليست شيئاً حاضراً أمامنا.

والسياق يتضمّن كذلك غيره من القواعد؛ فإذا اتخذنا المطرد من اللغة أو نظام

(1) السابق 392/2.

(2) ينظر: عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، ص 165.

اللغة وقواعدها قاعدة للعدول فإننا لا نستطيع إدراك ذلك إلا ضمن سياق الكلام، ومن ثم فهو جدير بأن يكون هو الأساس في قياس العدول⁽¹⁾. ومثال ذلك أن ننظر إلى أنّ الأصل اللغوي في قولهم: (زيد نهاره صائم وليله قائم) هو نهاره مصوم فيه وليله مقوم فيه، وهذا يعني أنه قد عدل عن الأصل اللغوي. وعرفنا ذلك من ذكر النهار والليل، وسياقهما.

3- العدول والالتفات:

يعرّف الزركشي الالتفات بقوله: «وهو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية واستدرازا للسامع، وتجديدا لنشاطه، وصيانة لخاطره من الملل والضجر، بدوام الأسلوب الواحد على سمعه.»⁽²⁾ فالالتفات تغيير لوجهة الكلام وعدول عن أسلوب إلى آخر لوظائف تواصلية وهو انتقال معنوي أكثر منه لفظي «لما يتركه من أثر في النفس وليس مجرد تغيير في الأسلوب.»⁽³⁾ ورغم ما ذكره البلاغيون من أنّ سبب الالتفات وسره البلاغي هو العمل على تجديد نشاط السامع وتطرية له من أن يسير على ضرب واحد من الكلام ووتيرة واحدة من الأسلوب فيمل سماعه. فابن جني لا يرى أن هذا هو السبب وحده المنشود للالتفات بل إذا اضطررنا إلى عدم الوصول إلى تحديد الوظيفة التواصلية من الكلام نقدر هذا السبب، يقول ابن جني: «وليس ينبغي أن يقتصر في ذكر علة الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب بما عادة توسط أهل النظر أن يفعلوه، وهو قولهم: إنّ فيه ضرباً من الاتّساع في اللغة لانتقاله من لفظ إلى لفظ. هذا ينبغي أن يقال إذا عَرِيَ الموضع من غرض معتمد، وسر على مثله تتعدّد اليد.»⁽⁴⁾ وذكر القاضي شمس الدين بن الجوزي أنّ مجرد تجديد نشاط المستمع ولفت انتباهه لا يكفي مبرراً للالتفات، «وإنما المناسبة أنّ الإنسان كثير

(1) ينظر: عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص149.

(2) البرهان في علوم القرآن 3/197.

(3) عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، ص145.

(4) المحتسب 1/145.

التقلب، وقلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن، ويقلبه كيف يشاء، فإنه يكون غائبا فيحضر بكلمة واحدة، وآخر يكون حاضرا فيغيب، فالله تعالى لما قال: ﴿الْحَمْدُ

لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة: 2) تنبّه السامع وحضر قلبه، فقال: ﴿إِيَّاكَ

نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 5) «(1).

ويذكر الزركشي فوائد أخرى للالتفات كالتفنن، وتوسيع مجاري الكلام، وتسهيل الوزن والقافية (2). وهذه فوائد عامة تكون في كل كلام وقع فيه التفات، وهناك فوائد خاصة هي وظائف تواسلية تختص بنص بذاته وقع فيه الالتفات، وبحال المتكلم ومقامه؛ ومنها (3): قصد تعظيم شأن المخاطب، نحو قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ

لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة: 2)، ومنها التنبيه على ما حق الكلام أن

يكون واردا عليه، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ﴾ (يس: 22). ومنها أن يكون الغرض منه التتيم لمعنى قصده

المتكلم، نحو قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (أمرًا مِّنْ عِنْدِنَا

إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الدخان:

4-6)، ومنها قصد المبالغة، نحو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ

وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ (يونس: 22)، ومنها قصد الدلالة على الاختصاص، نحو

(1) الزركشي: البرهان في علوم القرآن 204/3.

(2) نفسه 203/3، 204.

(3) ينظر: نفسه 204/3 — 206.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مِّمَّتِ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ (فاطر: 9)، ومنها قصد الاهتمام، نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (فصلت: 11) فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ (فصلت: 11، 12)، ومنها قصد التوبيخ، نحو: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ (مريم: 89).

4- العدول والتضمين:

نذكر بأن التضمين هو إشراب لفظ معنى لفظ آخر فيعطى حكمه. وفائدة التضمين أن تؤدي كلمة الوظيفة التواصلية لكلمتين. ويكون التضمين في الأسماء، وفي الأفعال؛ يقول ابن جني: «اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرف، والآخر بآخر فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر فلذلك جيء بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه. وذلك كقوله عز وجل: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ (البقرة: 187) ...لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء... جئت بـ(إلى) مع الرفث. «⁽¹⁾؛ فكلمة الرفث أدت وظيفة كلمتي: الرفث والإفضاء. وفي هذا عدول في استعمال الكلمة؛ حيث لم تختص بمعناها الأصلي فحسب، بل استعملت

(1) الخصائص 308/2، 435.

لغيره. ومن أمثلة التضمين في الأسماء كذلك تضمين كلمة (حقيق) معنى (حريص) في قوله تعالى:

﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ (الأعراف: 105)، حيث ضُمِّن

(حقيق) معنى (حريص) ليفيد أنه محقق بقول الحق وحريص عليه.

وأما التضمين في الأفعال فمن أمثلته تضمين (يشرب) معنى (يروى) في قوله

تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ (الإنسان: 6)، فضُمِّن (يشرب) معنى (يروى)؛

فأريد باللفظ الشرب والري معا⁽¹⁾.

ومنه قولنا: سمع الله لمن حمده، ففعل (سمع) هنا عُدِّي باللام لأنَّ المقصود هو

فعل استجاب، فكأنما أخذنا اللام من فعل الاستجابة⁽²⁾.

والتضمين يأتي لوظيفة تواصلية لا يؤديها التعبير بالفعل أو الاسم المضمَّن

مباشرة؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا

كَبِيرًا﴾ (النساء: 2) الفعل (تأكلوا) يتعدى بنفسه، وتعديه بحرف الجر جعلنا

نقول إنه ضُمِّن معنى فعل (تضموا) أو (تحوّلوا) أو غير ذلك، « ولكن الآية لو

استعملت أحد هذه الأفعال الأخيرة لخلت من الطاقة التعبيرية التي تجدها لها مع

استعمال الفعل (تأكلوا) لما في استعماله من الدلالة على الشراهة والاستهلاك

والهضم في وقت معا. »⁽³⁾

(1) ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن 211/3.

(2) ينظر: فاضل صالح السامرائي: أسرار البيان في التعبير القرآني، محاضرة، ضمن فعاليات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم،

عام 2002. على الأنترنت بمواقع عديدة، ص72.

(3) تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص340.

5- العدول والتغليب:

المقصود بالتغليب إعطاء الشيء حكم غيره. وهو ترجيح أحد اللفظين على الآخر، كما أنه إجراء للمختفين مجرى المتفقين. والتغليب هو عدول لما فيه من نسبة أو وصف لا واقعية فيهما لأحد الشئيين ومثاله (الوالدين) في قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء: 23) فالولادة من وظائف الأم، وألحق الأب إجراء ليوصف بهذا الوصف، وهذا التغليب عدول وقع لوظيفة تواصلية؛ وهي أولوية الإحسان بالأم لما تلاقيه من صعوبة ومشقة في الحمل والوضع والرضاع وخدمة الوليد. ونقول (الأبوين) بتغليب الأب عند الحديث عن واجبات الأب تجاه ابنه كحمايته وإكسابه الفضائل. وإذا فخر الشاعر فإنه يفخر بأبويه لا بوالديه، ومن ذلك قول الفرزدق ⁽¹⁾ (الطويل):

أولئك آبائي فجئني بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ومن ذلك جمع كلمتي البحر والنهر في كلمة "البحرين" في قوله تعالى ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ (الرحمن: 19) والمقصود البحر والنهر ⁽²⁾. ومثاله تغليب القمر على الشمس.

وهناك نوع آخر من التغليب في قوله تعالى عن مريم عليها السلام: ﴿وَكَاَنَتْ مِنَ الْقَنَتِينَ﴾ (التحريم: 12). تغليب صيغة جمع الذكور هنا كان لوظيفة تواصلية. يقول ابن عاشور عن وظيفة هذا التغليب: «ونكتته هنا الإشارة إلى أنها في عداد أهل الإكثار من العبادة وأن شأن ذلك أن يكون للرجال لأن

(1) الفرزدق: ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ، 1987، ص360.

(2) ينظر: تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص374؛ وينظر: تفسير التحرير والتنوير 248/27.

نساء بني إسرائيل كنّ معفيات من عبادات كثيرة.» (1)

6- الضرورة الشعرية ومخالفة الأصل:

ارتكاب الضرورات الشعرية مخالفة للقياس في العربية، والضرورات بحسب ما يذكر السيرافي على سبعة أوجه « وهي الزيادة، والنقصان، والحذف، والتقديم، والتأخير، والإبداء، وتغيير وجه من الإعراب إلى وجه آخر على طريق التشبيه، وتأنيث المذكر وتذكير المؤنث.» (2) وكل هذه الأشكال عدول عن الأصل ويرتبط بعضها بالصيغ الصرفية مما يضطرنا إلى الحديث عنها.

اختلف أهل اللغة في النظر إلى ارتكاب الضرورات بين مجيز لها مطلقاً ومجيز لها لاضطرار وبشروط، ومقبّح لها:

ممن أجازوا الضرورة مطلقاً ابن عصفور حيث يبرّر إجازة العرب في الشعر ما لا يجوز في غيره من الكلام سواء اضطروا إلى ذلك أولم يضطروا بكونه كلاماً موزوناً تخرجه الزيادة فيه والنقص منه عن صحة الوزن، ولأنه موضع ألقت فيه الضرائر (3).

ويرى الألوسي كذلك أنّ الضرورة وسيلة للشاعر يستعملها متى شاء مضطراً أو مخيراً ويناقش آراء سابقيه فيقول: «ذهب الجمهور إلى أن الضرورة ما وقع في الشعر مما لا يقع في النثر سواء كان للشاعر عنه مندوحة [مخلص] أم لا. ومنهم من قال أنها ما ليس للشاعر عنه مندوحة، وهو المأخوذ من كلام سيبويه وغيره على ما هو مبسوط في شرح نظم الفصيح لابن الطيب الفاسي، وبه قال ابن مالك.» (4)

(1) تفسير التحرير والتنوير 379/28؛ وينظر: البرهان في علوم القرآن 190/3.

(2) السيرافي: شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008، 189/1.

(3) ينظر: ابن عصفور الإشبيلي: ضرائر الشعر، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، ط1، 1980، ص13.

(4) الألوسي: الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر، شرح: محمد بهجة الأثري البغدادي، المطبعة السلفية بمصر، القاهرة، 1341هـ، ص6.

ورد الشاطبي على ابن مالك قوله أن الضرورة تُرتكب لاضطرار فقط، وحاصل ما ذكره في شرح الألفية أن هذا القول -[الضرورة ما ليس للشاعر عنه مندوحة]- باطل من وجوه: أحدها: إجماع النحاة على عدم اعتبار هذا المنزع.

ثانيها: أن الضرورة عند النحاة ليس معناها أنه لا يمكن في الموضع غير ما ذكر. الثالث: أنه قد يكون للمعنى عبارتان أو أكثر واحدة يلزم فيها ضرورة إلا أنها مطابقة لمقتضى الحال، بخلاف غيرها من العبارات، ولا شك أنهم في هذه الحال يرجعون إلى الضرورة، لأن اعتناءهم بالمعاني أشد من اعتنائهم بالألفاظ.

الرابع: أن العرب قد تأبى الكلام القياسي لعارض زحاف فتستطيب المزاحف دون غيره أو بالعكس فتركب الضرورة لذلك⁽¹⁾.

وممن يرى باللجوء إلى الضرورات للاضطرار وبشروط الخليل وسيبويه ومن بعدهما ابن جني حيث لم ينكروا الالتجاء إلى الضرائر من قبل الشعراء، لكن دون إسفاف وانفلات قيد. وصرح سيبويه في كثير من آرائه النحوية بأن الشاعر يجوز له الخروج عن القياس في الشعر مما لا يجوز للناثر حيث قال: «اعلم أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام.»⁽²⁾ كما رد (سيبويه) بعض ما يستقبح كثيرا من الضرائر، وقال: «فهذا اضطرار، وهو في الكلام خطأ.»⁽³⁾ ومما يبرر به ابن جني جواز ارتكاب الضرورة للشاعر قوله: «والشعر موضع اضطرار، وموقف اعتذار، وكثيرا ما يحرف فيه الكلم عن أبنيته، وتُحال فيه المثل عن أوضاع صيغها لأجله.»⁽⁴⁾ فالضرورة عند ابن جني من ضروب المخالفة ولا تكون إلا في الشعر. ونجده في موضع آخر يربط بين ظواهر الضرورة، وشجاعة الشاعر ومغامرته في استخدام اللغة، وجنوحه إلى ارتكاب الضرورة لإظهار القدرة على المغامرة حيث يقول: «فمتى رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الضرورات على

(1) ينظر: السابق، ص 6-8.

(2) الكتاب 1/26.

(3) نفسه 3/62.

(4) الخصائص 3/188.

قبحها وانخرق الأصول بها، فاعلم أنّ ذلك على ما جشمه منه وإن دل من وجه على جورهِ وتعسفه فإنّه من وجه آخر مؤذن بصياله وتخبطه وليس بقاطع دليل على ضعف لغته ولا قصوره عن اختياره الوجه الناطق بفصاحته. بل مثله في ذلك عندي مثل مجري الجموح بلا لجام، ووارد الحرب الضروس حاسراً من غير احتشام. فهو وإن كان ملوماً في عنفه وتهالكة فإنه مشهود له بشجاعته وفويض منته... فكأنّه لأنسه بعلم غرضه وسفور مراده، لم يرتكب صعباً، ولا جشم إلا أمّا وافق بذلك قابلاً له، أو صادف غير آنس به، إلا أنّه هو قد استرسل واثقاً، وبنى الأمر على أنه ليس ملتبساً.⁽¹⁾ فابن جني في كلامه هذا يقبح الضرورة، وفي الوقت نفسه يراها دليل شجاعة للشاعر، ولا تدل على ضعف لغته، ولا تنقص من فصاحته.

وممن يقبح الضرورة ويراها عيباً ومنقصة في الشعر سواء اضطر الشاعر إليها أو لم يضطر، أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) حيث يقول: «وينبغي أن يجتنب ارتكاب الضرورات وإن جاءت فيها رخصة من أهل العربية فإنها قبيحة تشين الكلام وتذهب بمائه، وإنما استعملها القدماء في أشعارهم لعدم علمهم كان بقباحتها، ولأن بعضهم كان صاحب بداية، والبداية مزلة، وما كان أيضاً تنقذ عليهم أشعارهم، ولو قد نقدت وبهرج من المعيب كما تنقذ على شعراء هذه الأزمنة، ويبهرج من كلامهم ما فيه أدنى عيب لتجنبوها.»⁽²⁾ فالضرورة عنده عيب ارتكبها القدامى لمزلة البداية ولقلة النقد، ولا نرى بهذا لما سبق، ولأن الضرورة كثيراً ما ارتكبها الواحد من فحول الشعراء مرات عديدة في أشعار مختلفة الأزمان، واستعملت في الحوليات المنقحة وفي شعر النقائض للتحدّي وفي المعارضات.

(1) السابق 392/2، 393.

(2) أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، مطبعة محمود بك، مصر، ط1، 1320 هـ، ص112.

ثانياً: أثر الوظيفة التواصلية في العدول إلى صيغ صرفية بعينها:

أ- من الوظائف التواصلية للعدول:

1- العدول عن القياس لتحقيق معنى ثانٍ بالصيغة:

قد يُعدل بالصيغة عن القياس لأجل تحقيق غاية تعبيرية أو وظيفة تواصلية ومن أمثلة العدول عن القياس: كتابة الفعل (حور) بواو متحركة والقياس فيه أن يحصل فيه إعلال لتحرك الواو وانفتاح ما قبلها، فتكون مثل (حار) التي تعني رجع كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَخُورَ﴾ (الأنشقاق: 14) ولكي تختلف عنها دلالة وتدل على الحور وهو شدة بياض العين مع شدة السواد فيها لم تعلّ ومثله (حال) و(حول)، فالقياس في (حول) أن تعلّ أيضاً ولم يعلّوها لإفادة معنى مغاير⁽¹⁾. ويعلل ابن جني العدول عن بعض صيغ الكلمات إلى صيغ غيرها لاعتبارات تتعلق بالمعنى من ذلك مثلاً: صيغة كُرّام التي خرجت عن بابها لأداء وظيفة الشدة في المبالغة في الكرم أكثر من كريم بقوله: «وتفسير هذا ما نحن بسبيله، وذلك أنه لما خرج عن معهود حاله أخرج أيضاً عن معهود لفظه.»⁽²⁾

2- العدول عن الرسم الأصلي للصيغة لتحقيق وظيفة مغايرة:

هناك علاقة بين العدول بالعبارة عن مألوف حالها وما يتعلّق بذات القائل أو موضوع القول، ومن ذلك العلاقة بين حذف الياء من الفعل (يسري) في قوله عز وجل: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ﴾ (الفجر: 4) وصفة الليل وهو الإسراء فيه وهو لا يسري وما دام كذلك حذف منه حرف. يقول الأخفش: «إنّ عادة العرب إذا عدلت بالشيء عن معناه نقصت حروفه.»⁽³⁾

(1) ينظر: فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص224.

(2) الخصائص 46/3؛ وينظر: عبد الحكيم راضي: نظرية اللغة في النقد العربي، مكتبة الخانجي بمصر، 1980، ص518.

(3) الزركشي: البرهان في علوم القرآن 70/3

3- العدول لأجل تحقيق الدقة في الوصف :

قد يعدل عن أصل بناء الكلمة لتحقيق وظيفة الدقة في الوصف ومنع أن يذهب الذهن بالعبارة إلى أي مذهب أو يحملها أي معنى خفي، ومن ذلك كلمة (أحد) في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: 1) فقد عدل عن (واحد) إلى (أحد) ليحقق معنى الفردية المقصودة في الآية؛ فقد يكون الشيء واحداً وإذا نظرت إلى تركيبه وجدته مركباً من أشياء فكلمة (أحد) تنفي ذلك التركيب بخلاف كلمة واحد (1).

4- العدول مراعاة للأصل اللغوي:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ (العاديات: 6) قيل الكفور بالنعمة وقيل العاصي وقيل البخيل (2)، والأصل اللغوي: الأرض الكنود التي لا تثبت والمرأة الكنود الكفور للمواصلة التي تبخل بمودتها (3)؛ فالأصل في هذه المفردة الأرض التي لا تثبت شيئاً، واستعمل هنا ليوصف به الإنسان للإشارة إلى جيلة البخل في الإنسان وجدد النعم. وبهذا العدول تحقق معنى جديد أساسه أصل المفردة اللغوي، «وكأن الكافر تحول إلى قطعة صخرية من الأرض لا جدوى من زرعها لأنها لن تثبت شيئاً» (4)

ب- العدول مطلب فني مفضل:

كثيراً ما يفضل علماء اللغة المعدول إليه، ويعتدون بالعدول في شرحهم لبعض ما اتصف بمخالفة النمط المثالي أو بالخروج عن القياس في كلام العرب مراعاة للوظيفة التواصلية، ومما نجده في هذا تفضيل ابن جني وابن منظور تخريج عبارة

(1) ينظر: عامر مهدي صالح العلواني: العدول في التعبير القرآني، مقال منشور بالإنترنت، شبكة التفسير.

(2) ينظر: الكشف 419/6، 420.

(3) ينظر: لسان العرب 3936/5.

(4) عامر مهدي صالح العلواني: العدول في التعبير القرآني، مقال منشور بالإنترنت، شبكة التفسير.

(الضنين من البخل) في قول البعيث⁽¹⁾ (الطويل):

أَلَا أَصْبَحَتْ أَسمَاءُ جاذمةَ الحَبْلِ وَضَنْتَ عَلَيْنَا، وَالضَّئِنُ مِنَ الْبُخْلِ.

على الوصف بالمصدر بدلا من تخريجه على القلب؛ فيقول: «... وهذا أوفق معنى من أن تحمله على القلب، وأنه يريد به: والبخل من الضنين؛ لأن فيه من الإعظام والمبالغة ما ليس في القلب.»⁽²⁾ وقد ورد في اللسان: «إنما أراد تمكين البخل فيها حتى كأنها مخلوقة منه، ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم: ما زيد إلا أكل وشرب، ولا يكون أكلاً وشرباً لاختلاف الجهتين، وهذا أوفق من أن يحمل على القلب وأن يراد به، والبخل من الضنين لأن فيه من الإعظام والمبالغة ما ليس في القلب.»⁽³⁾ ففي عبارة ابن جني "أوفق معنى..." وعبارة ابن منظور "وهذا أوفق من أن يحمل على القلب" يبدو تفضيلهما للمعدول إليه لما يحققه من وظائف تواصلية، ومن هذا القبيل تفضيل الزمخشري للأسلوب الأكثر انحرافاً، كما يتمثل

في قراءة ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ (الأعراف: 154) على الأسلوب

الأقل انحرافاً في قراءة (ولما سكن عن موسى الغضب)⁽⁴⁾ قال: «كأن الغضب

كان يغريه على ما فعل.»⁽⁵⁾ وكذلك حديثه في بلاغة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَلْبِيعُ

مِثْلُ الرَّبِّوَا﴾ (البقرة: 275) على أساس ما يحدثه الانحراف بجعل الفرع أصلاً من

المبالغة⁽⁶⁾؛ فلا تؤول هذه الآية بكونه حدث فيها قلب؛ أي قولهم: الربا مثل البيع.

فبهذه البنية الأخيرة لا تحقق ما حققته الآية بالشكل الذي وردت به من قوة معنى.

(1) لسان العرب (ضن) 2614/4. ذكر محقق الخصائص أن البيت غير معزو لقائل في غير اللسان. ينظر: الخصائص 202/2.

(2) الخصائص 203/2.

(3) ابن منظور: لسان العرب (ضن) 2614/4.

(4) (5) الكشف 513/2، 514.

(6) ينظر: نفسه 506/1.

الفصل الثالث = العدول إلى الصيغ الصرفية

وكثيراً ما يقيس اللغويون الأساليب التي ورد فيها عدول حصلت به زيادة في المعنى على الأساليب النمطية العادية وفي هذا تفضيل لأسلوب العدول ⁽¹⁾. يقول ابن جني: « ونحو من تكثير اللفظ لتكثير المعنى العدول عن معتاد حاله وذلك فُعال في معنى فَعِيل؛ نحو: طُوال فهو أبلغ معنى من طَوِيل... فلما كانت فَعِيل هي الباب المطرد وأريدت المبالغة، عدلت إلى فُعال... » ⁽²⁾ فإذا كانت (فُعال) المعدول إليها أبلغ وأكثر فعالية وتأثيراً في أداء الوظيفة التواصلية من (فَعِيل) التي هي الباب المطرد. فلا خصوصية إذاً في (الباب المطرد) وإنما تكون الخصوصية والدلالة الأبلغ حين يكون العدول عن المطرد والنمطي ⁽³⁾.

(1) ينظر: عبد الحكيم راضي: نظرية اللغة في النقد العربي، ص360.

(2) الخصائص 267/3، 268.

(3) ينظر: عبد الحكيم راضي: نظرية اللغة في النقد العربي، ص269.

ثالثاً: نماذج من العدول إلى صيغ صرفية معينة:

أ- العدول إلى الاسم:

1- العدول إلى اسم بعينه:

قد يخالف الأصل أو القياس في العدول إلى الاسم لوظائف تواصلية مختلفة إضافة إلى دلالاته العامة على الثبوت، ومن نماذج العدول إلى اسم بعينه:

- العدول عن (التواعد) إلى (الميعاد) في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ

الْدُنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ

لَا خَتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ (الأنفال: 42)

كان القياس أن يؤتى بمصدر الفعل "تواعد" وهو "التواعد" وعدل عن ذلك للدلالة على أن المراد زمان الوعد أو وقوع الحدث وهو التواعد، لا حقيقة الوعد؛ أي لا بد من تقدم أحد الفريقين أو تأخره (1).

- العدول إلى الوصف باسم الجنس أو بالجامد، نحو: مررت برجل أسد. أي شجاع أو جريء، وبرجل حمار أي بليد (2). والغالب في الوصف أن يكون بالمشق لا بالجامد. ويُعدل إلى الوصف باسم الجنس أو بالاسم الجامد لإظهار شدة المطابقة بين الصفة والموصوف ليصبح كأنه هو. وفي المثالين دلالة على قوة جراءة الموصوف بالأسد، وقوة بلادة الموصوف بالحمار.

(1) ينظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 299.

(2) ينظر: فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص 212.

2- العدول إلى الاسم بحسب العدد:

2-1 العدول إلى الاسم المفرد:

قد يرد الاسم مفردا ويراد به المثنى (*) ويرد مفردا ويراد به الجمع، وهو استعمال شائع في كلام العرب، قال ابن فارس: «ومن سنن العرب ذكر الواحد والمراد الجمع؛ كقولهم للجماعة: ضيف، وعدو؛ قال تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ ضِيفَى﴾

(الحجر: 68) وقال: ﴿ثُمَّ خَرَجُكُمْ طِفْلًا﴾ (الحج: 5) «⁽¹⁾. وقال الشاعر⁽²⁾:

فَعُمُّ لِعَمِّكُمْ نَافِعٌ وَطِفْلٌ لَطِفْلَكُمْ يَوْمِلُ

والعمُّ الجماعة من الرجال البالغين، وقد أخبر عنه باللفظ المفرد "نافع" عدولا عن القياس وهو الجمع، وأراد بالطفل الأطفال.

ولا يكون هذا العدول لغير قصد بل هو إجراء مقصود لخدمة وظائف تواصلية، ومن ذلك العدول إلى اللفظ المفرد (عدو) بدل الجمع (أعداء) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا

رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ^ط وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ^ط كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ

مُسْنَدَةٌ^ط تَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ^ج هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرَهُمْ^ج قَتَلَهُمُ اللَّهُ^ط

أَنْ يُؤَفَّكَونَ^ط ﴿٤﴾ (المنافقون: 4) فجاء بلفظ (العدو) معدولا إليه بدلا من (الأعداء)

(*) ومن سنن العرب في كلامها أن يطلق اللفظ مفردا ويراد به المثنى: ومن ذلك ما حكاه الفراء أنه سمع بعضهم يقولون: أكلت رأس شاتين. (أراد رأسي شاتين).

ومنه قول الشماخ بن ضرار (الطويل): حمامة بطن الواديين ترنمي سقاك من الغرّ الغواذي مطيرها حيث أفرد البطن والقياس أن يقول: بطني الواديين. والبيت نسب لقائلين: الشماخ بن ضرار وتوبة بن الحمير. ينظر: ابن مالك: شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، تحقيق: طه محسن، مكتبة ابن تيمية، ط2، 1413هـ، ص115.

(1) السيوطي: المزهري 266/1.

(2) ابن الأنباري: الأضداد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1987، ص25. يُقال أن البيت قاله أحيحة بن الجلاح في نخل اشتراه فعذله قومه.

الموافق للقياس، ويظهر أن هذا العدول قصد منه تحقيق الوظائف الآتية:

1- التقليل من شأنهم. ويوحى بذلك سياق الآية هنا فهو يجردهم من كل صفات القوة والتأثير والنفع، وأنهم إذا « رأيتموهم حسبتموهم أرباب لب وشجاعة وعلم ودراية، وإذا اختبرتموهم وجدتموهم على خلاف ذلك. فلا تحتفلوا بهم... أي هم أهل جبن في صورة شجعان. »⁽¹⁾

2- الإغراء بهم ففي بداية الآيات تحدث عنهم بصيغة الجمع الدالة على الكثرة ثم انتقل إلى الإفراد الدال على القلة.

3- الدلالة على اتفاق كلمتهم واجتماعهم على العداوة، كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّ

سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (مريم: 82) وقوله تعالى:

﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ (الكهف: 50) « وذلك لجعلهم كذات واحدة في الاجتماع

والترافد. »⁽²⁾ فالقياس أن يقول أضدادا وأعداء.

ومن أمثلة العدول إلى الاسم المفرد: إفراد كلمة "النور" بعد جمع الظلمات في

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾

وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿٢٢﴾ (فاطر: 19-22)

وبالنظر في سياق الآية نجد تناسقاً بين كل المتقابلات (الأعمى والبصير، الظل والحرور، الأحياء والأموات) وخرج عن هذا التناسق اسم (النور) بالعدول عن الجمع إلى الإفراد ليدل على أن ظلمات الضلالة كثيرة وطرقها متشعبة، أما نور الإيمان والهداية فواحد وسبيله واحد⁽³⁾.

(1) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 240/28.

(2) الأسترابادي: شرح الرضي على الكافية 362/3.

(3) ينظر: الزمخشري: الكشاف 321/2.

2-2 العدول إلى جمع القلة:

قد يعدل إلى جمع القلة بدل جمع الكثرة، ومن ذلك العدول إلى (أنعم) بدل (نعم) في الآية: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ

وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (النحل: 112) حيث ذكر من النعم العظيمة التي أنعم الله بها على أهل هذه القرية وكفروا بها نعمة الأمن والاطمئنان ونعمة الرزق الميسور، وهما نعمتان لا قلة فيهما، ومع ذلك عدلت الآية عن التعبير بجمع الكثرة (النعم) إلى جمع القلة (أنعم) لوظيفة تواصلية وهي إظهار عقاب كفر القليل من النعم فما بالك بالكثير.

2-3 العدول إلى جمع الكثرة:

من أمثلة العدول عن جمع القلة إلى جمع الكثرة كلمة (سنابل) في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 261) والأصل أن توصف السبع بجمع القلة (سنبلات) كما في الآية: ﴿وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ﴾ (يوسف: 43) وعدل عن ذلك إلى جمع الكثرة (سنابل) لتؤدي بهذه البنية وظيفة تواصلية، وهي مناسبة سياق الآيات قبلها ولتدل على التكثير والمباركة من الله لهذه الصدقة (1).

3- العدول إلى الاسم المذكر:

يُعدل إلى التذكير والمذكر خروجاً عن الأصل لوظيفة مقصودة، ومن ذلك

(1) ينظر: عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص 180.

وصف السماء بـ(منفطر) في قوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ كَانَ وَعَدُهُ

مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ (المزمل: 18) حملا للفظ السماء المؤنث على معنى السقف المذكر،

يقال: هذا سماء البيت (1). وقد يكون العدول بها لقصد الخفة في الأداء؛ قال ابن عاشور: «ولعل العدول في الآية عن الاستعمال الشائع في الكلام الفصيح في إجراء السماء على التأنيث، إلى التذكير إثارا لتخفيف الوصف. « (2) منفطر أخف من منطرة؛ فكلمة منفطر اشتملت على حرفي زيادة هما الميم والنون ولو أضيفت الهاء لزداد الثالث ولأصبحت الكلمة ثقيلة (3). مما يقلل من فعالية التواصل بها.

ومن العدول عن المؤنث إلى المذكر وصف الرحمة بالمذكر في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ

الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: 56) فقد وصفت الرحمة بلفظ (قريب) لتحقيق معنيين قرب رحمة الله وقربه هو أيضا (4).

ومنه العدول إلى وصف الأعناق بالخاضعين لوظيفة تواصلية في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنْزِلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا

خَاضِعِينَ﴾ (الشعراء: 4) والأصل أن يُقال: خاضعة. يقول فاضل السامرائي:

«فإنه ذكر ولم يقل خاضعة، وذلك لأنه لا يريد خضوع الأعناق فقط بل خضوع أصحابها أيضا فقدّم (الأعناق) للإسناد ولكنه أخبر عن المضاف إليه فجمع

(1) ينظر: محمود عكاشة: الحمل على اللفظ والمعنى في القرآن الكريم في ضوء القياس على المشهور والنادر، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط1، 2009، ص161. وربما جاز تذكرها لأنها مؤنث غير حقيقي.
(2) (3) تفسير التحرير والتنوير 29/276.

(4) ينظر: فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص193. وربما حمل الرحمة على المطر لتحقيقه رحمة الله بعباده. ينظر: العكبري: التبيان في إعراب القرآن، تحقيق محمد علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط2، 1987، 575/1. ويجوز أن يوصف بـ(فعيل) المذكر والمؤنث معاً. ينظر: ابن جني: الخصائص 2/412.

المعنيين بذلك.»⁽¹⁾ ومثل هذا كثير في كلام العرب ومنه "ثلاث شخوص" في قول عمر بن أبي ربيعة⁽²⁾ (الطويل):

فَكَانَ مَجَنِّي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقِي ثَلَاثُ شُخُوصٍ: كَاعِبَانِ وَمُعْصِرُ

والشائع في العدد أن يخالف المعدود مع العدد ثلاثة، فيقول: ثلاث نساء، وبه يكون الوزن مستقيماً؛ وعدل عن القاعدة وأتى باللفظ مذكراً مع الثلاثة. أو أتى بالثلاثة مذكراً مع المعدود المذكر (شخوص) عدولاً عن القاعدة ليريد به المرأة (كاعبان ومعصر). وقد يكون عدل إلى خطاب هذه الأصناف من النسوة بالمذكر لما امتاز به عن باقي النساء من حسن وتفضيل، وربما أشار إلى الشخوص وهو الارتفاع والعلو للمشابهة الضمنية.

4- العدول إلى المصدر:

4-1 العدول إلى مصدر بعينه لوظيفة خاصة:

يُقصد التعبير بالمصدر دون غيره من المشتقات ولو تطلب الأمر (الوظيفة التواصلية) الخروج عن القياس لدلالاته في مقامات خاصة على ما لم يدل عليه التعبير بغيره، قال سيبويه: «وقد يجيء المصدر على المفعول، وذلك قولك: لَبَنٌ حَلَبٌ، إِنَّمَا تَرِيدُ مَحْلُوبٌ. وكقولهم: الخَلْقُ: وَإِنَّمَا يَرِيدُونَ الْمَخْلُوقَ. ويقولون للدرهم ضَرْبُ الْأَمِيرِ، وَإِنَّمَا يَرِيدُونَ مَضْرُوبَ الْأَمِيرِ.»⁽³⁾ ونحوه وصفهم الذات بالمصدر كقولهم: مررت برجل صوم. ومررت برجل عدل. لتحقيق المبالغة؛ كأن الذات تحولت إلى حدث مجرد. قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾^ج (يوسف: 18): «ذي كذب، أو وصف بالمصدر مبالغة، كأنه

(1) الجملة العربية والمعنى، ص 193.

(2) عمر ابن أبي ربيعة: ديوان عمر بن أبي ربيعة، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: فائز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1416هـ/1996م، ص 127.

(3) الكتاب 43/4.

نفس الكذب وعينه، كما يقال للكذاب: هو الكذب بعينه، والزور بذاته. ونحوه:
..... فهنَّ به جودٌ وأنتم به بخلٌ. (1)

ومن نماذج العدول إلى التعبير بمصدر بعينه:

- العدول إلى (الاستعجال) بدل (التعجيل) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ

لِلنَّاسِ الشَّرَّ أَسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ^ط فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا

يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ (يونس: 11) . والقياس هو

(التعجيل) وعدل عنه لأداء وظيفة المبالغة الكامنة في صيغة (استفعل)

المنسجمة مع طبيعة البشر وجبلة العجلة فيهم، قال تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ

عَجَلٍ^ج﴾ (الأنبياء: 37). قال ابن عاشور: «... فذكر في جانب الشر (يعجل) الدال على

أصل جنس التعجيل ولو بأقل ما يتحقق فيه معناه، وعبر عن تعجيل الله الخير لهم

بلفظ (استعجالهم) الدال على المبالغة في التعجيل بما تفيده زيادة السين والتاء

لغير الطلب إذ لا يظهر الطلب هنا، وهو نحو قولهم: استأخر واستقدم واستجلب

واستقام واستبان واستجاب واستمتع واستكبر واستخفى. (2)

- العدول إلى (الكذاب) بدل (التكذيب) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا

﴿٢٨﴾﴾ (النبا: 28) تمَّ العدول في هذه الآية عن مصدر الفعل كذبوا "تكذيباً" إلى

المصدر "كذاباً" لما يدل عليه من شدة المبالغة في تكذيبهم أكثر من المصدر

الأصلي (3).

(1) الكشف 262/3. البيت غير منسوب، وهو من شواهد أساس البلاغة للمؤلف، ورد كاملاً (الطويل):

ففيهن فضلٌ قد عرفنا مكانه فهُنَّ به جودٌ وأنتم به بخلٌ

(2) تفسير التحرير والتنوير 107/11.

(3) ينظر: الزمخشري: الكشف 301/6.

الفصل الثالث = العدول إلى الصيغ الصرفية

- العدول إلى (الضياء) بدل (المضيء) وإلى (النور) بدل (المنير) في قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ (يونس: 5)؛ أي جعل

الشمس مضيئة والقمر منيرا⁽¹⁾. ذكر الله سبحانه وتعالى الشمس والقمر موصوفين بالمصدر "نورا وضياء" بدل اسم الفاعل "مضيئة و منيرا" للمبالغة في عظمة هاتين الآيتين ودلالتهما البيّنة على قدرة خالقهما. قال سيبويه عن مجيء المصدر دالا على اسم الفاعل: «...ويقع على الفاعل، وذلك يوم غمٍّ، ورجل نومٍ، إنما تريد النائم والغام.»⁽²⁾ ، وفي كل هذا تحقيق لوظيفة التعبير عن شدة الاتّصاف والمبالغة.

- العدول إلى (القرآن) بدل (القراءة) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ

وَقُرْءَانَهُ﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ﴿١٨﴾ (القيامة: 17 ، 18) يتبيّن أن العدول

عن (القراءة) وهي المصدر المقيس إلى (القرآن) وهو المصدر السماعي عدولٌ مقصود يراد منه بيان دلالة التحرك والمبالغة في قراءة القرآن من أجل التثبيت في معرفة معانيه وأحكامه للعمل بها، وهو ما تدل عليه صيغة (فُعْلان) وهو الحركة والمبالغة.

- العدول إلى (العلو) بدل (التعالى) في قوله تعالى في تنزيه ذاته العلية:

﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: 43) والغرض من

العدول عن المصدر (تعالياً) إلى مصدر الفعل الثلاثي (علواً) إرادة تحقّق المعنيين: المبالغة في معنى الفعل (تعالى) وتحقيقه، فالله سبحانه وتعالى متّصف بالعلو بحق لا بمجرد الادّعاء⁽³⁾.

(1) ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن 1/1513.

(2) الكتاب 4/43.

(3) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 15/113.

الفصل الثالث = العدول إلى الصيغ الصرفية

- العدول إلى (التبئيل) بدل (التبئل) في قوله تعالى مخاطباً النبي - صلى الله عليه وسلم - في بداية البعثة: ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَّئِلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ (المزمل: 8).

في الإتيان بالفعل (تبئل) إثبات لمعنى التدرج، وفي الإتيان بالمصدر (تبتيلاً) عدولاً به عن القياس وهو (تبئلاً) إثبات لمعنى التكثير والمطاوعة، فمن التدرج نصل إلى التكثير، وهو وضع تربوي للنفس، وتدريب لها على الاستمرار في العبادة، «إذ الأصل أن يتدرج الإنسان من القلة إلى الكثرة والمعنى احمل نفسك على التبئل والانقطاع إلى الله في العبادة شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى الكثرة.»⁽¹⁾ فبالعدول عن القياس في المصدر تحقق الأمر بالتبئل والإكثار منه تدرجاً، بحمل النفس على ما تكره من ثقل العبادة أول الأمر إلى أن تطاوع في ذلك وتعتاد⁽²⁾.

- العدول إلى (الخوف) بدل (خائفين) و(الطمع) بدل (طامعين) في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ

الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: 56). في العدول إلى المصدر بدل اسم الفاعل تحقيق لوظيفة تواصلية تتمثل في توسيع المعنى وتكثيره؛ فبدلاً من أن يحقق معنى واحداً تدل عليه الحالية لو قال (خائفين طامعين) تمّ تحقيق ثلاثة معان تدل عليها المصدرية وهي: الحالية والمفعول لأجله والمفعولية المطلقة⁽³⁾. إضافة إلى ما يحققه العدول إلى المصدر من مبالغة.

4-2 العدول إلى اسم المصدر:

يعدل عن المصدر الأصلي إلى اسم المصدر لتحقيق وظائف تواصلية، ومن ذلك:

(1) فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، ص 35.

(2) ينظر: عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص 167.

(3) ينظر: فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص 178؛ وينظر: بلقاسم بلعرج: ظاهرة توسع المعنى في اللغة العربية، نماذج من القرآن الكريم، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 9، مارس 2006، ص 129.

- العدول عن المصدر (إنباتا) إلى اسم المصدر (نباتا) في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ

أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ (نوح: 17) والقياس: أنبتكم إنباتا. وجاء هذا العدول

لتحقيق وظيفتين:

1- تضمين الفعل (أنبت) معنى الإنشاء والخلق الظاهر⁽¹⁾؛ فاسم المصدر (نباتا) محسوس مشاهد لبيان قدرة الله وبديع صنعه⁽²⁾. وهذا ما لا يحققه المصدر (إنباتا) الذي هو خلق خفي.

2- الدلالة على المطاوعة؛ فالمعنى أنبتكم فنبتم نباتا؛ أي طاوعتم أمره. فجمع بين معنيي الإنبات والنبات⁽³⁾.

- العدول عن المصدر (إضللا) إلى اسم المصدر (ضللا) في قوله تعالى في وصف المنافقين: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: 60). الاسم (ضللا) ليس جاريا على يضلهم بل عدول عن القياس، ليثبت به وظيفتين كسابقه:

1- معنى (الضلال) الذي يقوم به الشيطان وهو مصدر الفعل (ضل)، قال تعالى: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا بَعِيدًا﴾ (النساء: 116)، «وانتصب (ضللا) على المعنى، أي فيضلون ضللا»⁽⁴⁾.

2- معنى (الإضلال) الذي يتضمن دلالة فعله المطاوع (أضل)؛ «والمعنى: أن الشيطان يريد أن يضلهم ثم يريد بعد ذلك أن يضلوا هم بأنفسهم، فالشيطان يبدأ

(1) ينظر: الزمخشري: الكشاف 217/6.

(2) ينظر: عبد الحميد هندawi: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص 168.

(3) ينظر: فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص 175.

(4) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن 915/1.

المرحلة وهم يتمونها، فهو يريد منهم المشاركة في أن يبتدعوا الضلال ويذهبوا فيه كل مذهب، يريد أن يطمئن إلى أنهم يقومون بمهمته.»⁽¹⁾

4-3 العدول إلى المصدر الميمي:

يعدل عن المصدر الأصلي للفعل إلى المصدر الميمي لوظائف تواصلية ومن ذلك:

- العدول عن المصدر (إهلاك) إلى اسم المصدر (مهلك) في الآية: ﴿وَتِلْكَ

الْقَرْيَ أَهْلَكْتَهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ (الكهف: 59). الفعل

(هلك) من باب (ضرب) ويكون المصدر الميمي منه على القياس (مهلك)، وهو في الآية معدول عن المصدر المقيس (إهلاك) لوظيفة تواصلية؛ حددها الزمخشري بقوله: «وضربنا لإهلاكهم وقتاً معلوماً لا يتأخرون عنه... والمهلك: الإهلاك ووقته.»⁽²⁾ فالمراد من العدول إلى المصدر الميمي بدل المصدر الأصلي التعبير عن هلاك ذي ميعاد سيحل بأهل القرى إن لم يتوبوا.

5- العدول إلى اسم المرة:

من أمثلة العدول إلى اسم المرة لأداء وظيفة تواصلية العدول عن المصدر (ضلال) إلى اسم المرة (ضلالة) في قوله عز وجل في الإخبار عن قوم نوح وتكذيبهم لنبيهم عليه السلام: ﴿قَالَ أَلَمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ﴾ (الأعراف: 60، 61) قال يَاقُوتَ بْنَ أَبِي خَالَةَ: وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ

﴿(الأعراف: 60، 61)﴾ كان مقتضى السياق أن ينفي نوح -عليه السلام- تهمة

الضلال عن نفسه بصيغة المصدر (ضلال) التي وردت بها تلك التهمة على لسان

(1) فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، ص36.

(2) الكشف 595/3.

الفصل الثالث = العدول إلى الصيغة الصرفية

قومه، ولكنه عدل عن تلك الصيغة إلى صيغة اسم المرة (ضلالة) مبالغة في النفي، وذلك لأن المصدر يدل على القليل والكثير، أما اسم المرة فلا يدل إلا على الفعلة الواحدة، ونفي القليل يعني نفي الكثير وأبلغ منه (1).

6- العدول إلى اسم الهيئة:

جاء العدول عن المصدر (الخوف) إلى اسم الهيئة (الخيفة) في قوله تعالى:

﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الروم: 28) ليعبر بذلك عن الحالة أو الهيئة الملازمة لهم التي تتملكهم لا الطارئة؛ فالمصدر (الخوف) لا يدل على حالة الخوف الدائمة مثل ما يدل على ذلك اسم الهيئة (الخيفة).

7- مخاطبة الجمادات مخاطبة من يعقل:

قد يخاطب ما لا يعقل مخاطبة العاقل عدولا عن الشائع لوظيفة تواصلية، ومن ذلك مخاطبة السماء والأرض مخاطبة العاقل في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ (فصلت: 11) حيث دل بصفة الإجابة بالقول (قالتا) والطاعة على العاقل، وجمعهما جمع مذكر سالما للدلالة على أنهما أتيا بمن فيهما من الخلائق طائعين، وغلب من يعقل من الذكور. « وقال النحويون: لما أخبر عنهما أنهما يقولان كما يقول آدميون أشبهتا الذكور من بني آدم. » (2) ونحوه (ساجدين) في

(1) ينظر: السابق 454/2.

(2) الزركشي: البرهان في علوم القرآن 192/3.

قوله تعالى: ﴿رَأَيْتُمْ لِي سَجْدِينَ﴾ (يوسف: 4)⁽¹⁾.

ب- العدول إلى الفعل:

1- العدول إلى فعل بعينه لوظيفة خاصة:

يعدل إلى فعل دون غيره نحو: (أَصَدَّق) بدل الأصل (أَتَصَدَّق) أو غيرها في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ

فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنْ

الصَّالِحِينَ﴾ (المنافقون: 10) لتحقيق الوظيفتين التواصليتين⁽²⁾:

1- الدلالة على المبالغة والتكثير من الصدقة؛ فالفعل (أَصَدَّق) فيه تضييفان، والفعل (أَتَصَدَّق) فيه تضييف واحد، وكثيرا ما يدل التضييف على المبالغة.

2- الدلالة على قصر المدة، وذلك لأنه طلب التأخير إلى الأجل القريب؛ فالفعل (أَصَدَّق) أقل طولا في بنية حروفه من الفعل (أَتَصَدَّق) مما يناسب المقصد العام للآية وهو التعجيل بالإكثار من الإنفاق قبل أن يأتي الموت فجأة.

2- العدول إلى الفعل بحسب زمنه:

للعُدول عن الزمن المقيس في الفعل إلى زمن آخر وظائف تواصلية خاصة؛ ففي العدول إلى التعبير بالماضي نقصد إلى تحقق الفعل وتأكيده وقوعه، وفي العدول إلى التعبير بالمضارع نقصد إلى استحضار الصورة وتمثلها كالمشاهد عيانا، فيكون ذلك أقوى أثرا وأشدّ تعلّقا بالنفس.

2-1 العدول إلى زمن بعينه:

من أمثلة العدول إلى الفعل في زمن بعينه العدول إلى الفعل الماضي (أَخَّرْتَنِي)

(1) ينظر: البرهان في علوم القرآن 154/2؛ وينظر: حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص102.

(2) ينظر: فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص192.

بعد لولا بدل الفعل المضارع (تؤخرني) في قوله عز وجل: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا

رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي

إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ (المنافقون: 10) والأصل

في الفعل بعد (لولا) أن يكون مضارعاً، ولكن جاء بالفعل الماضي بعد (لولا) ليؤكد انتهاء الوقت وحلول الموت «ذلك أن المحذور وقع في حين أن الفعل المضارع قد يفيد أن الأمر لم يقع بعد، وأن في الأمر سعة»⁽¹⁾ كما يفيد العدول إلى الماضي بعد لولا شدة الإلحاح في الطلب وقوته⁽²⁾.

2-2 العدول عن التكلم إلى الغياب:

من نماذج العدول عن التكلم إلى الغياب:

- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا

لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ (الأعراف: 11)

فقد عدل عن التكلم في (خلقناكم) و(صورناكم) إلى الغياب في (قلنا)؛ أي قال الله تعالى للملائكة وإبليس، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: قلنا لكم، ولا يذكر الملائكة تنمةً للخطاب الموجه ودلالة السياق على الحضور، ولكن وقع العدول بالالتفات إلى الغياب لغرض تواصل مفاذه «تحويل مقام الكلام، إذ كان المقام مقام أمر للملائكة ومن في زميرهم فصار مقام توبيخ لإبليس خاصة»⁽³⁾

(1) السابق، ص 187؛ وينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 253/28.

(2) ينظر: فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص 187.

(3) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 39/8.

- قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ (الكوثر: 1، 2)

في الانتقال من التكلم إلى الغيبة في قوله (فَصَلِّ لِرَبِّكَ) ومقتضى السياق أن يقول: (فصل لنا) قاصدا ذكر الرب سبحانه وتعالى ليقرن فعل الصلاة بالأحق بها ويؤكد عظمتها، وفي هذا تحريض على القيام بالصلاة والمحافظة عليها. « ذلك أنه لا تكون الصلاة لكل من أعطى لذا لم يعلقها بالعطاء، وإنما جعلها لمستحقها فذكر اسم الرب وهو المستحق لها. »⁽¹⁾

- قال تعالى: ﴿حَمِّ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ ﴿٣﴾

إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿٤﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٥﴾ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا

كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٦﴾ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ ﴿٧﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٨﴾﴾ (الدخان: 1-6)

جرى الأسلوب على طريقة التكلم ثم انتقل إلى طريق الغيبة فقال: (رحمة من ربك). وكان مقتضى ظاهر السياق أن يقول: رحمة منا، وعدل عن ذلك بذكر الرب لوظيفة مخاطبة الرسول -صلى الله عليه وسلم- مقترنا باسمه سبحانه وتعالى، ثم إنه لو قال (رحمة منا) لم يكن هناك سبيل إلى ذكره -صلى الله عليه وسلم-. وفي هذا إشارة إلى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- عبد الله ورسوله، وهو المنزل عليه الكتاب، « ثم إنه لما قال: رحمة، ناسبها ذكر الرب لأنه يشير إلى معنى التربية والرفق والعناية. »⁽²⁾

- قال تعالى: ﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ

قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا

(1) فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص 139.

(2) محمد محمد أبو موسى: خصائص التراكيب، ص 252.

بِسُوءٍ قَالِ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُ وَأَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ (هود: 53، 54)؛
 كان مقتضى الظاهر أن يقول: وأشهدكم، ولكن عدل عن ذلك لغرض أراد توصيله
 لهم وللمتلقى؛ فقد حقق بهذا العدول تحقيرا لشهادتهم، وتنبيه الناس على بطلان
 عبادتهم وشهادتهم، قال الزمخشري: «فإن قلت: هلا قيل: إني أشهد الله وأشهدكم؟
 قلت: لأنّ إشهد الله على البراءة من الشرك إشهد صحيح ثابت في معنى تثبيت
 التوحيد وشدّ معاقده، وأمّا إشهدهم فما هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة
 بهم فحسب، فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما، وجيء به على لفظ الأمر
 بالشهادة، كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه. أشهد عليّ أني لا أحبّك،
 تهكّمًا به واستهانة بحاله.»⁽¹⁾ فالمخالفة تفيد الفرق بين نوعين من الشهادة، شهادة
 الله المقدسة وشهادتهم غير المعتمد بها.

- قال تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ
 مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ
 وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾ (الأعراف: 158) تم العدول في هذه الآية عن الخطاب بقوله
 -صلى الله عليه وسلم- للناس أنه صاحب رسالة من الله وظيفته التبليغ ﴿إِنِّي
 رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ إلى الغيبة المعبر عنها بالاسم الظاهر عند دعوتهم إلى
 الإيمان بالله أولاً ثم به، وأنه أمّي لا يمكن أن ينتج مثل هذا الوحي ﴿فَآمِنُوا
 بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾، وكان مقتضى الظاهر قوله: فآمنوا بالله وبى.

الفصل الثالث = العدول إلى الصيغ الصرفية

ولهذا العدول وظيفتان حدّدهما الزركشي بقوله: «وله فائدتان: إحداهما: دفع التهمة عن نفسه بالعصبية لها، والثاني: تنبيههم على استحقاقه الاتباع بما اتصف به من الصفات المذكورة، من النبوة والأمية، التي هي أكبر دليل على صدقه، وأنه لا يستحق الاتباع لذاته، بل لهذه الخصائص.»⁽¹⁾

2-3 العدول عن الغياب إلى التكلم:

من أمثلة العدول عن الغياب إلى التكلم لوظيفة تواصلية ما ورد في قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فُسْقِنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾ (فاطر: 9). حيث أسند فعل إرسال الرياح لتثير السحاب إلى ضمير الغيبة، ثم عدل عن ذلك إلى ضمير التكلم عند إسناد فعلي السوق والإحياء، وهما من الدلائل الباهرة على قدرة الله. وذلك لتحقيق الوظيفتين التواصليتين:

1- إحداث الإيقاظ ولفت الانتباه عند هذا الجزء المهم من المعنى المراد تأكيده.

2- التأكيد على أنّ سوق السحاب إلى الأرض الميّتة لإحيائها من قسمة الأرزاق الذي هو من اختصاص ذي الجلالة سبحانه، وهو الذي «يسوق السحاب بذاته العلية، ويقسمه رحمة ورزقا بيديه، ولا يدع ذلك لأحد من خلقه.»⁽²⁾ بخلاف إثارة السحاب فتقوم بها الرياح؛ فلتغيير المعنى بإسناد الأفعال لفاعلها المباشرين لزم تغيير المبنى؛ والبنية تابعة للوظيفة.

2-4 العدول عن الخطاب إلى الغيبة:

يعدل عن الخطاب إلى الغيبة كما في الآية: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ

(1) البرهان في علوم القرآن 199/3.

(2) محمد محمد أبو موسى: خصائص التراكيب، ص256؛ وينظر: الزمخشري: الكشاف 143/5؛ وينظر: الزركشي:

البرهان في علوم القرآن 206/3.

وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ
مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ

أُنْجِيتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ (يونس: 22)، والفائدة التي
تحققت بالعدول عن الخطاب (كُنْتُمْ) إلى الغيبة (وَجَرَيْنَ بِهِم)، هي إظهار
الاستغراب من إصرارهم على الكفر رغم الدلائل البينة على ضلالهم. وحكاية
شناعة فعلهم لغيرهم، وما حل بهم جراء ذلك من عذاب للاعتبار. يقول
الزركشي: «فقد التفت عن (كُنْتُمْ) إلى (وَجَرَيْنَ بِهِم)، وفائدة العدول عن خطابهم
إلى حكاية حالهم لغيرهم، لتعجبه من فعلهم وكفرهم، إذ لو استمر على خطابهم
لفاتت تلك الفائدة.»⁽¹⁾

2-5 العدول عن التَّكَلُّم إلى الخطاب:

مما وقع فيه العدول عن التَّكَلُّم إلى الخطاب العدول عن (أَرْجِعْ) إلى (تَرْجِعُونَ)
في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس: 22)
وكان المناسب للسياق أن يقول: وإليه أَرْجِعْ. ولكنه عدل عن ذلك لتقرير شدة
تحذيرهم وتنبيههم إلى أنهم صائرون إلى الله ومواجهون من كفروا به «كأنه يقول
لهم: كيف لا تتقون من يؤول أمركم إليه وتسالون بين يديه؟»⁽²⁾

3- العدول إلى الفعل بحسب العدد:

3-1 العدول إلى المفرد:

من أمثلة العدول إلى المفرد العدول عن (فطركم) إلى (فطرني) في قوله تعالى:

(1) البرهان في علوم القرآن 199/3.

(2) محمد محمد أبو موسى: خصائص التراكيب، ص 251.

﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٢٢﴾ (يس: 22) ليبين لمن نصحهم بالعبادة أنه هو مثلهم عبد مطالب بأداء واجب العبادة لخالقه وخالقهم، فهو ينصح نفسه أولاً تهيئة لقبولهم نصيحته⁽¹⁾.

3-2 العدول إلى المثني:

يكثر في كلام العرب إطلاق المثني على غير المثني ومن ذلك قول امرئ القيس⁽²⁾:

قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ
يُحْتَمَلُ فِي إِطْلَاقِ الْمَثْنَى عَلَى الْمَفْرَدِ فِي هَذَا الْبَيْتِ أَنْ يَكُونَ الْقَصْدُ مِنْهُ التَّخْفِيفُ
لِأَمْنِ اللَّبْسِ.

3-3 العدول إلى الجمع:

يُعدَّلُ عَنِ الْمَثْنَى إِلَى الْجَمْعِ لِتَحْقِيقِ مَطْلَبِ الْخَفَةِ وَتَجَنُّبِ الثَّقَلِ الْمُنْقِصِ مِنْ
فَعَالِيَةِ التَّوَاصُلِ فِي الْخَطَابِ وَمِنْهُ الْعَدُولُ عَنْ (تَسَوَّرَا) إِلَى (تَسَوَّرُوا) فِي قَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْخَصَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ ﴿٢١﴾ (ص: 21) ومثله
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ ^{صل} أي قلباكما⁽³⁾.

4- العدول إلى الفعل المحذوف من حروفه:

قَدْ يَحْذَفُ مِنْ حُرُوفِ الْفِعْلِ مَخَالَفَةٌ لِلْأَصْلِ لِتَأْدِيَةِ وَظِيفَةِ التَّقْلِيلِ مِنَ الْحَدَثِ أَوْ
التَّقْصِيرِ مِنْ زَمْنِهِ مِقَارَنَةً مَعَ أَصْلِهِ؛ أَيُّ أَنَّهُ يَقْتَضِعُ مِنَ الْفِعْلِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْإِقْتِطَاعِ
مِنَ الْحَدَثِ أَوْ زَمْنِهِ، أَوْ يَحْذَفُ مِنْهُ لِمُنَاسَبَةِ مَقَامِ الْإِيجَازِ وَالْإِخْتِصَارِ⁽⁴⁾. وَمِنْ
نَمَازِجِ ذَلِكَ:

(1) ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن 205/3.

(2) الشنقيطي: المعلمات العشر وأخبار قائلها، ص50.

(3) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 231/23.

(4) ينظر: فاضل السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص11.

* قال تعالى: ﴿ تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ (القدر: 4).

وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ

أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (فصلت: 30).

فقال في آية القدر (تنزل) بحذف إحدى التاءين وقال في (فصلت): (تتنزل) من دون حذف وذلك والله أعلم أن التنزل في آية (فصلت) أكثر مما في الآية الأخرى ذلك أن المقصود بها: إن الملائكة تنزل على المؤمنين عند الموت لتبشرهم بالجنة⁽¹⁾. وهذا يحدث على مدار السنة؛ ففي كل لحظة يموت مؤمن مستقيم فتتنزل لتبشره بالجنة، فأعطى الفعل كل صيغته ولم يحذف منه شيئاً. وأما آية القدر فإنّ التنزل فيها أقل؛ فتتنزل الملائكة إنما هو في ليلة واحدة في العام وهي ليلة القدر فهو أقل من التنزل الذي يحدث باستمرار على كل مؤمن يحضره الموت. فاقطع من الحدث، فقال: (تنزل) بحذف إحدى التاءين⁽²⁾.

* قال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ

وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ (الأنفال: 20)

وقال: ﴿ وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ

مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ (هود: 52)

حذف أحد التاءين في آية الأنفال (ولا تولّوا) ولم يحذف في آية هود (ولا تتولّوا)

وذلك لأن الأولى خطاب للمؤمنين: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) والثانية خطاب

(1) ينظر: محمد سليمان عبد الله الأشقر: زبدة التفسير من فتح القدير للشوكاني، ص 633.

(2) ينظر: فاضل السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 13.

للكافرين وهم قوم هود. وتولي المؤمنين أقل من تولي الكافرين (1).

* قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ج

هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (هود: 24) حذف من الفعل للدلالة على أن معرفة الفرق بينهما لا يحتاج إلى طول تذكر (2).

ج- العدول إلى الصفة:

يرى علماء اللغة أن العرب عندما يستخدمون في كلامهم صيغة مكان صيغة أخرى إنما يقصدون بذلك غرضاً أو وظيفة معينة. قال جرير (3) (الطويل):

لقد لُمْتُنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السُّرَى وَنَمْتِ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بَنَائِمِ.

والليل يُنام فيه ولا ينام. وتقول العرب: هذا ليل نائم وسر كاتم وماء دافق، فيجعلونه اسم فاعل وهو اسم مفعول في الأصل، وذلك لأنهم يريدون به وجه المدح أو الذم (4).

1- العدول إلى اسم الفاعل:

تعدل العرب إلى اسم الفاعل كثيراً لوظائف تواصلية، ومن أمثلة ذلك:

- العدول إلى صيغة (راضية) بدل (مرضية) في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي

عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ (القارعة: 7) لغرض مدح العيشة؛ أي فيها الرضاء. ويرضى

بها الذي يعيش فيها؛ أي مرضية. والعرب تفعل ذلك إذا كان من السبب في شيء. كما تفعله للمبالغة في شدة الاتصاف. قال ابن عاشور: «والعيشة ليست راضية

(1) ينظر: السابق، ص 17.

(2) ينظر: نفسه، ص 20.

(3) جرير: ديوان جرير، تقديم: كرم البستاني، دار بيروت، بيروت، 1406هـ/1986، ص 454.

(4) ينظر: ابن جني: الخصائص 1/152، 153؛ وينظر: عيسى شحاتة عيسى علي: العربية والنص القرآني، دراسة للقضايا اللغوية في كتب إعراب القرآن ومعانيه في أوائل القرن الثالث الهجري، دار قباء، القاهرة، 2001، ص 209.

الفصل الثالث = العدول إلى الصيغة الصرفية

ولكنها لحسنها رضي صاحبها، فوصفها بـ(راضية) من إسناد الوصف إلى غير ما هو له، وهو من المبالغة لأنه يدل على شدة الرضى بسببها حتى سرى إليها.» (1)

- العدول إلى صيغة (سارقين) بدل (نسرق) في قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَأَلَّه لَقَدْ

عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ (يوسف: 73) حيث

عدل إلى صيغة اسم الفاعل بدل صيغة الفعل التي تدل على حدوث الفعل وتجده نحو: وما كنا لنسرق. للدلالة على عدم انتسابهم إلى هذه الصفة ومنافاتها لحالهم، وبُعدهم عنها (2).

- العدول إلى صيغة (خائنة) بدل (خيانة) في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ

وَمَا تَخْفَى الصُّدُورُ﴾ (غافر: 19) هذا مما شاع عند العرب من وضع اسم

الفاعل موضع المصدر؛ مثل: العافية للمعافاة، والعاقبة، والكاذبة في قوله

تعالى: ﴿لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ (الواقعة: 2) (3) فالخائنة اسم فاعل عدل إليه للدلالة

على الحدث واتصاف صاحبه به (4).

- العدول إلى صيغة اسم الفاعل (مبصر) بدل اسم المفعول (مبصر فيه) في قوله

عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ

فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (يونس: 67)

(1) تفسير التحرير والتنوير 133/29.

(2) ينظر: الزمخشري: الكشاف 308/3.

(3) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 116/24؛ وينظر: عيسى شحاتة عيسى علي: العربية والنص القرآني، ص204.

(4) ينظر: الفصل الأول من هذا البحث، ص44.

الفصل الثالث = العدول إلى الصيغ الصرفية

وضع النهار موضع الفاعل والمعنى أنه مفعول لأنه ظرف يُعمل فيه، ووصف بالإبصار كأنه عاقل لأداء وظيفة مبالغة حصول الإبصار فيه، ولتميّزه عن الليل بالنور المبين. يقول الشيخ ابن عاشور: «ومن لطائف المناسبة أن النور الذي هو كيفية زمن النهار شيء وجودي فكان زمانه حقيقياً بأن يوصف بأوصاف العقلاء، بخلاف الليل فإن ظلمته عدمية فاقصر في العبرة به على ذكر الفائدة الحاصلة فيه وهي أن يسكنوا فيه.»⁽¹⁾

- العدول إلى صيغة (لاغية) بدل (لغو) في قوله تعالى: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً

﴿١١﴾ (الغاشية: ١١) فاللاغية هنا بمعنى اللغو مثل الكاذبة للكذب؛ أي لا يسمع فيها لغو. واللاغي صاحبها⁽²⁾.

وقد تحقق بهذا العدول الدلالة على عدم سماع اللغو (الحدث) وانعدام اللاغين (الاتصاف به). ومثله قولنا: فارس لصاحب الفرس. ودارع لصاحب الدرع. وشاعر لصاحب الشعر. قال الشاعر⁽³⁾ (الرجز):

أغررتني وزعمت أنك لابن بالصيف تامر

أي صاحب لبن وصاحب تمر⁽⁴⁾. وهو عدول للمبالغة وشدة الاتصاف.

- العدول إلى صيغة (الكاظمين) و(العافين) بدل (يكظمون) و(يعفون) في قوله تعالى:

(1) تفسير التحرير والتنوير 11/227.

(2) ينظر: نفسه 30/299.

(3) الحطيئة: ديوان الحطيئة، اعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1426هـ/2005م، ص76.

(4) ينظر: عيسى شحاتة عيسى علي: العربية والنص القرآني، ص207.

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾

أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ

الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ (آل عمران: 133، 134)

عبر عن المتصفين بالإنفاق بصيغة المضارع، ثم عدل عن ذلك إلى التعبير بصيغة اسم الفاعل في وصف من كظم الغيظ وعفا عن الناس لأجل تأدية الوظيفتين التواصليتين:

- 1- التعبير بالفعل المضارع في الحديث عن الإنفاق يدل على أن المتقين حقاً هم الذين يستمرون في الإنفاق وهو فعل متجدد عندهم، رغم تبدل الأحوال.
- 2- التعبير باسم الفاعل عن كظم الغيظ والعفو عن الناس كونهما لا يصيران صفة في صاحبهما إلا مع الثبات عليهما ومصابرة النفس على التمسك بهما⁽¹⁾.

2- العدول إلى اسم المفعول:

من نماذج العدول إلى اسم المفعول لوظائف تواصلية:

- قال تعالى عن نبيه داود -عليه السلام-: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ

بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ (ص: 18، 19) حيث

عدل عن مقابلة (يسبحن) بما يناسب السياق وهو قوله (يحشرن) فقال: (محشورة)؛ وبذا يكون قد عدل إلى اسم المفعول. ليبين بالفعل المضارع في (يسبحن) أن التسبيح ينبغي فيه التجدد والاستمرار دليل ذلك قوله بالعشي والإشراق. والحشر هو اجتماع يدل على عظمة الحشر، ويأتي دفعة واحدة وفي زمن واحد. قال الزمخشري: «وقوله (محشورة) في مقابلة يسبحن إلا أنه لما لم يكن في الحشر ما

(1) ينظر: حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 86.

الفصل الثالث = العدول إلى الصيغ الصرفية

كان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئاً بعد شيء، جيء به اسماً لا فعلاً. وذلك أنه لو قيل: وسخرنا الطير يحشرون على أن الحشر يوجد من حشرها شيئاً بعد شيء، والحشر هو الله - عز وجل - لكان خلفاً؛ لأن حشرها جملة واحدة أدل على القدرة. وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - كان إذا سبح جابوته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت فذلك حشرها. ⁽¹⁾ ويدل التعبير بالفعل عن التسبيح والتعبير بالاسم عن الحشر للمغايرة بين فعل العبد وفعل الرب سبحانه ⁽²⁾.

- قال سبحانه وتعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ

عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة: 7) لما ذكر النعمة صرح بالمنعم وأشار إليه بالخطاب ولما جاء إلى ذكر الغضب لم يفعل ⁽³⁾، وعبر عن هذه الوظيفة التواصلية بالعدول عن الإتيان بالفعل المقابل لـ (أنعمت) أي (غضبت) وعبر باسم المفعول (المغضوب) الذي يصاغ من الفعل الذي لا يسمّى فاعله تنزيهاً لذكره سبحانه وتعالى مع هؤلاء الذين غضب عنهم، أو حتى الإشارة إليه بالخطاب كما في الفعل (أنعمت).

3- العدول إلى الصفة المشبهة:

يُعدل إلى الصفة المشبهة لأغراض تواصلية، ومن ذلك:

- قال تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ (ق: 23) عدل عن مقتضى السياق وهو مُعد ومهيأ ليدل على ما حلّ بقرينه وظنّ ملازمته (دلالة الصفة المشبهة) وهو منه حذر وسيناله ويحقيق به. قال ابن عاشور: «وقول القرين

(1) الكشف 250/5.

(2) ينظر: عبد الحميد هندوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص 175.

(3) ينظر: حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 43.

(هَذَا مَا لَدَى عَتِيدٍ) مستعمل في التلهّف والتحرّر والإشفاق، لأنّه لما رأى ما به العذاب علم أنّه قد هيّئ له، أو لما رأى ما قدم إليه قرينه علم أنّه لاحق على أثره.» (1)

- ومنه: الشيطان الرّجيم. والأصلُ الشيطان المرجوم، مثلها كفُّ خضيب والأصل مخضوبة، ولحيةٌ دهين والأصل مدهونة، ورجلٌ جريح وصريع. عدل عن استعمال الأصل إلى الصفة المشبّهة؛ أي عدل عن (مفعول) إلى (فعل)؛ لتحقيق ما تدلّ عليه الصّفة المشبّهة من ثبوت، وشدّة اتّصاف أو كماله. فالوصف بفعل أبلغ من مفعول لأنّه يدلّ على الثبوت أو قريباً من الثبوت فكحيل أبلغ من مكحول، وحميد أبلغ من محمود، قال الكفوي: «الحميد فعيل من الحمد بمعنى محمود وأبلغ منه، وهو مَنْ حصل له من صفات الحمد أكملها.» (2)

4- العدول إلى صيغ المبالغة:

من نماذج العدول إلى صيغ المبالغة:

- العدول إلى (شهيّد) بدل (شاهد) في الآية:

﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ (القصص: 75). وذلك للدلالة على المبالغة في

حصول الإشهاد وتحقيق الشهادة، ومثله عليم في موضع عالم.

- العدول إلى (تبيع) بدل (تابع) في الآية:

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ (الإسراء: 69) واستعمل بهذه الصيغة

للدلالة على المبالغة في التابع «أي المتتبع غيره المطالب لاقتضاء شيء منه. أي لا تجدوا من يسعى إليه ولا من يطالب لكم بثأر.» (3)

(1) تفسير التحرير والتنوير 311/26.

(2) الكليات، ص 365.

(3) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 163/15.

- العدول إلى (أليم) بدل (مؤلم) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ

يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (يونس: 97) أي المؤلم. وعدل عنه للتعبير عن شدة قوة

الألم في هذا العذاب. والعرب تضع كثيراً (فَعِيل) في موضع (مُفْعِل) ومثال ذلك: بصير وحكيم؛ أي مبصر ومحكم.

- العدول إلى (عُجاب) بدل (عجيب) في قوله تعالى: ﴿أَجْعَلِ الْأَلِهَةَ إِلَهًا

وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ (ص: 5) أي عجيب، وجاءت على وزن

فُعَال للدلالة على تمكّن الوصف، نحو طُوال للمفرط في الطول، وكُرام لكثير الكرم (1).

- العدول إلى (كُبَّار) في قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكَرًا كُبَّارًا﴾ (نوح: 22)

قال عيسى بن عمر: كلمة (كُبَّاراً) هي لغة يمانية صيغتها قليلة للمبالغة (2).

قال أبو بكر: وهو جمع "كبير"، كأنه جعل "مَكْرًا" مكان "ذُنُوب" فلذلك وصفه بالجمع (3).

5- العدول إلى اسم التفضيل:

مما وقع فيه العدول إلى اسم التفضيل العدول إلى صيغة (أهون) بدل (هيّن) في

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي يَبْدُوْا أَلْحَقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ ۚ وَهُوَ أَهْوَنُ ۚ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ

الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الروم: 27)

(1) ينظر: نفسه 210/23؛ وينظر: السمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 357/9.

(2) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 207/29.

(3) ينظر: السمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 473/10، 474.

الفصل الثالث ===== العدول إلى الصيغ الصرفية
وأهون بمعنى هين عليه وجاءت على صيغة التفضيل لغرض إظهار قوة الفعل،
كما في قوله تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ (يوسف: 33) ⁽¹⁾. صيغة

التفضيل (أَحَبُّ) دلت على شدة نكرانه لما وقع له وتفضيله السجن على ذلك.
والعرب تحمل أفعال على فاعل، نحو: وضع الأحوص الأنصاري (أميل) موضع
(مائل) في قوله ⁽²⁾ (الكامل):

أَصْبَحْتُ أَمْنَحُكَ الصُّدُودَ وَإِنِّي قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصُّدُودِ لَأُمِيلُ.

(1) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 83/21.

(2) الأحوص الأنصاري: شعر الأحوص الأنصاري، جمعه وحققه: عادل سليمان جمال، وقدم له شوقي ضيف، مكتبة
الغانجي بالقاهرة، ط2، 1411/1990، ص209.

بعد هذه الرحلة التي لقيت فيها مشقة ومتعة؛ كانت المشقة بسبب من قلة زادي العلمي وضعف إرادتي، وكانت المتعة بما حققه الله لي من توفيق في الاطلاع على ما لا يستهان به من كنوز اللغة العربية، وأفكار أساطينها من العلماء العاملين المحبين لها، العارفين بأسرارها ودقائقها وصلت إلى هذا المنجز المتواضع الذي يكشف شيئاً من هذه الأسرار مبتدئاً بتناول بعض ما توصلت إليه اللسانيات المعاصرة حول مفهوم البنية والوظيفة، وتبعية الأولى للثانية، وهذا ما قال به علماؤنا منذ زمن بعيد، وأثبتوه بشواهد من الفصحح المحتج به نثرت في كتبهم، وقد نقلت شيئاً منها في ثانياً هذا البحث مدللاً على ما رأوا من أن للوظيفة التواصلية الأثر البالغ في تحديد البنية – مقتصرًا على البنية (الصيغة) الصرفية – ثم تطرقت لمظهرين يعدّان ميداناً تطبيقياً لإبراز هذه التبعية وهذا الأثر وهما: الاختيار والعدول؛ متعرّضاً لمفهومهما وأسسهما، وأثر وظيفة التواصل في انتقاء المتكلم العربي لصيغة صرفية بعينها لأداء غرض بعينه في مقام بعينه؛ أو عدوله إلى صيغة بعينها لأداء غرض بعينه في مقام بعينه كذلك، منتهياً بعرض نماذج من الصيغ الصرفية العربية تثبت حقيقة تحكّم الوظيفة التواصلية في توجيه هذا الاختيار أو هذا العدول.

وكان لجهدي هذا ثمار جنية؛ منها الترسّخ لمعلومات سابقة، ومنها البرهنة على فرضيات وشكوك والبت فيها، ومنها الإطّلاع على أفكار وطُرف جديدة متعلقة بالنحو العربي أو باللسانيات الحديثة وبخاصة التيار الوظيفي، ومنها اكتشاف أسرار وتصحيح مفاهيم قديمة وحديثة؛ وهذه نتائج عامة لهذا البحث يضاف إليها ما يأتي:

– تحتوي المكتبة العربية على مادة علمية معتبرة أفكارٍ ونظرياتٍ منثورة غير مجتمعة ولا منظمة، وكثير منها لم يُكتشف كنهه لذا يُطلب منا جهد البعث والإحياء.

- اهتمام علماء العربية القدامى بالوظيفة التواصلية، وبقصدية المتكلم العربي أثناء إنتاج الكلام وتوجيهه كان ملموسا في استنتاجاتهم وفي قواعدهم وشواهدهم.
- لا يمكن دراسة اللغة من غير الرجوع إلى ما وصل إليه علماءنا القدامى لقربهم من المتكلم الأول بها، وفهمهم أكثر لمقصده، ولبعدهم عما قد تلقى بظلالها عليه سنة التطور اللغوي.
- مبادئ الاتجاه الوظيفي وبخاصة مبادئ النحو الوظيفي تساور بشكل أو بآخر، ومن قريب أو من بعيد مبادئ النحو العربي ومنطلقاته.

أما النتائج الخاصة فنوجزها فيما يأتي:

- للتيار الوظيفي منطلقاته ومبادئه الخاصة به التي تميزه عن التيار الشكلي ولهذه المبادئ تطبيقات واسعة في التراث العربي مع ما له من خصوصيات.
- مما تتميز به الصيغ الصرفية العربية الثراء والعموم؛ فهي تغطي كل المجالات؛ الكون والفلك والغيبيات.
- من خصائص الصيغ الصرفية العربية سعة المعاني ومرونة الاستعمال، وتعدد الاشتقاق، وتنوع المشتقات، مع الدقة والقصدية.
- كان تصنيف الصيغ الصرفية العربية وتقسيمها انطلاقا من وظيفتها التواصلية إلى جانب شكلها البنيوي.
- وضوح الفنية في استعمال الصيغ الصرفية العربية مع القصدية من غير تلاعب بالألفاظ أو عفوية إلا ما شذ.
- السمة العامة للصيغ الصرفية العربية وضعها وبنائها على هدي من استعمالها في واقعها الخاص والظروف المحيطة به إضافة إلى سياقها اللغوي.
- الاختيار والعدول وسيلتان فنيتان كثيرا ما يقصدهما المتكلم العربي للتواصل بغية الإقناع بأفكار أو الدفاع عنها أو لتبليغ جديد، أو للتعبير عن شعور، كل ذلك بما تتيحه اللغة من خيارات رحبة المجال وفقا لضوابطها وسننها.

هذا ولم يكن لنا في عملنا من فكر يستحق الذكر ولا ما يتصف بالريادة وسبيله النشر، وإذا كان لنا فيه من فضل فلا يعدو أن يكون جمع أشتات، وتصنيف معطيات، وترتيب أفكار ونقل قناعات، وبحثنا هذا لا نود أن نبدي عجزاً لأساطين لغة العرب، ولا انبهاراً بما وصل إليه رواد الغرب، ولا تهجيناً لتراث خالد له خصوصياته الاستيمولوجية والمنهجية وانتماؤه الحضاري، بل نريد به بعثاً وإحياء، وبه نقرّ ونقدر.

وفي الأخير أرجو أن تكون معرفة خطئي مرشداً لصوابي، وأن تكون عثراتي وسيلة لنهوضي، وأن ألقى المباركة والتشجيع لأواصل المشاريع، وأحقق ما ينفع أمتي، ويخدم لغتي، ويرضي أساتذتي.

نسأل الله الكريم المنان ألا يحرمني من أجر حسن القصد بهذا العمل، وأن يوفقني للأحسن في مثله مما بقي، وأن يبلغني في الأخرى بالحسنى وزيادة .

مصادر البحث ومراجعته:

أولاً : القرآن الكريم ، برواية حفص، مصحف إلكتروني، بالرسم العثماني الموافق مصحف المدينة النبوية من حيث الرسم وعلامات الوقوف، إنتاج موقع روح الإسلام.

ثانياً : المصادر و المراجع :

أ/ الكتب العربية:

- 1- الألوسي (السيد محمود شكري): الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر، شرح: محمد بهجة الأثري البغدادي، المطبعة السلفية بمصر، القاهرة، 1341هـ.
- 2- إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003.
- 3- أبو تمام(حبيب بن أوس الطائي): كتاب الوحشيات (الحماسة الصغرى)، دار المعارف، مصر، 1987.
- 4- أحمد محمد عبد الرازي: استعمال الصيغة العربية بين الوضع والنقل، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2007.
- 5- الأحوص الأنصاري: شعر الأحوص الأنصاري، جمعه وحققه: عادل سليمان جمال، وقدم له شوقي ضيف، مكتبة الغانجي بالقاهرة، ط2، 1411/1990.
- 6- الأستراباذي(رضي الدين محمد بن الحسن، ت686هـ): شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ط2، 1996.
- 7- ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، تحقيق: حنفي محمد شرف، مكتبة نهضة مصر، 1957.
- 8- الأشقر(محمد سليمان عبد الله): زبدة التفسير من فتح القدير للشوكانى، دار الفيحاء، دمشق، دار السلام، الرياض، ط5، 1994.
- 9- الأعشى(ميمون بن قيس): ديوان الأعشى الكبير، طبعة دون معلومات.

- 10- أمية بن أبي الصلت: ديوان أمية بن أبي الصلت، جمعه وحققه وشرحه: سجيح جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، ط1، 1998.
- 11- الأنباري(كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن أبي الوفاء بن عبيد الله، ت577هـ): الأضداد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1987.
- 12- _____: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
- 13- _____: شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982.
- 14- _____: لمع الأدلة، تحقيق: سعيد الأفغاني في (رسالتان لابن الأنباري)، دار الفكر، بيروت، ط2، 1971.
- 15- برجشترائسر: التطور النحوي للغة العربيّة، أخرجه وصحّحه وعلّق عليه: رمضان عبد التواب، مكتبة الغانجي، القاهرة، ط2، 1994.
- 16- بعبطيش(يحيى): النحو العربي بين التعصير والتيسير، (مقال)، المجلس الأعلى للغة العربية، أعمال ندوة تيسير النحو، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، 2001.
- 17- تمام حسان: الأصول، دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، علم الكتب، القاهرة، 2000.
- 18- _____: البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1993.
- 19- _____: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1998.
- 20- _____: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986.

- 21- توأمة(عبد الجبار): المنهج الوظيفي العربي الجديد لتجديد النحو العربي، (مقال)، ضمن: أعمال ندوة تيسير النحو، تنظيم المجلس الأعلى للغة العربية، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، 2001.
- 22- الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ت429هـ): كتاب فقه اللغة وأسرار العربية، ضبطه وعلق حواشيه وقدم له ووضع فهارسه ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط2، 2000.
- 23- الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر، ت255هـ): البيان والتبيين، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1999.
- 24- _____: كتاب الحيوان، تحقيق وشرح: محمد عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1965.
- 25- الجرجاني (عبد القاهر، ت 471 هـ): أسرار البلاغة في علم البيان، تصحيح وتعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ت.).
- 26- _____ : دلائل الإعجاز في علم المعاني، شكله وشرح غامضه وخرج شواهد ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2000.
- 27- الجرجاني (علي بن محمد السيد الشريف، ت816هـ) : معجم التعريفات، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيحة، القاهرة، مصر، 2004.
- 28- جرير (جرير بن عطية الخطفي): ديوان جرير، تقديم: كرم البستاني، دار بيروت، بيروت، 1406هـ/1986.
- 29- ابن جني (أبو الفتح عثمان، ت 392 هـ): الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، مصر، 2000.
- 30- _____: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرين، وزارة الأوقاف، القاهرة، 1994.
- 31- جيفري سامبسون: المدارس اللغوية، التطور والصراع، ترجمة أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

- 32- الحاج صالح (عبد الرحمن): السّماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007.
- 33- _____: المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم المعاصر، ضمن: تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، وقائع ندوة جهوية، الرباط، أفريل، 1987.
- 34 - حساني (أحمد): مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
- 35- حسن خميس الملخ: التفكير العلمي في النحو العربي، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 2002.
- 36- حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الكتب القاهرة، 1990.
- 37- الحطيئة (جرول): ديوان الحطيئة، اعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1426هـ/2005م.
- 38- الحملوي (أحمد بن محمد بن أحمد): شذا العرف في فن الصرف، دار الفكر، بيروت، 2003.
- 39- الحناش (محمد): البنيوية في اللسانيات، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1401/1980.
- 40- دبة (طيب): مبادئ اللسانيات البنيوية، دار القصة، الجزائر، 2001.
- 41- دك الباب (جعفر): الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني، مطبعة الجليل، دمشق، سوريا، ط1، 1980.
- 42- _____: النظرية اللغوية العربية الحديثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 1996.
- 43- دلاش (الجيلالي): مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

- 44- دي بوجراند (روبرت): النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998/1418.
- 45- دي سوسير (فردينان): علم اللغة العام، ترجمة: يوثيل يوسف عزيز، مراجعة: مالك يوسف المطلبي، دار آفاق عربية، بغداد، 1985.
- 46- راضي (عبد الحكيم): نظرية اللغة في النقد العربي، مكتبة الخانجي بمصر، 1980.
- 47- الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى، ت386هـ): النكت في إعجاز القرآن، ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط3، 1976.
- 48- روبنز (روبرت هنري): موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ترجمة أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1997.
- 49- الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله، ت794هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2005.
- 50- الزمخشري (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، ت538هـ): الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998.
- 51- زهير بن أبي سلمى: ديوان زهير بن أبي سلمى، اعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2005.
- 52- الساقى (فاضل مصطفى): أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الغانجي، القاهرة، 1977.
- 53- السامرائي (فاضل صالح): بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، دار عمّار، عمان، الأردن، (دت).

- 54- _____: التعبير القرآني، دار عمار، عمان، الأردن، ط4، 2006.
- 55- _____: الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2000.
- 56- _____: الجملة العربية، تأليفها وأقسامها، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2002.
- 57- _____: من أسرار البيان القرآني، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2009.
- 58- _____: معاني الأبنية في العربية، دار عمار، عمان، الأردن، ط2، 2007.
- 59- _____: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار، عمان، الأردن، (د ت).
- 60- السعدي (عبد الرحمن بن ناصر): تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم المنان، تحقيق ومقابلة: عبد الرحمن بن معلاً اللويحق، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
- 61- السكاكي (أبو يعقوب يوسف): مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000.
- 62- السمين الحلبي (أحمد بن يوسف، ت 756هـ): الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د ت).
- 63- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان، ت 180 هـ): الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991.
- 64- السيرافي (أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان، ت 368هـ): شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

- 65- السيوطي(أبو الفضل عبد الرحمن ابن الكمال أبو بكر جلال الدين، ت 911هـ): **الأشباه والنظائر في النحو**، تحقيق: عبد الإله نبهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1986.
- 66- _____: **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرح محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2004.
- 67- _____: **همع الهوامع بشرح جمع الجوامع في العربية**، تصحيح: بدر الدين النعساني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د ت).
- 68- الشاوش(محمد) وآخرون: **سو سير والألسنية**، ضمن: **أهم المدارس اللسانية**، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط2، 1990.
- 69- الشنقيطي (أحمد بن الأمين): **المعلقات العشر وأخبار قائلها**، مكتبة الغانجي، القاهرة، ط3، 1993.
- 70- صابر الحباشة: **التداولية والحجاج**، صفحات، دمشق، سوريا، 2008.
- 71- صاحب أبو جناح: **دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها**، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 1419/1998.
- 72- صلاح فضل: **علم الأسلوب "مبادئه وإجراءاته"**، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1998.
- 73- الطبري(أبو جعفر محمد بن جرير): **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار الأعلام، عمان، الأردن، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2002.
- 74- ابن عاشور(محمد الطاهر): **تفسير التحرير والتنوير**، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، (د ت).
- 75- عبد الصبور شاهين: **المنهج الصوتي للبنية العربية**، رؤية جديدة في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980.
- 76- عبد القادر حسين: **أثر النحاة في البحث البلاغي**، دار غريب، القاهرة، مصر، 1998.

- 77- عبد الله صولة: **الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية**، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط2، 2007.
- 78- عبده الراجحي: **النظريات اللغوية المعاصرة وموقفها من العربية**، ضمن: تمام حسان رائدا لغويا، (كتاب تذكاري)، إعداد وإشراف: عبد الرحمن حسن العارف، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2002/1423.
- 79- العسكري (أبو هلال): **كتاب الصناعتين**، الكتابة والشعر، مطبعة محمود بك، مصر، ط1، 1320هـ.
- 80- ابن عصفور الإشبيلي (أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي، ت669هـ): **ضرائر الشعر**، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، ط1، 1980.
- 81- ابن عطية (القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت546هـ): **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
- 82- ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري، ت769هـ): **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق: هادي حسن حمودي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1999.
- 83- العكبري (محب الدين عبد الله بن الحسين، ت616هـ): **شرح ديوان المتنبي**، ضبط: عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1997.
- 84- عمر ابن أبي ربيعة (أبو الخطاب عمر بن عبد الله): **ديوان عمر بن أبي ربيعة**، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: فائز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1416هـ/1996م.
- 85- عياد (شكري): **اللغة والإبداع**، مبادئ علم الأسلوب العربي، أنترناشيونال بيرس، 1988.

86- عيسى شحاتة عيسى علي: **العربية والنص القرآني**، دراسة للقضايا اللغوية في كتب إعراب القرآن ومعانيه في أوائل القرن الثالث الهجري، دار قباء، القاهرة، 2001.

87- ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس ابن زكريا، ت 395هـ): **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979.

88- فاطمة الطبال بركة: **النظرية الأسنوية عند رومان جاكوبسون**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

89- الفرزدق (همام بن غالب): **ديوان الفرزدق**، شرحه وضبطه وقدم له: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ، 1987.

90- الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب، ت 817هـ): **القاموس المحيط**، تقديم وتعليق: أبو الوفاء نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

91- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت 276هـ): **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: السيد أحمد الصقر، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، لبنان، (د ت).

92- القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، ت 671 هـ): **الجامع لأحكام القرآن**، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط 1، 2004.

93- ابن القيم (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، ت 751هـ): **التفسير القيم**، جمع: محمد أويس الندوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ت).

94- الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، ت 1094هـ): **الكليات** "معجم في المصطلحات والفروق اللغوية" تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ط2، 1998.

- 95- ابن مالك (جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك، ت 672هـ):
ألفية ابن مالك في النحو والصرف، إعداد دار ابن خزيمة، السعودية، ط1،
1414هـ.
- 96- ———: شرح الكافية الشافية، تحقيق: أحمد عبد المنعم هريدي، دار
المأمون للتراث، المملكة العربية السعودية، ط1، 1982.
- 97- ———: شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح،
تحقيق: طه محسن، مكتبة ابن تيمية، ط2، 1413.
- 98- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد، ت 285هـ): المقتضب، تحقيق: محمد
عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط3، 1994.
- 99- المتنبي (أبو الطيب): ديوان أبي الطيب المتنبي، علق حواشيه وفسر كلماته
اللغوية: سليم إبراهيم صادر، المطبعة العلمية ليوسف إبراهيم صادر، بيروت،
1900.
- 100- المتوكل (أحمد): آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، كلية الآداب،
الرباط، المغرب، ط1، 1993.
- 101- ———: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار
البيضاء، المغرب، (د ت).
- 102- ———: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، البنية التحتية،
أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمان، الرباط، المغرب، 1995.
- 103- ———: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، منشورات عكاظ،
1989.
- 104- ———: الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار
البيضاء، ط1، 1985.
- 105- ———: الوظيفة والبنية، منشورات عكاظ، الرباط، 1993 .

- 106- مجدوب (عز الدين): المنوال النحوي العربي، قراءة لسانية جديدة، كلية الآداب، سوسة، دار محمد علي الحامي، تونس، ط1، 1998.
- 107- مجنون ليلي (قيس بن الملوّح): ديوان قيس بن الملوّح مجنون ليلي رواية أبي بكر الوالبي، دراسة وتعليق: يسرى عبد الغني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420 هـ / 1999م.
- 108- محمد محمد أبو موسى: خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7، 2006.
- 109- محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط1، 2005.
- 110- _____: الحمل على اللفظ والمعنى في القرآن الكريم في ضوء القياس على المشهور والنادر، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط1، 2009.
- 111- المخزومي (مهدي): في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1406/1986.
- 112- المسدي (عبد السلام): الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط5، 2006.
- 113- _____: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1986.
- 114- ابن المعتز (عبد الله بن محمد المعتز بالله): ديوان أشعار الأمير أبي العباس، دراسة وتحقيق: محمد بديع شريف، دار المعارف، القاهرة، 1987.
- 115- مقبول علي بشير النعمة: الاتساع في المعنى، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011.
- 116- ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، ت711 هـ): لسان العرب، تحقيق: علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، (د ت).

- 117- مهيل (عمر): البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.
- 118- المهيري (عبد القادر): اللسانيات الوظيفية، ضمن: أهم المدارس اللسانية، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط2، 1990.
- 119- ميشال زكريا: الألسنية، قراءات تمهيدية، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، ط2، 1985.
- 120- نحلة (محمود أحمد): لغة القرآن في جزء عمّ، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
- 121- _____: نظام الجملة في شعر المعلقات، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1991.
- 122- ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف، 761هـ): شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ضبطه وحققه محمد محمد تامر، وآخران، الزهراء للإعلام العربي، 2004.
- 123- _____: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: صلاح عبد العزيز علي السيد، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 2004.
- 124- هندأوي (عبد الحميد): الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2002.
- 125- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1980.
- 126- ياقوت (محمود سليمان): فقه اللغة وعلم اللغة، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995.
- 127- ابن يعيش (موفق الدين بن علي بن يعيش النحوي، ت643هـ): شرح المفصل للزمخشري، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، (د ت).

ب/ الكتب الأجنبية :

128- Dik (Simon): **Functional grammar**, North Holland, Amsterdam, 1978.

129 - jakobson (Roman): **Essais de linguistique general**, Paris, minuit, 1973.

130-Martinet(andret): **Eléments de linguistique générale**, Paris, armand Colin, 1970.

131- Martinet(andret): **La linguistique synchronique**, P.U.F, Paris, 1970.

ج/ الأطروحات و الرسائل الجامعية :

132- سعدي الزبير: **العلاقات التركيبية في القرآن الكريم**، دراسة وظيفية، (مخطوط رسالة دكتوراه)، معهد اللغة العربية و آدابها، جامعة الجزائر، 1989.

133- الطاهر شارف: **المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور** "سورة البقرة نموذجا"، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2006/2005.

134- كمال قادري: **ظاهرة التطابق النحوي في اللغة العربية من خلال القرآن الكريم**، (مخطوط رسالة دكتوراه)، معهد اللغة العربية و آدابها، جامعة الجزائر، 2001.

135- هلال علي محمود الجحيشي: **العدول الصرفي في القرآن الكريم - دراسة دلالية - أطروحة دكتوراه**، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2005.

د/ المجالات:

136- أحمد (يحيى): **الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة**، مجلة عالم الفكر "الألسنية"، تصدرها وزارة الإعلام، الكويت، المجلد 20، العدد 3، (أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر)، 1989.

137- بلعرج (بلقاسم): ظاهرة توسّع المعنى في اللغة العربية، نماذج من القرآن الكريم، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد9، مارس2006.

138- الحاج صالح (عبد الرحمن): الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي، المجلة العربية للتربية- تصدرها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- تونس، العدد2، 1985..

139- _____: مدخل إلى علم اللسان الحديث(3)، مجلة اللسانيات، الجزائر، المجلد الثاني، العدد1، 1972

140- صحراوي (مسعود): "المنحى الوظيفي" في التراث اللغوي العربي، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد5، العدد1، أبريل/ يونيه 2003.

141- المهيري (عبد القادر): مساهمة في التعريف بآراء عبد القاهر الجرجاني في اللغة والبلاغة، مجلة حوليات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجامعة التونسية، العدد11، 1974 .

142- ياسر حسن رجب: سمة المرونة في التراكيب النحوية، مظاهرها وقيمتها، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد21 صفر، يونيه 1418/ 1997.

هـ/المحاضرات :

143- الحاج صالح (عبد الرحمن): مقارنة بين التحليل البنوي الأوربي، والتحليل البنوي الأمريكي، مقياس: المدارس اللسانية، محاضرة على طلبة الماجستير، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، بوزريعة، الجزائر، 2003/2004.

و/المقالات والمحاضرات بالإنترنت:

- 144- السّامرائي (فاضل صالح): أسرار البيان في التعبير القرآني، محاضرة ضمن فعاليات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم عام 2002. بمواقع عديدة.
- 145- عامر مهدي صالح العلواني: العدول في التعبير القرآني، مقال منشور بالإنترنت، شبكة التفسير.

المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ - د	مقدمة
70 - 1	الفصل الأول: البنية والوظيفة في اللسانيات المعاصرة، وفي التراث العربي
27 - 2	أولاً: البنية والوظيفة في اللسانيات المعاصرة
2	أ- اللسانيات البنوية
2	1- مفهوم البنية
3	2- مفهوم البنية (الشكلانية)
3	1-2 البنية الأوربية
5	2-2 البنية الأمريكية
7	ب- اللسانيات الوظيفية
7	1- مفهوم الوظيفة
8	2- مفهوم الوظيفية
8	3- تطور اللسانيات بعد دي سوسير
9	4- المدارس الوظيفية البنوية
12	1-4 مدرسة براغ
13	1-1-4 المبادئ الوظيفية عند رومان جاكسون
13	أ- العلاقة بين الشكل والوظيفة
13	ب- ثنائية التفكير الألسني
14	ج- نظرية التواصل والوظائف اللغوية
14	1-4-2 المبادئ الوظيفية عند أندري مارتيني
17	2-4 مدرسة لندن
17	3-4 الوظيفية عند هايمز
17	4-4 الوظيفية عند تمام حسان
17	1-4-4 مبدأ التعليق (تضايف القرائن)

18	4-4-2 ملخص الأفكار الأساسية لنموذج تَمّام حسان
20	5- النظرية الوظيفية التداولية (سيمون ديك/أحمد المتوكل)
22	المبادئ الوظيفية في نظرية النحو الوظيفي
23	1- الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية هي وظيفة التواصل
23	2- تبعية البنية للوظيفة
24	3- موضوع الدرس اللساني هو وصف القدرة التواصلية للمتكلّم/المخاطب.
24	4- يجب أن يسعى النحو الطامح إلى تحقيق ثلاثة أنواع من الكفايات
24	أ- الكفاية التداولية
25	ب- الكفاية النفسية
25	ج- الكفاية النمطية
52 - 27	ثانياً: البنية والوظيفة في التراث العربي
27	أ- البنية في التراث العربي
27	1- بين البنية والصيغة
27	2- البنية في النحو العربي
30	ب- الوظيفة في التراث العربي
30	1- ملامح المنحى الوظيفي التداولي عند العرب
31	1-1 الوظيفة الأساسية للغة هي وظيفة التواصل
31	1-2 تبعية البنية للوظيفة
35	1-3 ملامح تحقيق الكفايات في التراث العربي
35	1-3-1 الكفاية التداولية
38	1-3-2 الكفاية النفسية
41	2- سمات وظيفية تداولية في الصيغ الصرفية العربية
41	1-2 سمة المرونة في الصيغ
42	1-1-2 توليد المعاني وتوسيعها
43	2-1-2 النقل والنيابة

44	2-1-3 الإجراء
45	2-1-4 التضمين
45	2-1-5 التوضيحية بقواعد لغوية
45	2-1-6 الحمل على المعنى
46	2-1-7 الشذوذ
46	2-2 الكفاية التداولية في لغة القرآن الكريم
49	2-3 الوظيفة التواصلية للتتوين
49	2-4 الوظيفة التواصلية للحذف
50	2-4-1 حذف الكلمة
50	2-4-2 حذف بعض الكلمة
51	2-5 الوظيفة التواصلية والبناء والإعراب
70 – 53	ثالثاً: مفهوم الصيغ الصرفية العربية ووظائفها
53	1- مفهوم الصيغة
55	2- وظائف الصيغ الصرفية
55	أ- الأسماء والمصادر
55	1- الاسم
55	1-1 مفهوم الاسم ووظيفته التواصلية
56	1-2 الوظائف التواصلية لصيغ جموع الأسماء
56	1-2-1 الجمع من حيث الدلالة على الكثرة أو القلة
57	1-2-2 جمع التكسير
58	2- المصدر
58	1-2 مفهوم المصدر
58	2-2 تعدد مصادر الفعل الواحد
59	2-3 الوظائف التواصلية لصيغ بعض المصادر
61	3- اسم المصدر
61	4- المصدر الميمي

62	5- اسم المرة واسم الهيئة
62	6- اسم الآلة
62	6-1 مفهوم اسم الآلة
62	6-2 من الوظائف التواصلية لأبنية أسماء الآلة
63	ب- الفعل
63	ج- الصفة
64	1- اسم الفاعل
64	1-1 مفهوم اسم الفاعل
64	1-2 من الوظائف التواصلية لاسم الفاعل
66	2- اسم المفعول
66	2-1 مفهوم اسم المفعول
66	2-2 من الوظائف التواصلية لاسم المفعول
67	3- الصفة المشبهة
67	3-1 مفهوم الصفة المشبهة
68	3-2 من وظائف صيغ الصفة المشبهة ودلالاتها على الزمن
69	4- صيغ المبالغة
69	4-1 مفهوم صيغ المبالغة
69	4-2 من الوظائف التواصلية لصيغ المبالغة
70	5- اسم التفضيل
134 - 71	الفصل الثاني: اختيار الصيغ الصرفية
81-72	أولاً: مفهوم الاختيار وأساسه
72	أ- مفهوم الاختيار
73	ب- أسس الاختيار
73	1- الاختيار عند البلاغيين
74	2- الاختيار عند الأسلوبيين

74	3- أسباب اختيار صيغ بعينها
76	4- أنواع الاختيار
76	4-1 الاختيار بحسب المتكلم
76	4-2 الاختيار بحسب الكلام
77	5- استعمال الصيغ الصرفية بين النمطية والفنية
77	6- كثرة فرص الاختيار وتنوعها
77	6-1 لا محدودية المعاني
78	6-2 كثرة الصيغ وتوفيرها للمعاني
79	6-3 الظواهر الصوتية ووظائف الصيغ
80	6-4 تتاسب صفات أصوات الألفاظ مع معانيها
80	6-5 حركات بناء الصيغ وتغير المعاني
81 - 94	ثانيا: أثر الوظيفة التواصلية في اختيار صيغ بعينها
81	أ- تداولية اختيار الصيغ الصرفية ودقته
81	1- توجيه المقام لاختيار الصيغة
81	2- مناسبة وظائف الصيغ المختارة للسياق
83	3- تعبير الصيغ عن طبيعة النفس البشرية
85	4- نقل الصيغ لحضارة الإنسان وتاريخه وتقاليده
87	5- مطابقة استعمال الصيغ للحقائق العلمية والكونية
88	6- إقرار استعمال الصيغ لمقتضيات الدين والغيبيات
89	ب- الاختيار والتوسع في المعنى
89	1- اختيار الصيغ ذات الوظائف المتعددة
91	2- نقل الصيغ (النيابة) واختيار الصيغة المنقولة
91	2-1 مفهوم النقل
92	2-2 من أنواع النقل
92	2-2-1 نقل المصدر
92	أ- نيابة المصدر عن اسم المفعول

92	ب- نيابة المصدر عن اسم الفاعل
94	ج- نيابة المصدر عن الظرف
94	2-2-2 نقل الفعل
134-95	ثالثا: نماذج من اختيار الصيغ الصرفية
95	أ- اختيار الاسم
95	1- اختيار اسم بعينه لوظيفة خاصة
95	1-1 اختيار اسم بعينه لتعبير معناه المعجمي عن الوظيفة المقصودة بدقة
97	1-2 اختيار اسم بعينه لتعبيره في سياق معين عن الوظيفة التواصلية المقصودة بدقة
99	1-3 اختيار اسم بعينه لتعبيره في مقام معين عن الوظيفة المقصودة بدقة
101	1-4 اختيار اسم بعينه لتعبير أصواته عن الوظيفة المقصودة بدقة
101	1-5 اختيار اسم بعينه لتعبير وزنه عن الوظيفة المقصودة بدقة
102	1-6 اختيار اسم بعينه لتعبير مادة مسماه عن الوظيفة المقصودة بدقة
103	2- اختيار الاسم بحسب العدد
103	2-1 اختيار المفرد
104	2-2 اختيار الجمع
106	2-3 تنوع العدد المختار بحسب الوظيفة
107	3- اختيار الاسم بحسب التعيين
109	4- اختيار المصدر
109	4-1 اختيار مصدر بعينه لوظيفة خاصة
110	4-2 اختيار المصدر بحسب وزنه
110	4-2-1 اختيار وزن "فعلان"
111	4-2-2 اختيار وزن "افتعال"
111	4-2-3 اختيار وزن "تفعيل"
112	4-3 اختيار المصدر بحسب دلالة التعدي في فعله أو اللزوم
112	4-4 اختيار المصدر النائب عن فعله

113	5- اختيار اسم المرة
114	ب- اختيار الفعل
114	1- اختيار فعل بعينه لوظيفة خاصة
114	1-1 اختيار فعل بدل آخر يقاربه في المعنى في سياق خاص
117	1-2 اختيار أحد الفعلين المتقاربين معنى بحسب الوظيفة الدقيقة
118	1-3 اختيار فعل دون غيره
119	2- اختيار الفعل بحسب وزنه
119	1-2 اختيار صيغة " أفْعَل " "
119	2-2 اختيار صيغة " فَعَّل " "
120	2-3 اختيار صيغة " انْفَعَل " "
121	2-4 اختيار صيغة " افْتَعَلَ " "
121	2-5 اختيار صيغة " تَفَعَّل " "
123	2-6 اختيار صيغة " اسْتَفْعَلَ " "
124	3- اختيار الفعل بحسب زمنه
124	1-3 اختيار الفعل الماضي
125	2-3 اختيار الفعل المضارع
126	3-3 تنوع زمن الفعل المختار بحسب الوظيفة
127	4- اختيار الفعل بحسب العدد
128	5- اختيار الفعل المبني للمجهول
129	6- اختيار الفعل بحسب الذكر أو الحذف من بنيته
129	ج- اختيار الصفة
131	1- اختيار اسم الفاعل
131	2- اختيار اسم المفعول
132	3- اختيار الصفة المشبهة
133	4- اختيار صيغ المبالغة
133	5- اختيار الجمع بين الصفتين لوظيفة تواصلية

184 - 135	الفصل الثالث: العدول إلى الصيغ الصرفية
152 - 135	أولاً: مفهوم العدول وأساسه
136	أ- مفهوم العدول وعلاقاته
136	1- مفهوم العدول
137	2- علاقات العدول
137	1-2 العدول والأسلوب
137	2-2 العدول والأصل
138	3-2 العدول والقياس
138	4-2 العدول والترخص
140	5-2 العدول والاختيار
141	ب- أسس العدول
141	1- ضوابط العدول ومسوغاته
144	2- العدول والسياق
145	3- العدول والاتفات
147	4- العدول والتضمين
149	5- العدول والتغليب
150	6- الضرورة الشعرية ومخالفة الأصل
156 - 153	ثانياً: أثر الوظيفة التواصلية في العدول إلى صيغ صرفية بعينها
153	أ- من الوظائف التواصلية للعدول
153	1- العدول عن القياس لتحقيق معنى ثانٍ بالصيغة
153	2- العدول عن الرسم الأصلي للصيغة لتحقيق وظيفة مغايرة
154	3- العدول لأجل تحقيق الدقة في الوصف
154	4- العدول مراعاة للأصل اللغوي
154	ب- العدول مطلب فني مفضل
184-157	ثالثاً: نماذج من العدول إلى صيغ صرفية معينة
157	أ- العدول إلى الاسم

157	1- العدول إلى اسم بعينه
158	2- العدول إلى الاسم بحسب العدد
158	1-2 العدول إلى الاسم المفرد
160	2-2 العدول إلى جمع القلة
160	3-2 العدول إلى جمع الكثرة
160	3- العدول إلى الاسم المذكر
162	4- العدول إلى المصدر
162	1-4 العدول إلى مصدر بعينه لوظيفة خاصة
165	2-4 العدول إلى اسم المصدر
167	3-4 العدول إلى المصدر الميمي
167	5- العدول إلى اسم المرة
168	6- العدول إلى اسم الهيئة
168	7- مخاطبة الجمادات مخاطبة من يعقل
169	ب- العدول إلى الفعل
169	1- العدول إلى فعل بعينه لوظيفة خاصة
169	2- العدول إلى الفعل بحسب زمنه
169	2- 1 العدول إلى زمن بعينه
170	2- 2 العدول عن التكلم إلى الغياب
173	2- 3 العدول عن الغياب إلى التكلم
173	2- 4 العدول عن الخطاب إلى الغيبة
174	2- 5 العدول عن التكلم إلى الخطاب
174	3- العدول إلى الفعل بحسب العدد
174	3- 1 العدول إلى المفرد
175	3- 2 العدول إلى المثنى
175	3- 3 العدول إلى الجمع
175	4- العدول إلى الفعل المحذوف من حروفه

177	ج- العدول إلى الصفة
177	1- العدول إلى اسم الفاعل
180	2- العدول إلى اسم المفعول
181	3- العدول إلى الصفة المشبهة
182	4- العدول إلى صيغ المبالغة
183	5- العدول إلى اسم التفضيل
185	الخاتمة
188	أهم مصادر البحث ومراجعته
203	المحتويات